

# دُرَرُ أَهْلِ الْبَيْتِ

فِي

بَنَاءِ الْجَمَاعَةِ الصَّالِحَةِ

آيَةُ اللَّهِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٌ بَاقِرُ الْحِكْمَةِ (ع.و.ع)

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة

آية الله السيد محمد باقر الحكيم (م. ١٣٨٠ هـ)

المجلد الثاني

الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

المجمع العالمي لدراسة السيرة النبوية

لبنان - بيروت - ص ١١ - ٨٦ - ١١ - تلفون : ٩٦١١٤٧١٩٠٧ ..

## الباب السادس

# نظام العلاقات الاجتماعية العامة

القسم الثاني

البناء الفوقي للنظرية





## تمهيد

نقصد بالبناء الفوقي لنظام العلاقات الاجتماعية تفاصيل نظام المعاشرة أو العشرة الذي تناولته كتب الحديث، وهو مجموعة الأحكام الواجبة، أو الآداب والسنن الإسلامية المستحبة التي تناولت تفاصيل وأشكال المعاشرة، وشخصت الصيغة الصحيحة أو المثلى للعلاقات الاجتماعية بين الناس.

لأن الإسلام عندما وضع للنظرية بأبعادها وحدد الأسس والقواعد وضع صيغاً صحيحة وأساليب محددة للتعبير عن هذه الأبعاد، وإقامة لبناء على هذه الأسس والقواعد، فكان ذلك بمجموعه يمثل البناء الفوقي للعلاقات.

وسوف نتناول هذه التفاصيل من النظرية بشيء من الإيجاز، وتقديم التصور العام عن علاقة هذه التفاصيل من النظام بالجانبيين السابقين من النظرية الإسلامية لنظام العلاقات: جانب أبعاد النظرية، وجانب القواعد والأسس؛ ليصبح الترابط واضحاً بين قواعد النظرية وأبعادها من ناحية، والبناء الفوقي المتمثل بهذه التفاصيل من ناحية أخرى، ونترك التفصيل في عرض الصيغ والمفردات وتوضيحها إلى كتابنا الخاص ببحث النظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية<sup>(١)</sup>.

(١) اعتمدنا أساساً ما ذكره الحر العاملي في كتابه: الجامع (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، الجزء الثامن، مضافاً إلى بعض الموارد من كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجزء الحادي عشر. منه قدس سره.

ويشتمل هذا القسم - الثاني - من البحث على فصلين أيضاً:

**الفصل الأول:** البناء الفوقي المرتبط بإبعاد النظرية، والذي يؤكد هذه الأبعاد ويوضحها.

**الفصل الثاني:** البناء الفوقي المرتبط بالقواعد والأسس السابقة.

وسوف نتناول تفاصيل هذا البناء حسب التسلسل السابق في القسم الأول لعرض الأبعاد والقواعد.

## الفصل الأول

### البناء الفوقي وأبعاد النظرية

- ☐ ١ - بُعد الانفتاح
- ☐ ٢ - بُعد تقوية البناء الاجتماعي
- ☐ ٣ - بُعد الاخوة والمساواة
- ☐ ٤ - بُعد مستويات العلاقة
- ☐ ٥ - بُعد المعاملة الخاصة





تكرنا سابقاً خمسة أبعاد للنظرية الإسلامية في العلاقات العامة، وهنا نستعرض التفاصيل والبناء الفوقي لها واحداً بعد آخر.

### أولاً: بُعد الانفتاح

#### أ - مؤشرات إضافية للانفتاح

على مستوى بُعد الانفتاح في العلاقات الاجتماعية، نجد مؤشرات إضافية أخرى تؤكد هذا البعد في تفاصيل النظام.

منها: ما ورد من تأكيد إقضاء السلام بين الناس، حيث يكون السلام عادة مفتاح العلاقة العامة مع الناس.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ إِقْضَاءَ السَّلَامِ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «مَنْ التَّوَضَّعَ أَنْ تَسْلَمَ عَلَيْهِ مِنْ لِقَائِهِ»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الكليني ٢: ٦٤٥، ح ٥.

(٢) الكليني ٢: ٦٤٦، ح ١٢.

وجاء في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي، ثلاث كفارات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والنفس نيام»<sup>(١)</sup>.

ومنها: تأكيد أنَّ من صفات الإنسان المؤمن أنَّ يكون إنساناً يألف الناس ويألفونه، ولا يتحقق ذلك - بطبيعة الحال - إلا من خلال المعاشرة الواسعة والطويلة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: أفضلكم أحسنكم أخلاقاً، للموطنون أكفأً، الذين يألفون ويؤلفون، وقوطاً رجالهم»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما ورد من حرمة الهجران والقطيعة بين المسلمين، حيث إنَّ هذا الحكم الشرعي يصب في نفس هذا الاتجاه من الانفتاح في المعاشرة، فإنَّ هذه الحرمة عندما تأتي بهذا الشكل القاطع - وحتى في فرض أنَّ يكون أحد الطرفين مظلوماً - نضهم من ذلك منهج الإسلام في ضرورة بقاء الباب مفتوحاً في العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا خير في المهجرة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلا وبرئت منهما في الثالثة. قيل: هذا حال الظالم فما بال المظلوم؟ فقال: ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: أنا الظالم، حتى يصطلحا»<sup>(٤)</sup>.

وعن القاسم بن الربيع قال: في وصية المفضل سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة ولللعنة

(١) وسائل الشريعة ٨: ٤٣٩، ح ٥.

(٢) الكافي ٢: ١٠٢، ح ١٦.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٥٨٤، ح ٢.

(٤) وسائل الشريعة ٨: ٥٨٦، ح ١٠.

وربما استحق ذلك كلاهما فقال له معتب: جعلت فدائه، هذا الظالم فما بال المظلوم؟ قال: لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته، ولا يتغامس له من كلامه، سمعت أبي عليه السلام يقول: إذا تنازع لثنان فعازَّ أحدهما الآخر فليرجع للمظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإن الله تبارك وتعالى حكم عدل يلخذ للمظلوم من الظالم»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال أبي: قال رسول الله ﷺ: أيما مسلمين تهاجرا فمكنا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كنا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب»<sup>(٢)</sup>. ومنها: ما ورد في وجوب قبول العذر من الآخرين عندما يقعون في خطأ مع الإنسان، فيعتنرون منه، فإن ذلك يؤكد أهمية بقاء العلاقات واستمرارها، وسد كل أبواب القطيعة، ومحو أسبابها وآثارها، كما سوف يأتي توضيحه في موضوع الإحسان واليود العليا.

## ب - الاستثناءات

إلى جانب هذه المؤشرات الإضافية التي تؤكد موضوع الانفتاح في العلاقات، نجد النظرية الإسلامية تضع مجموعة من الاستثناءات فيه، الأمر الذي يكمل الصورة في هذا البعد من النظرية من جانب، ويؤكد موضوع الانفتاح من جانب آخر، لأن الاستثناء كما أنه يدل على خروج المستثنى من حكم المستثنى منه، كذلك يؤكد شمول الحكم للمصائب الباقية تحت المستثنى منه كما هو واضح.

(١) وسائل الشريعة ٨: ٥٨٤، ج ٢.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٥٨٥، ج ٥.

وقد أشرنا في سياق الحديث عن البعد الرابع للنظرية إلى بعض الاستثناءات على مستوى العلاقة العامة، وهنا نشير إلى عموم هذه الاستثناءات التي يمكن تلخيصها في الخطوط الأربعة التالية:

### الأول: اجتناب مواضع التهمة

يجتنب المصائب من العلاقات التي تثير الابتاس والاثام والشكوك حول طرف العلاقة، الامر الذي يؤدي إلى الإضرار بالإنسان الذي يريد أن يوجد العلاقة الاجتماعية في نظر الناس وتشويه صورته، ومن مفرداتها:

أ - علاقات التهمة في السلوك، كبعض العلاقات مع النساء التي تثير تهمة العلاقات غير المشروعة، بل حتى مع الأولاد أو الرجال، أو العلاقة مع الأغنياء والمترفين، وهذه التهمة قد يحققها أصل العلاقة أو شكلها وصورتها. وقد ورد النهي عن هذا النوع من العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاثة مجالستهم تميت القلب: الجلوس مع الأثقال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من لسا به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده»<sup>(٢)</sup>.

ودروي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: اتقوا مواقف الريب، ولا يقفن لحكم مع أمه في الطريق، فإنه ليس كل أحد يعرفها»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي: ٦٤١، ح ٨.

(٢) الكافي: ٨: ١٥٢، ح ١٣٧.

(٣) وسائل الشيعة ١٢: ٣٧، ح ٥.

ب - علاقات التهمة في الانحراف العقائدي أو الفكري أو السيفسي، كصحبة أهل البدع والضلال، أو الجلوس إليهم، أو الدرس لديهم والأخذ منهم، حيث ورد النهي أيضاً عن هذا النوع من العلاقات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تصحبوا أهل البدع، ولا تجالسوهم فتكونوا عند الناس كواحد منهم». وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله وقرينه»<sup>(١)</sup>.

#### الثاني: الابتعاد عن قرناء السوء

الأفراد الفاسدون في سلوكهم ممن يعبر عنهم بـ «قرناء السوء»، حيث تلحق بالإنسان نفسه الأضرار من خلال مصاحبتهم، ويتأثر بهم، لأن الإنسان يتأثر بطبيعة الحال بقرينه ويفعل به.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «انظروا من تحاذون، فإنه ليس من أحد ينزل به الموت إلا مثل له أصحابه إلى الله، فإن كانوا خياراً فخيراء، وإن كانوا شراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلا تمثل له عند موته»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «قال عيسى عليه السلام: إن صاحب الشر يعدي، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن»<sup>(٣)</sup>.

نعم، إذا كانت العلاقة لغرض صالح، كهدايتهم وإرشادهم، أو لوجود مصلحة دينية أو دنيوية مشروعة خاصة فلا مانع من ذلك.

(١) وسائل الشريعة ٨: ٤٣٠، ج ١.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٤١١، ج ١.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٤١٢، ج ٢.

وقرئاء السوء الذين ورثت عناوينهم وأسمائهم في الروايات هم:

١ - من كانوا من المنحرفين سلوكياً وخلقياً عن جادة الشرع، مثل الفاجر والكذاب وقاطع الرحم والبخيل والجبان والاحمق.

روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخذة ثلاثة: الماخذ الفاجر، والاحمق، والكذاب. فاما الماخذ الفاجر فيزيّن لك فعله، ويحب أن تكون مثله، ولا يعينك على امر نيك ومعانك، ومقاربتة جفاء وقسوة، ومنخله ومخرجه عار عليك.

واما الاحمق فإنه لا يشير عليك بخير، ولا يرجي لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضررك، فموته خير من حياته، وسكوته خير من نطقه، ومعه خير من قربه.

واما الكذاب فإنه لا يهتدك معه عيش. ينقل حديثك وينقل إليك الحديث. كلما أفضى أحدثه مطبها بأخرى مثلها، حتى إنه يحدث بالصدق فما يصنق، ويفرق بين الناس بالعدوة فيثبت السخائم في الصور. فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم»<sup>(١)</sup>.

ب - من كانوا من الجهال والأنبياء اجتماعياً، أو المتخلفين عقدياً ولقائياً كالمجانين والحمقى والسفلة والأنذال والأراذل والأعراب ونولاد الزنى من الناس.

فعن عمار بن موسى قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا عمار، إن كنت تحب أن تستتب لك النعمة، وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة فلا تشارك العبيد والسفلة في امرك، فإنهم إن أئتمنتهم خانوك، وإن حدثوك كذبوك،

(١) رسائل الشيعة ٨: ٤٦٦، ج ١.

وإنْ نَكَبْتَ خَنَلُوكَ، وإنْ وعدوك لَخَلْفُوكَ قال: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، ويغض الفجار للأبرار زين للأبرار، ويغض الأبرار للفجار خزي على الفجار»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خمسمة يُجْتَنِبُونَ على كل حال: المَجْذُوم والأبرص، والمجنون وولد الزنى، والأعرابي»<sup>(٢)</sup>.

### الثالث: اجتناب أصحاب المهن المحرمة

أصحاب الحرف والمهن المحرمة، أو المحترفون للأعمال الفاسدة، والمستهنئون بالأحكام الشرعية والآداب الإسلامية العامة، مثل العناوين المذكورة في الروايات التالية:

عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليه السلام قال: «سنة لا يسلم عليهم: اليهودي والنصراني، والرجل على غائطه، وعلى موائد الخمر، وعلى الشاعر الذي يقذف المحصنات، وعلى المتفكهين بسب الأمهات»<sup>(٣)</sup>.

والظاهر أن المقصود بالسلام تحية الإسلام المعروفة وهي: (السلام عليكم)، وأما إلقاء التحية بطريقة أخرى مثل: صباح الخير أو مساء الخير فلا مانع منه.

وعن الأصمعي بن نباتة، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث قال: «سنة لا ينبغي أن يسلم عليهم: لليهود والنصارى، وأصحاب الخرد والشطرنج، وأصحاب الخمر والبريط والطنبور، والمتفكهون بسب الأمهات، والشعراء»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤١٨، ج ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٣١، ج ٤.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٣، ج ٥.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٣، ج ٦.



ومن الواضح أن المقصود بالشاعر هو من يقذف المحصنات، أو يتجاوز الحدود الشرعية، كالملاحين للطغاة أو المروجين للفساد، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك ﴿وَالشَّعْرَاءَ بِثَمَمِهِمْ﴾ الْقَارُونَ ﴿١٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٧٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴿١﴾.

#### الرابع: اجتناب الاختلاط بذوي الأمراض المعدية

الاختلاط بذوي الأمراض المعدية والعمائم السارية، كما لاحظنا ذلك في بعض الروايات السابقة، ومنها أيضاً ما روي عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في حديث المنام، قال: «وكره أن يكلم الرجل مجنوماً إلا أن يكون بينه وبينه قدر ذراع». وقال عليه السلام: «فمن المجنوم فرارك من الأسد» (٢).

#### ثانياً: بُعد تقوية البناء الاجتماعي

وأما على مستوى البعد الآخر، وهو تقوية البناء الاجتماعي، فيمكن أن نلاحظ مبادئ وأساليب أخرى - مضافاً إلى ما سبق - حث عليها الإسلام وأهل البيت عليه السلام بشكل خاص، منها:

#### الأول: عقد الاجتماعات

منهج عقد الاجتماعات المنظمة لتدارس أمور الدين والدنيا؛ باعتبار أن ذلك من أفضل الأساليب التي تحكم بناء الجماعة الصالحة، ولعل هذا المنهج من أفضل الأساليب التي اختص بها أهل البيت عليه السلام، وحثوا عليها بشكل أكيد.

(١) الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٤٣١، ج ٢.

وقد أكدوا أنَّ هذه الاجتماعات لها آثار متعددة دينية وروحية وإخلاقية، وسبب للقربى من الله تعالى، كما أنها تمثل إحياءً لأمرهم، وراحة للنفس، وغفراناً للذنوب، وأنهم يحبونها ويتمنون المشاركة فيها.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تزلزلوا فإنَّ في زيارتكم إحياءً لقلوبكم، وذكرًا لأحبابي، وإحساناً تعطف بعضكم على بعض، فإنَّ لخيركم بها رشيقاً ونجوتهم، وإنَّ تركتموها ضللتكم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»<sup>(١)</sup>.

وعن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال لي: اتخلون وتتحشون وتقولون ما شئتم؟ فقلت: إنا لنخلو ونتحدث ونقول ما شئنا. فقال: أما والله لو دلت أتي معكم في بعض تلك المواطن، أما والله إني لأحب ربحكم وأرواحكم، وإنكم على دين الله وبين ملائكته، فاعينوا بورع واجتهاد»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلا حضر من الملائكة مثلهم، فإنَّ دعوا بخير امتنوا، وإنَّ استعانوا من شر دعوا الله ليصرفه عنهم، وإنَّ سألوا حاجة تشفعوا إلى الله وسألوه قضاءها»<sup>(٣)</sup>.

وعن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لداود بن سرحان: «يا داود، أبلغ موالتي عني السلام، وإني أقول: رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا أمرنا، فإنَّ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلا باهى الله تعالى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم، فاشتغلوا بالنكر، فإنَّ في

(١) رسائل الشيعة ١١: ٥٦٧، ج ٣.

(٢) رسائل الشيعة ١١: ٥٦٧، ج ٥.

(٣) الكافي ٢: ١٨٧، ج ٦.

لجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعيننا من ذاكر بامرنا ودعا إلى ذكرنا»<sup>(١)</sup>.

وعن خيثة عن أبي عبد الله عليه السلام: «بلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد أحياءهم جنازة موتاهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن في لقاءهم حياة لأمرنا ثم قال: رحم الله من أحيأ أمرنا»<sup>(٢)</sup>.

وعن شعيب العنقرقي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله، متواصلين مترحمين، تزاودوا وتلاقوا وتذكروا أمرنا ولحيوه»<sup>(٣)</sup>.

### الثاني: النصيحة للمسلمين

الأمر بالنصيحة بمعنى الإخلاص في التعامل مع المسلمين، والنصح لهم في أداء الأعمال، وتقديم النصيحة لهم والحث على قبولها والرضا بها، بل للشكر عليها إذا كان فيها تشخيص لميوب الإنسان.

ولا شك أن هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تقوي العلاقات بين الأفراد، وتصنع لها القاعدة القوية القائمة على أساس الإحساس بالمسؤولية والثقة والتفاهم للوصول إلى الحقيقة.

ومن الضروري أن يتم ذلك وفق قواعد الحكمة والموعظة الحسنة. وقد جاءت النصوص في هذا المجال عديدة، وفي أبواب متفرقة. نشير إلى بعضها:

(١) وسائل الشريعة ١٦: ٥٦٨، ح ١٠٦.

(٢) قرب الإسناد: ٢٢، ح ١٠٥.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٤١١، ح ٨.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن أن ينصحه»<sup>(١)</sup>.  
وقال عليه السلام: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدين نصيحة قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي العنيس قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: يا صالح، اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش، وسترون على الله جميعاً فتعلمون»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لحبّ إخواني إلي من أهدى إلي عيوبي»<sup>(٥)</sup>.  
وقال عليه السلام: «لا يستغني المؤمن عن خصلة، وبه الحاجة إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عزّ وجلّ، وواعظ من نفسه، وقبول من ينصحه»<sup>(٦)</sup>.

### الثالث: التراحم والتعاطف والتزاور

الأمر بالتراحم والتعاطف والتزاور والألفة، فإنّ المضمون العاطفي والروحي للعلاقة من أهم عناصر تقويتها وإرسائها على أساس محكم، كما أشرنا إلى ذلك. وتجسيد هذه العواطف والمشاعر عملياً إنما يكون من خلال هذا اللون من السلوك.

(١) الكافي ٢: ٢٠٨، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٤، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٥، ح ٧.

(٤) تهذيب الأحكام ٦: ٣٧٧، ح ٢٢٥.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٤١٣، ح ٢.

(٦) المعتمد ٧: ٦٠٤، ح ٣٣.

وقد وصف القرآن الكريم الجماعة الصالحة من أصحاب النبي ﷺ بأنهم ﴿رَحِمَةً يَنصُرُ﴾<sup>(١)</sup> وأنهم ﴿أُولَئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وَإِنَّ «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ أُورُشَاءَ بَعْضٌ»<sup>(٣)</sup>، وقد أشرنا إلى هذا المبدأ في مواضع سابقة.

وقد عُقد في الوسائل بابٌ لهذا المبدأ نذكر بعض نصوصه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل، رحماء بينهم مقراحمين، مفتمين لما غاب عنهم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «رحم الله امرء ألف بين ولين لنا. يا معشر المؤمنين، تلافوا وتعاطفوا»<sup>(٥)</sup>.

#### الرابع: إصلاح ذات البين

لحث على إصلاح ذات البين، بحيث يكون ذلك أفضل من عامة الصلاة والصيام، حيث وردت النصوص العديدة التي تؤكد على فضل هذا العمل وأهميته، بما له من آثار في توطين وتقوية العلاقة الاجتماعية العامة بين الناس، وإزالة العوائق والمشكلات.

وقد عقد الفقهاء كتاباً للصالح جاءت فيه الأحاديث والتشريعات التفصيلية.

فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين، والإمام الصادق عليه السلام في حديث معتبر

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) للمائدة: ٥٤.

(٣) فتوى: ٧٨.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٢، ج ٢.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٢، ج ٥.

أنهما قالاً: «لأن أصلح بين اثنين أحب إلي من أن تصدق بدينارين»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام: «صدقة يحبها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا»<sup>(٢)</sup>.

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن والحسين عندما ضربه ابن ملجم: «فإني سمعت جدك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي حنيفة سائق الحاج قال: «مر بنا المفضل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال: تعالوا إلى المنزل، فأتيناها فاصلح بيننا بأربعمائة درهم، فدفعها إلينا من عنده، حتى إذا استوثق كل واحد منا من صاحبه، قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبد الله صلى الله عليه وآله أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما»<sup>(٤)</sup>.

بل إن الشارع المقدس اتخذ إجراءً مهماً في هذا المجال، وهو الإنزاع بالكذب في مقام الإصلاح، وعدم جواز الصدق في مقام الإفساد بين المؤمنين.

فبالرغم من أن الكذب من أعظم الحرمات، ولكنه مع هذا يصبح جائزاً في حدود شرعية ذكرها الفقهاء في مقام الإصلاح لذات البين، وحل الخلافات والنزاعات.

فمن جعفر بن محمد عن أبيائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: «ثلاثة يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعقدك زوجتك، والإصلاح بين الناس، وثلاثة

(١) وسائل الشيعة ١٣: ١٦٢، ح ٦.

(٢) الكافي ٢: ٢٠٩، ح ١.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٧٦، الرقم ٤٧.

(٤) وسائل الشيعة ١٣: ١٦٢، ح ٤.

يقبح فيهن الصدق؛ للنميمة، وإخبارك للرجل عن أهله بما يكرهه، وتكذيبك الرجل عن الخير...»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكلام ثلاثة: صدق، وكذب، وإصلاح بين الناس قال: قيل له: جعلت فداك، ما الإصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبر نفسك فتقول: سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعته منه»<sup>(٢)</sup>.

### الخامس: الجيران وتقوية البناء الاجتماعي

الاهتمام بالجيران وحسن الجوار بدرجة عالية كما ذكرنا في بُعد المعاملة الخاصة، فإنّ هذا المبدأ يمثل عملاً له أهمية خاصة في إحكام البنية الاجتماعية، حيث يمثل الجيران العلاقة الطبيعية الأخرى المهمة، إلى جانب العلاقة النسبية الأهم. وكلما كان التعاون بين الجماعة الساكنتين في منطقة واحدة حسناً وجيداً أمكن تحقيق المزيد من الرفاه والاستقرار والأمن للمجتمع بشكل عام.

ويأتي في هذا المجال كل التفاصيل التي أشار إليها الشارع المقدس في موضوع الجيران، كما سوف تأتي الإشارة إليها في موضوع المعاملة الخاصة.

### السادس: الإجراءات الوقائية

اتخاذ مجموعة من الإجراءات العملية أو الوقائية لإحكام العلاقات، منها:

١ - اجتناب شحنة الناس وعداوتهم وملاحقتهم وشرائتهم والتباغض معهم.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٨، ح ٢.

(٢) الكافي ٢: ٣٤١، ح ١٦.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ما كان جبرئيل ياتيني إلا قال: يا محمد، اتق شحناة الرجال وعدلوتهم»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ما أتاني جبرئيل قط إلا وعظني، فأخبر قوله لي: إليك ومشارزة النفس، فإنها تكشف العورة وتذهب بالعز»<sup>(٢)</sup>.

وروى أيضاً عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث: «ألا إن في التباغض الحالقة. لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين»<sup>(٣)</sup>.

ب - وجوب رد السلام، وكذلك وجوب الرد على الكتاب والرسالة، والحث على التكتاب بديلاً عن التزاور واللقاء.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام، والبادي بالسلام أولى بالله وبرسوله»<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام: «التواصل بين الإخوان في الحضرة التزاور، وفي السفر التكتاب»<sup>(٥)</sup>.

ج - لبحث على الوفاء بالوعد ولو بعد سنة، مع أنه أمر غير واجب.  
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليوف إذا وعد»<sup>(٦)</sup>.

د - وضع شروط للصديق الذي يحسن بالإنسان أن يضع ثقته فيه.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٦٩، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٦٩، ح ٦.

(٣) الكافي ٢: ٢٤٦، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٧، ح ١.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٩٤، ح ٢.

(٦) وسائل الشيعة ٨: ٥١٥، ح ٢.



روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «الصدقة محدودة، فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصدقة، ومن لم يكن فيه شيء من تلك الحدود فلا تنسبه إلى الصدقة، أولها أن تكون سريره وعلائقه لك واحدة، والثانية أن يرى زينك زينته، وشيئك شينه، والثالثة لا يغيره عنك مال ولا ولاية، والرابعة أن لا يمنعك شيئاً مما تصل إليه مقدرته، والخامسة لا يسلمك عند الفجأة»<sup>(١)</sup>.

هـ - ما سوف نشير إليه في ضبط الانفعالات من استحباب المحافظة على التوازن في العلاقة، بحيث لا تذهب الحشمة والاحترام فتسوء العلاقات نتيجة لذلك.

أو التحذير من المبالغة في الثقة، لئلا يصاب الطرفان بالإحباط. وغير ذلك من المفردات التي نراها منتشرة في أحكام العشرة ذات العلاقة بهذه الإجراءات، التي سوف نشير إلى بعضها الآخر في محله إن شاء الله.

## المثورة حدودها ونتائجها

وفي ختام الحديث عن موضوع تقوية البناء الاجتماعي يحسن بنا أن نتحدث قليلاً عن الاستشارة وأحكامها وحدودها وآثارها المترتبة عليها، باعتبارها أحد الأسس المهمة لتقوية البناء الاجتماعي، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً. كما أنها أحد الآفاق المهمة في العلاقات الاجتماعية.

## أهمية الشورى

لقد أعطى الإسلام وأهل البيت عليه السلام أهمية خاصة للشورى، بحيث يمكن أن

(١) الخصال: ٢٧٧، ح ١٩.

نقول: إنَّ نظرية الحكم على مستوى التنفيذ في رأي أهل البيت عليهم السلام تقوم على أساس الشورى<sup>(١)</sup>، ولكن على مستوى للعلاقات الاجتماعية العامة نجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام يؤكِّدون على أهمية الاستشارة.

فقد روى البرقي في المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن، وتوفيق من الله. فإذا أشار عليك الناصح للعقل فإياك والخلاف، فإنَّ في ذلك لعطب»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى للبرقي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «في التوراة أربعة أسطر: من لا يستشير يندم، والفقر للموت الأكبر، وكما تدين تدان، ومن ملك استأثر»<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الاستشارة عين للهلية»<sup>(٤)</sup>.

ومن أجل معرفة أهمية الشورى يمكن أن نلاحظ الأبعاد التالية في المشورة التي أشار إليها أهل البيت عليهم السلام:

### الأول: القوة والإسناد

إنَّ الشورى تمثل أفضل ظهير وسند للإنسان في عمله ومسيرته، وبذلك تكون للشورى قوة حقيقية في العلاقات الاجتماعية.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه فيما أوصى به رسول الله ﷺ علياً عليه السلام قوله: «لا مفاخرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتبيين»<sup>(٥)</sup>.

(١) راجع الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق ١١٣ - ١٢٦.

(٢) المحاسن ٢: ٦٠٢، ج ٢٥.

(٣) المحاسن ٢: ٦٠١، ج ١٦.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٤٨، الرقم ٢١١.

(٥) المحاسن ٢: ٦٠١، ج ١٥.

كما ورد في نهج البلاغة تأكيد هذا المعنى، حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالأنب، ولا ظهير كالمشاورة»<sup>(١)</sup>.

### الثاني، التصميم والحزم

إنَّ الشورى تمثل الحزم في العمل: لأنَّ المستشار سوف يشعر - بطبيعة الحال - بالاطمئنان والركون إلى الموقف الذي يتخذه، والعمل الذي يلتزم به بعد الاستشارة.

وقد ورد عن الإمام الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عليهما السلام أنه قال: «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي واتباعهم»<sup>(٢)</sup>.

### الثالث: الطريق الأفضل لمعرفة الواقع

تتمثل الشورى أفضل الوسائل والطرق للوصول إلى الصواب والواقع، حيث يتوصل الإنسان إلى الواقع برأي أهل الخبرة والتجربة بعيداً عن العواطف والميول والرغبات، التي قد تستولي عليه فتجعله يلتزم رأياً أو موقفاً أو عملاً معيناً.

وقد جاء التأكيد في حديث أهل البيت عليهم السلام على هذه الخصوصية، حيث روي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين أنه قال: «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق قوله عليه السلام: «الاستشارة عين الهداية».

(١) نهج البلاغة ٤: ١٤، الرقم ٥٤.

(٢) المعاصن ٢: ٦٠٠، ج ١٤.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٤٩، الرقم ١٦٦.

وقد روى البرقي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «استشر العاقل من الرجال الورع، فإنه لا يامر إلا بخير، وإياك والخلاف؛ فإن مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا»<sup>(١)</sup>.

وقد علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولده محمد بن الحنفية كيفية الاستفادة من آراء العقلاء ومشاورتهم من أجل الوصول إلى الحق والصواب، فقد ورد في وصيته عليه السلام له: «اضمم آراء الرجال بعضها إلى بعض، ثم اختر أقربها من الصواب، وأبعدها من الارتياح»، إلى أن قال: «قد خاطر بنفسه من استغنى برأيه، ومن استقبل وجود الآراء عرف مواقع الخطأ»<sup>(٢)</sup>.

### صفات المستشارين

وبهذا الصدد يحسن بنا أن نعرف منذ البداية صفات الأشخاص الذين نستشيرهم ونأخذ بآرائهم، وهي على الإجمال كما وردت في روايات أهل البيت عليهم السلام الأمور التالية:

- ١ - الندين والورع والتقوى وخشية الله.
- ٢ - الإخلاص في النصيح، بحيث يكون موقفه من المستشير موقف الأخ الصديق.
- ٣ - العقل والخبرة.
- ٤ - الكتمان والمحافظة على الأسرار.
- ٥ - الاعتدال في الأخلاق الشخصية، بحيث لا يكون إنساناً متصفاً بما يوجب الخلل في شخصية الإنسان، كالبخل والجبن والحرص.

(١) المعاصن ٢: ٦٠٢، ح ٣٤.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٢٩، ح ٢.

٦ - الاستقامة في الوضع الاجتماعي، فلا يصح استشارة السفلة أو العبيد.

٧ - الاعتدال في الوضع النفسي والعاطفي، فلا يستشار أصحاب العواطف والأهواء<sup>(١)</sup>.

ونشير هنا إلى مجموعة من النصوص التي يمكن استفادة هذه الخصائص منها، بالإضافة إلى النصوص السابقة:

أ - عن أبي عبد الله عليه السلام في كلام له: «استشيروا في أمركم للذين يخشون ربهم»<sup>(٢)</sup>.

ب - وعن علي عليه السلام في كلام له: «شاوِر في حديثك الذين يخافون الله»<sup>(٣)</sup>.

ج - قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا يقبل له به أن يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع»، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «أما إنه إذا فعل ذلك لم يخله الله، بل يرفعه الله، ورماه بخير الأمور وأقربها إلى الله»<sup>(٤)</sup>.

د - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ المشورة لا تكون إلاَّ بحدودها، فمن

(١) لحل السبب في النهي عن استشارة النساء في الروايات هو هذه الخصوصية والصفة، باعتبارها ظاهرة عامة في النساء، وخصوصاً في ذلك العصر. وكذلك موضوع العبيد باعتبار أن الوسط الاجتماعي والتربية العامة للعبيد يجعلانهم مناصر غير مؤهلة لهذا العمل؛ ولذا نجد في رواية أخرى في المحاسن تذكر أنَّ الإمام الكاظم كان ربما شاوِر الأسود من سودائه، فقيل له في ذلك فقال: ... ربما فتح علي لسانه.. راجع للمحاسن ٤٣٧: ٢.

(٢) المحاسن ٤٣٦: ٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المحاسن ٤٣٨: ٢، ح ٢٦.

عرفها بحدودها وإلا كانت مضررتها على المستشير أكثر من منفعتها له.

فأولها أن يكون الذي يشاوره عاقلاً، والثانية أن يكون حراً متديناً، والثالثة أن يكون صديقاً مؤخياً، والرابعة أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يستر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً جهد نفسه في النصيحة لك، وإذا كان صديقاً مؤخياً كتم سرك إذا أطلعته على سرك، وإذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك تمت المشورة وكملت النصيحة»<sup>(١)</sup>.

هـ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: يا علي، لا تشاورن جبناً فإنه يضيّق عليك المخرج، ولا تشاورن بخيلاً فإنه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاورن حريصاً فإنه يزيّن لك شرها. واعلم أن الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن»<sup>(٢)</sup>.

و - قال أبو عبد الله عليه السلام لعمار الساباطي: «يا عمار، إن كنت تحب أن تستتب لك النعمة، وتكمل لك المروءة، وتصلح لك المعيشة فلا تستشر العبيد والسفلة في أمرك، فإنك إن فتمنتهم خائتوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن تكبت خائتوك، وإن وعدوك لم يصقوك»<sup>(٣)</sup>.

ز - عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي، ليس على النساء جمعة»، إلى أن قال: «ولا تولّى

(١) المحاسن: ٦٠٢، ج ٢٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤٠٩، ج ٥٨٨٩. وقد ورد هذا المضمون أيضاً في نهج البلاغة، في عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر، باختلاف في اللفظ.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤١٨، ج ١.

القضاء، ولا تستشار. يا علي، سوء الخلق شؤم، وطاعة المرأة ندامة. يا علي، إن كان الشؤم في شيء ففي لسان المرأة»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى معتبرة السند عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نكر رسول الله ﷺ النساء فقال: اعصوهن في المعروف قيل أن يأمركن بالمنكر، وتعونوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر»<sup>(٢)</sup>.

### واجبات المستشار

وفي بُعد آخر لهذا الحديث لا بد أن نعرف أن المستشار يجب عليه النصيحة في المشورة، وبذل الجهد في الدلالة على الصواب والواقع.

فقد ورد في الحديث أن «المستشار مؤتمن»<sup>(٣)</sup>، كما ورد في حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من استشار أخاه فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله رأيه»<sup>(٤)</sup>.

ومضافاً إلى محض النصيحة والإخلاص في المشورة يجب على المستشار كتمان سر المستشار، فإن مقتضى مفاد «المستشار مؤتمن» هو كتمان السر، كما هو محض الإخلاص أيضاً، فإن مقتضى الأمانة ذلك كله.

كما أنه يفهم ذلك من الحديث السابق الذي جاء فيه «والرابعة أن تطلعته على سره، فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يستر ذلك ويكتمه».

(١) وسائل الشريعة ١٢: ٤٦، ج ١.

(٢) الكافي ٥: ٥١٧، ج ٢. وقد أشرنا إلى أنه لا يبعد أن تكون هذه الأحاديث عن المرأة وعن الأوساط الاجتماعية باعتبار طبيعة الظروف والأخلاق العامة التي كانت عليها النساء في ذلك العصر، أو باعتبار الجانب العلملي الذي يتقلب على المرأة بشكل عام. منه قدس سره

(٣) المحاسن ٢: ٦٠١، ج ٢٠.

(٤) المحاسن ٢: ٦٠٢، ج ٢٧.

وبهذا القدر يتضح أنّ موضوع الاستشارة من أهم المبادئ التي اكدها أهل البيت (عليه السلام) في موضوع العلاقات الاجتماعية، وفي البناء الاجتماعي بشكل عام.

### ثالثاً: بُعد الأخوة والمساواة

وأما على مستوى أنّ محتوى العلاقة الاجتماعية هو (الأخوة والمساواة) فيمكن أنّ نجد معالم هذا البعد في مختلف تفاصيل نظام العلاقات الاجتماعية التي تناولت الأبعاد المختلفة للعلاقات، أو الأسس والقواعد لها، كما يظهر ذلك واضحاً من خلال استعراضنا للأبعاد السابقة، وتفاصيل المؤشرات للنظمية لها، مثل موضوع إقضاء السلام، وتحريم هجران المؤمن، والانفتاح الواسع في العلاقات، الذي يؤشر كله على أنّ البعد للمنظور في محتوى العلاقة هو المساواة والأخوة.

وكذلك في موضوع تقوية البناء الاجتماعي، مثل الاجتماع والملقاء والتزاور أو التراحم والتعاطف، أو رد جواب الكتاب، أو غير ذلك من التفاصيل. ونجد ذلك - أيضاً - في القواعد والأسس العامة، خصوصاً في قاعدة الالتزام بالواجبات، والتودد والمجاملة.

حيث نلاحظ في القاعدة الأولى موضوع العلاقة العامة الشرعية المتساوية بين المسلمين، كإداء الأمانة، وإقامة الشهادة، والحقوق العامة الاجتماعية، كحضور الجنائز، وعيادة المرضى.

وكذلك الحقوق المادية للإنسان المسلم، مثل حرمة ماله وماله، فلا يصح قتله، ولا أخذ ماله، ولا التجاوز على عرضه وأهله، وحتى دخول داره والنظر فيها بدون إذنه.

وكذلك الحقوق المعنوية للإنسان المسلم، مثل المحافظة على عرضه



وكرامته، وعدم جواز تحقيره وإهانته، أو إذلاله، أو غيبته، أو كشف سره، أو تعييره.

بل لا يصح ظلمه ولا خذلانه، أو إضرار السوء له، أو تهمة، أو إخافته، أو الطعن عليه، أو سبه ولعنه، أو إحصاء عثراته وتتبعها. كما سوف يأتي تفصيل ذلك.

كما نلاحظ ذلك - أيضاً - في القاعدة الرابعة بشكل واضح في عموم المناهج والأساليب التي وضعها الله سبحانه وتعالى، وأكدها أهل البيت عليهم السلام، مثل إقشاء السلام، والابتداء به، وإطابة الكلام، والتعظيم والتوقير للآخرين، واللقاء بالبشر والتبسم، والمصافحة والمعانقة والتقبيل، إلى غير ذلك مما تأتي الإشارة إليه في مواضعه.

ولعل أحد لمؤشرات الواضحة في هذا البعد هو ما ورد في باب السلام من وجوب رد السلام على الجميع تحقيقاً لهذه المساواة، وكذلك وجوب رد جواب الرسالة والكتاب.

فمن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رد جواب للكتاب واجب كوجوب رد السلام، والبيادي بالسلام نولي بالله وبرسوله»<sup>(١)</sup>.

وكذلك حرمة التسليم على الفقير المسلم بمستوى مختلف عن التسليم على الغني المسلم.

فمن الإمام الرضا عليه السلام قال: «من لقي فقيراً مسلماً فسلم خلاف سلامه على الإغنياء لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان»<sup>(٢)</sup>. وكذلك إهانة المؤمن الفقير لفقره.

(١) وسائل الشريعة ٨: ٤٢٧، ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٥٧، ح ٢٠٢.

فمن الصادق عن آبائه عليه السلام عن رسول الله ﷺ في حديث العنابي قال: «ومن استخف بفقرير مسلم، فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا أن يتوب»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «من استذل مؤمناً واحتقره لقلة ذات يده وفقره، شهّره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»<sup>(٢)</sup>.

وعن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خمس لا تدعهنّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبس الصوف، والتسليم على الصبيان»<sup>(٣)</sup>.  
ويؤكد هذه الحقيقة تأكيداً واضحاً ما ذكرناه في بيان هذا البعد من التكافؤ بين المؤمنين في موضوع للزواج.

## رابعاً: بُعد مستويات العلاقة

وأما على مستوى البُعد الرابع وهو مستويات العلاقة، فقد قلنا: إنّ النظرية الإسلامية بالرغم من إيمانها بالمساواة في محتوى العلاقة، ولكن لأسباب موضوعية أو اجتماعية افترضت أنّ هذه العلاقة لها عدة مستويات، لحفظها ثلاثة:

### ١. علاقة المجاملة العامة

أما علاقة المجاملة والمعاشرة العامة فيمكن أنّ تجد تفاصيل نظمها وأحكامها في عموم ما ذكرناه في بُعد الانفتاح في المعاشرة، وكذلك في مجمل ما يذكر في قاعدة التردد والمجاملة وحسن المعاشرة، وكذلك قاعدة ضبط

(١) وسائل الشريعة ٨: ٥٨٨، ح ٤.

(٢) وسائل الشريعة ١٢: ٢٧٠، ح ٥.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٤٤١، ح ١.

العواطف والانفعالات، وقاعدة الإحسان واليد العليا، وغيرها مما يأتي بيان تفاصيله في القواعد المذكورة.

فلن هذه التفاصيل وإن كانت مرتبطة ارتباطاً مباشراً بهذه القواعد والأسس والأبعاد التي أشرنا إليها سابقاً، ولكنها تعبر في نفس الوقت عن هذا الأصل أو الخط العام في العلاقات الاجتماعية، المتمثل بضرورة وجود علاقة المجاملة مع جميع أفراد المجتمع بشكل عام، إلا في الاستثناءات التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

## ٢. علاقة الصحبة العامة (المكاشرة)

ويبدو من الأحاديث السابقة التي ذكرناها في بحث مستويات لعلاقة أن علاقة الصحبة العامة هي: عبارة عن علاقة متطورة نسبياً لعلاقة المجاملة، فتنتهي بها إلى حالة الصحبة والرفقة في الحياة، إما من خلال العمل المعاشي، أو من خلال السفر، أو السكن والجوار، أو الزمالة في الدرس أو التعليم أو المهنة أو غير ذلك من الأسباب الطبيعية، حيث يحسن بالإنسان في مثل هذه العلاقة أن يقف عند حدودها الطبيعية التي يكتسب فيها المنافع الحيوية والمادية في حركته، كما ورد في الحديث: «فلنك تصيب منهم لننك، فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم»<sup>(١)</sup>.

والمطلوب فيها المبالاة في هذه المنافع واللذة «وإنل لهم ما ينلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن نجد تفاصيل التشريعات ذات العلاقة بهذا المستوى من العلاقة

(١) وسائل الشريعة ٨: ٤٠٤، ح ١.

(٢) الحديث نفسه.

- صحبة المكاشره - في مثل الاحكام ذات العلاقة بصحبة السفر وآدابه مع رفيق السفر، كما في الأبواب ٣٠ - ٣٤ من أبواب آداب السفر إلى الحج وغيره<sup>(١)</sup>.

وكذلك في مثل بعض الاحكام ذات العلاقة بالمعاملة مع العمال والمستأجرين، أو بعض الاحكام ذات العلاقة بآداب التعليم والتعلم مما يرتبط بموضوع الرفاقة أو الصداقة.

أو بعض الاحكام ذات العلاقة بآداب المجلس أو الخطاب والصديث، مثل التوسعة في المجلس للمشاركة فيه، أو القيام له واحترامه، أو مخاطبته بالكنية ودعوته بأحب الاسماء إليه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاث يصفين ود المرء لآخيه المسلم: يلتاقه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الاسماء إليه»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحب أحدكم لخاص المسلم، فليساله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإن من حقه الولجب، وصدق الإخاء أن يساله عن ذلك، وإلا فإنها معرفة حمق»<sup>(٣)</sup>.

أو الاحكام ذات العلاقة بالتناجي في المجلس.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كان القوم ثلاثة، فلا يتناج منهم اثنان دون صاحبهما، فإن في ذلك ما يحزنه ويؤذنه»<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع الوسائل ٨: ٢٩٩ - ٣٠٤.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٤، ج ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٠١، ج ٣.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٢، ج ١.

وكذلك نجد مثل هذه التفصيل على مستوى الاستثناء في هذه العلاقة، عندما ينصح الشارع المقدس بعدم مرافقة الفاجر والأحمق والكذّاب، أو مشاركة العبيد والسفلة والفجار، أو مرافقة قاطع للرحم، أو مجالسة الأثقال والمترفين والنساء، كما أشرنا إلى ذلك في بحث استثناءات الانفتاح.

وكذلك تقدمت الإشارة إلى بعض هذه المعالم وغيرها في بُعد تقوية البناء الاجتماعي، حيث إنّ بعض النصائح في هذا البعد ترتبط بهذا المستوى من العلاقة كما هو واضح.

## ٢. علاقة الصحبة الخاصة

وأما المستوى الأعلى للعلاقة فهو علاقة الثقة التي تمثل مستوى علاقة الأخوة الحقيقية، وتترتب عليها الحقوق والواجبات الخاصة بهذا المستوى.

ونجد معالم النظم والتشريعات ذات الصلة بهذا المستوى من العلاقة في بعض التشريعات التي نتحدث عن شروط الصديق والأخ الذي يجب أن يختاره الإنسان، مثل العقل والتقوى، والأمانة وحفظ الأسرار، والنصرة وعدم الخذلان، والاستعداد للمولسة، والكرم، والصديق في المعاملة، والمحافظة على أداء الواجبات، وخصوصاً الصلوات، والإخلاص في المؤلّفة، وأن تكون هذه المؤلّفة في الله سبحانه وتعالى. وقد مرت الإشارة إلى بعض الأحاديث التي نتحدث عن بعض هذه الصفات في (بُعد مستويات العلاقة)، وكذلك في البُعد الأول، وهو الانفتاح عندما تحدثنا عن الاستثناءات.

ويمكن ملاحظة بعض النصوص الأخرى.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا عليك أن تصحب ذا العقل وإن لم تحمد كرمه، ولكن انتفع بعقله، واحترس من سيئ أخلاقه،

ولا تدعن صحبة الكريم وإن لم تنتفع بعقله، ولكن انتفع بكرمه بعقلك،  
وافرر كل الفرار من اللئيم الاحمق»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «عليك بالتلاوة، وإليك كل محدث لا عهد له ولا  
أمانة ولا نمة ولا ميثاق»<sup>(٢)</sup>.

وسوف نجد في بعد المعاملة الخاصة مع المؤمنين ما يؤكد هذا المستوى  
من العلاقة.

كما أن من جملة هذه التشريعات المهمة في هذا المستوى من  
العلاقة موضوع عقد الاجتماعات واللقاءات التي يتم بها تداول شؤون المسلمين،  
وإحياء أمر الدين، والقضايا الخاصة بالجماعة الصالحة فكرياً وعقائدياً  
ولجتماعياً وسياسياً، كما عرفنا ذلك في الأبعاد السابقة.

### خامساً: بُعد المعاملة الخاصة

في هذا البعد نجد تفاصيل كثيرة منكورة في أبواب ومواضع عديدة من  
الفقه والشريعة يمكن التعرف عليها في محلها المناسب، ولكن نشير هنا  
إلى بعض النماذج التي وردت في أبواب وآداب العشرة، مضافاً إلى  
ما سبق الإشارة إليه، أو ما يمكن أن نجده في القواعد والأسس للعلاقات  
الاجتماعية، وهي محدودة نسبياً، ولكنها مفيدة في توضيح التصور النظري  
تجاه هذا الموضوع:

#### أ- الصلاة على آل الرسول

إن موضوع الصلاة على رسول الله وآله في جميع المواطن والحالات - كما  
سوف نشير إليه في نظام الشعائر والعبادات - يعبر عن هذه المعاملة الخاصة،

(١) وسائل الشريعة ٨: ٤٠٩، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٤١٢، ح ٢.

حتى لنجد أن تقديم الصلاة على النبي وآله على الدعاء يكون سبباً في استجابة هذا الدعاء، حيث لا يرد الله سبحانه وتعالى دعاء الصلاة، وهو يكرمه سوف يقرر استجابة للدعاء الآخر بها في عدم الرد، كما ورد ذلك عن علي عليه السلام في قوله: «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابداً بمسألة الصلاة على رسوله ﷺ ثم سل حاجتك، فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى»<sup>(١)</sup>.

كما أن تصمد الله تعالى عند العطس يحسن أن يقرن بالصلاة على رسول الله وآله، بل في جميع الأحوال حتى الأحوال الخاصة، تعبيراً عن الاهتمام بهذه المعاملة الخاصة.

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال: «عطس رجل عند أبي جعفر عليه السلام فقال: الحمد لله، فلم يسمه أبو جعفر عليه السلام وقال: نقصنا حقنا وقال: إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته قال: فقال الرجل، فسفته أبو جعفر عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

وفي كتاب الإمام الرضا عليه السلام إلى المأمون قال: «الصلاة على النبي ﷺ ولجبة في كل موطن، وعند العطس والتبليغ وغير ذلك»<sup>(٣)</sup>.

## ب - الإحسان إلى ذرية الرسول

مضافاً إلى ذلك وردت أحاديث عديدة من طريق أهل البيت عليه السلام عن رسول الله ﷺ في تأكيد للمعاملة الخاصة لذرية الرسول من العلويين والسادات، وذلك بصنع المعروف معهم والإحسان إليهم.

(١) تهج البلاغة: ٨٤، الرقم ٣٦١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٤، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٥، ح ٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من صنع إلى أحد من أهل بيتي يداً كافته به يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أيها الخلاق، انصتوا فإن محمداً ﷺ يكلمكم، فتنصت الخلاق، فيقوم النبي ﷺ فيقول: يا معشر الخلاق، من كانت له عندي يد أو منة أو معروف فليقم حتى أكافئه، فيقولون: بلأبائنا وأمهاتنا، وأي يد أو أي منة وأي معروف لنا؟ بل ليد ولمنة وللمعروف لله ولرسوله على جميع الخلاق، فيقول لهم: بلى، من أوى أحداً من أهل بيتي، أو برّهم، أو كساهم من عري، أو شيع جائعهم فليقم حتى أكافئه، فيقوم أناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله تعالى: يا محمد يا حبيبي، قد جعلت مكافئاتهم إليك، فاسكنهم من الجنة حيث شئت. قال: فيسكنهم في الوسيلة، حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيته ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وعن الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي من بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»<sup>(٣)</sup>.

وعن الباقر، عن أبيه، عن جده عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من أراد التوسل إلي، وأن يكون له عندي يد تشفع له بها يوم القيامة، فليصل على أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٦، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٦، ح ٢.

(٣) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٧، ح ٦.

(٤) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٨، ح ٧.



وعن الباقر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، فينادي مناد: من كانت له عند رسول الله ﷺ يد فليقم، فيقوم عنق من الناس فيقول: ما كانت أيديكم عند رسول الله ﷺ؟ فيقولون: كنا نصل أهل بيته من بعده، فيقال لهم: اذهبوا فطوفوا في الناس، فمن كانت له عنكم يد فخذوها بيده فادخلوه الجنة»<sup>(١)</sup>.

### ج - الشيوخ

واحترام ذوي الشبهة والشيوخ من الناس تعبيراً عن المعاملة الخاصة تجاه هذا النوع من الناس من الضعفاء.

عن عبد الله بن سنان قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «إن من إجلال الله عز وجل إجلال الشيخ الكبير»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا»<sup>(٣)</sup>.

### د - حامل القرآن

واحترام حامل القرآن باعتباره نموذجاً للعالم بالدين والشرعية، ومبلغاً للرسالة، وتالياً لآيات الله تعالى.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أهل القرآن في أعلى درجة من الأكيمين ما خلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم، فإن لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٥٨، ح ٩.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٦، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٧، ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة ٤: ٨٢٠، ح ١.

## هـ- المؤمن

وكذلك المعاملة الخاصة مع المؤمن<sup>(١)</sup>، من إدخال السرور عليه. فقد ورد ذلك في الأحاديث المعتبرة، مثل ما رواه الكليني عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّنِي، وَمَنْ سَرَّنِي فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِخْلَالَ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، إِشْبَاعِ جُوعَتِهِ، أَوْ تَنْفِيسِ كَرْبَتِهِ، أَوْ قَضَاءِ بَيْنِهِ»<sup>(٣)</sup>.

أو قضاء حاجة المؤمن، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: «وَمَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةَ أَلْفَ حَاجَةٍ، مَنْ تِلْكَ أُولَئِكَ الْجَنَّةُ، وَمَنْ تِلْكَ أَنْ يَدْخُلَ قَرَابَتَهُ وَمَعَارِفَهُ وَإِخْوَانَهُ الْجَنَّةَ بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُوا نُصَلِيًّا»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُفْرَدُ عَلَيْهِ الْحَاجَةُ لِأَخِيهِ فَلَا تَكُونُ عِنْدَهُ يَهْتَمُّ بِهَا قَلْبُهُ، فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ بِهِمَةِ الْجَنَّةِ»<sup>(٥)</sup>.

أو تفريج كربته وإغاثة لهفته، فعن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ لِلْهَفَانِ عِنْدَ جَهْدِهِ فَتَفْسَدَ كَرْبَتُهُ، وَأَعَانَهُ عَلَى

(١) هناك مجموعة من الأبواب، وعدد كبير من الأحاديث، في الوسائل وغيرها، يحسن مراجعتها والإطلاع عليها. يراجع مثلاً ج ١١ من ص ٥٦٩ - ٦٠١ حيث يتضح من خلالها للمعاملة الخاصة للمؤمن، التي تعبر في الوقت نفسه عن المستوى العالي للعلاقة الاجتماعية مع هذا الوسط المتميز.

(٢) الكافي ٢: ١٨٨، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٠، ح ٦.

(٤) الكافي: ١٩٣، ح ١.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٦، ح ٣.

نجاح حاجته، كتب الله عز وجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له مذهباً واحداً يصلح بها أمر معيشته، ويختر له إحدى وسبعين رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله»<sup>(١)</sup>.

أو غير ذلك من أنحاء المعاملة من التعلون معه أو نصرته أو نصيحته.

## و- الجيران

وكذلك المعاملة الخاصة للجيران، التي تقدم للحديث عنها، والتي تذكر تفاصيل كثيرة حولها في أحكام العشرة. ونشير هنا إلى بعض التفاصيل ضمن تفصيص كما وعدنا.

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: حسن الجوار يعمر الديار، ويفسئ في الأعمار»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي مسعود قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: حسن الجوار زيادة في الأعمار، وعمارة الديار»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي ربيع الشامي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال والبيت غاص بأهله: اعلموا أنه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره»<sup>(٤)</sup>.

٢ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حد الجوار أربعون داراً من كل جانب، من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله»<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٨٦، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٩، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٩، ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٩، ح ٥.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٩١، ح ١.

٣ - عن عمر بن عكرمة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: «أن رسول الله ﷺ أتاه رجل من الانتصار فقال: إني اشتريت داراً من بني فلان، وإن أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا أمن شره. قال: فأمر رسول الله ﷺ علياً وسلمان وإبا نر، ونسيت آخر وأقلته المقداد أن يتابوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فتابوا بها ثلاثاً، ثم نوما بيده إلى كل أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله»<sup>(١)</sup>.

٤ - عن الحسن بن عبد الله، عن عبد صالح، قال: «ليس حسن الجوار كفض الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أقلت المؤمنين من واحدة من ثلاث، ولربما اجتمعت الثلاث عليه: إما بعض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابهُ يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو من في طريقه إلى حوائجه يؤذيه. ولو أن مؤمناً على قلّة جبل لبعث الله عزّ وجلّ عليه شيطاناً يؤذيه، ويجعل له من إيمانه أنساً لا يستوحش معه إلى لحد»<sup>(٣)</sup>.

٥ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من القواصم التي تقصم الظهر جار السوء، إن رأى حسنة أخفاها، وإن رأى سيئة أفضاها»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٧، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٤، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٤، ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٩١، ح ١.



## الفصل الثاني

### البناء الفوقي والقواعد

- ❑ ١ - الأحكام الشرعية والعرفية
- ❑ ٢ - ضبط العواطف والانفعالات
- ❑ ٣ - للعدل والإنصاف
- ❑ ٤ - حسن الخلق والتودد إلى الناس
- ❑ ٥ - للمعروف واليأء العليأ
- ❑ ٦ - القنوة والسلوك المتميز



يمكن تلخيص البناء الفوقي للقواعد والأسس بالأمور التالية، وهي أمور لها دور في كمال الإنسان الذاتي، كما عرفنا من جهاد النفس، ولكن لها بُعد في العلاقات الاجتماعية أيضاً، وهي:

### **أولاً: الأحكام الشرعية والعرفية**

وأولها البناء الفوقي للأحكام الشرعية والعرفية، ويمكن أن نلاحظه - كما نكرنا سابقاً - في مثل الوفاء بالعهود والمواثيق، وإداء الأمانة، وحضور الجنائز وصلوات الجماعة، والاجتماعات العامة، وفي عيادة المرضى، ورد السلام، وجواب الكتاب وغير ذلك.

مضافاً إلى ذلك نجد الواجبات العامة التي أشرنا إليها في بعد تقوية البناء الاجتماعي، مثل مبدأ وجوب التناصر بين المسلمين، ووجوب الاهتمام بأمورهم، ووجوب التعاون بينهم، ووجوب النصيحة لهم، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن الجوار، والتشاور بينهم، إلى غير ذلك من الواجبات والمسؤوليات العامة.

### **الالتزام على مستوى الواجبات**

وإلى جانب كل ذلك نجد بعض الحقوق والواجبات والمحرمات للشرعية والعرفية في مفردات كثيرة، نشير إلى بعضها في الآتي:



١ - يجب على الإنسان أن يحتفظ بأسرار أخيه المسلم في العلاقات الاجتماعية، عندما يسمع منه حديثاً في مجلس، أو ياتمه عليه، فقد ورد أن «المجالس بالامانة»، ولكن هناك استثناءات خاصة لهذه الحالة.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: المجالس بالامانة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المجالس بالامانة، وليس لأحد أن يحدث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه، إلا أن يكون ثقة أو ذكر له بخير»<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «المجالس بالامانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم حرام، أو مجلس استحل فيه فرج حرام، أو مجلس يستحل فيه مال حرام بغير حقه»<sup>(٣)</sup>.

٢ - حدث الشارع المقدس على الوفاء بالوعد بالعود إلى جانب وجوب الوفاء بالعهود والمعقود، حيث يرتقي بالوعد إلى درجة العهد.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليوف إذا وعد»<sup>(٤)</sup>.

وعن هشام بن سالم قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عدة للمؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فيخلف الله بداء، ولمقته تعرض، وذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ ٢ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ٣»<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٧١، ج ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٧١، ج ٣.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٧١، ج ٤.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥١٥، ج ٢.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٥١٥، ج ٣.

٢ - وجوب الصنق في الحديث وفي التعامل مع الآخرين.

فمن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير السننكم، ليروا منكم الاجتهاد والصنق والورع»<sup>(١)</sup>.

وعن زيد بن علي، عن أبيه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أقربكم مني غداً وأوجبكم علي شقاعة أصنقكم للحديث، وأداكم للأمانة، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس»<sup>(٢)</sup>.

٤ - وجود مجموعة من التلجيات والالتزامات الحقوقية بين المؤمنين، تحدثنا عن بعضها في بُعد المعاملة الخاصة بين المؤمنين، مضافاً إلى حقوق أخرى أشرنا إليها في مناسبات متعددة، ونشير هنا إلى نموذج من الروايات يتناول جانباً من هذا الموضوع.

عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق ولجبات، ما منهن حق إلا وهو عليه ولجب أن ضيع منه شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن له فيه نصيب. قلت له: جعلت فداك، وما هي؟ قال: يا معلى، إني عليك شفيق لخاف أن تُضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل. قلت: لا قوة إلا بالله. قال: ليسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والحق الثاني: أن تجتنب سخطه، وتتبع مرضاته، وتطيع أمره. والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويك ورجلك. والحق الرابع: أن تكون عينه ولبيله ومرآته. والحق الخامس: أن لا تشيع ويجوع، ولا تروى ويظما، ولا تلبس ويعرى. والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥١٣، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥١٤، ح ٨.

لأخيك خادم، فوجب أن تبعث خادمك فتغسل لياجه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه. والحق السابغ: أن تبرّ قسمة، وتجب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه إلى أن يسألكها، ولكن تبادره بمبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايتك»<sup>(١)</sup>.

### الالتزام على مستوى المحرمات

وعلى مستوى المحرمات والممنوعات في هذا المجال نجد مقدرات كثيرة أقرها الشارع للمقنن لتجسيد هذا النوع من الالتزامات.

١ - عدم جواز دخول بيوت الناس بغير إذنهم، بل حتى وجوب إشعارهم عند البخل، لأن للمسلم حرمة في دمه وماله وعرضه وشؤونه الخاصة.

عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ بَيْتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَكَلِمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قال: الاستئناس: وقع الفعل والتسليم»<sup>(٢)</sup>.

كما ينبغي للمسلم أن يجلس من الدار حيث أمره صاحبها.

فعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإن صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه»<sup>(٣)</sup>.

٢ - تحريم المكر والحسد والغش والخيانة.

(١) وسائل الشريعة ٨: ٥٤٤، ج ٧.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٤٥٤، ج ١.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٤٧١، ج ١.

فمعن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام: قال: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ كَانَ مُسْلِمًا فَلَا يَمُكِّرُ وَلَا يَخْدَعُ، فَهَاتِي سَمِعْتَ جِبْرِيلَ يَقُولُ: إِنَّ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ فِي النَّارِ، ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ عَشَّ مُسْلِمًا، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ مُسْلِمًا، ثُمَّ قَالَ ﷺ: إِنَّ جِبْرِيلَ الْרוحَ الْأَمِينَ نَزَلَ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلَيْكَ بِحَسَنِ الْخَلْقِ، فَإِنَّ سُوءَ الْخَلْقِ ذَهَبٌ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَلَا وَإِنْ أَشْبَهَكُمْ بِي أَحْسَنَكُمْ خَلْقًا»<sup>(١)</sup>.

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «لَوْلَا أَنَّ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ فِي النَّارِ لَكُنْتُ أَمَكْرَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - تحريم الكذب بكل أشكاله ودرجاته في مختلف المجالات، وخصيصاً في العلاقات مع الناس، باستثناء بعض الموارد، كالإصلاح بين الناس كما ذكرنا سابقاً.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِلشَّرِّ أَتْفَالًا، وَجَعَلَ مِفَاتِيحَ تِلْكَ الْأَتْفَالِ الشَّرَابَ، وَالْكَذِبَ شَرٌّ مِنَ الشَّرَابِ»<sup>(٣)</sup>.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يُنَبِّغِي لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَنِبَ مَوْلَاةَ الْكَذَابِ، فَإِنَّهُ يَكْذِبُ حَتَّى يَجِيءَ بِالصَّنْقِ فَلَا يَصْنِقُ»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام يَقُولُ لَوْلَدُهُ: تَقْوُوا الْكَذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَالْكَبِيرَ فِي كُلِّ جَدٍّ وَهَزَلٍ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ فِي الصَّغِيرِ اجْتَرَأَ عَلَى الْكَبِيرِ. أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا يَزَالُ الْعَبْدُ

(١) وسائل الشريعة ٨: ٥٧٠، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٥٧١، ح ٤.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٥٧٢، ح ٣.

(٤) وسائل الشريعة ٨: ٥٧٣، ح ٦.

يصديق حتى يكتبه الله صديقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً»<sup>(١)</sup>.

وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا يفي له. إن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال: كذب وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى موضع لبيرة صدق»<sup>(٢)</sup>، فيسمى عند الله كذاباً»<sup>(٣)</sup>.  
٤ - النهي عن أن يكون الإنسان في علاقاته الاجتماعية ذا وجهين ولسانين.

فمن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري نأه شاهداً، ويأكله غائباً. إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله»<sup>(٥)</sup>.

٥ - حرمة قطع ولاء المؤمن، أو التعبير عن عداوته، أو إضمار السوء له.  
فقد ورد بطرق متعددة عن الإمام الصديق عليه السلام أنه قال: «إذا قال الرجل لأخيه المؤمن: أف، خرج من ولايته، وإذا قال: أنت عدوي كفر أحدهما، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمّر على أخيه المؤمن سوءاً»<sup>(٦)</sup>.  
٦ - النهي عن سوء الظن بالمؤمن أو اتهمه.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٦، ح ٦.

(٢) ولي أمالي الصدوق، ٣٤٢: معني لا يبقى في قلبه موضع لبيرة صدق.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٧٧، ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٨١، ح ١.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٥٨٢، ح ٢.

(٦) وسائل الشيعة ٨: ٦١١، ح ٢.

فمن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا اتهم المؤمن اخاه لاثمات الإيمان في قلبه كما يثمات الملح في الماء»<sup>(١)</sup>.

ومن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع امر أخيك على أحسنه حتى يأتبك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير جملاً»<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: ضبط العواطف والانفعالات

إنّ تفصيل خطوط البناء الفوقي لموضوع ضبط العواطف والانفعالات يمكن أن نجده واسعاً في موضوع جهاد النفس كما اشرنا سابقاً، كما نجده في موضوع أحكام المعاشرة أيضاً.

### ١ - ضبط العواطف والصفات الحميدة

ف نجد الشارع المقدس عندما يتحدث عن الصفات الحميدة للإنسان، أو الصفات التي لا بد أن يتصف بها ليكون مؤمناً نراه يؤكد على الصفات ذات العلاقة بهذا الجانب النفسي، وهو العواطف والانفعالات.

فمن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقوراً عند الهزاهن، صبوراً عند اليلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بينه منه في تعب، والناس منه في راحة. إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبر والده»<sup>(٣)</sup>.

(١) وسائل الشريعة ٨: ٦١٣، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٦١٣، ح ٣.

(٣) وسائل الشريعة ١١: ١٤٣، ح ٩.

وعن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الإيمان: إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإن قبر لم يتعاط ما ليس له»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال النبي ﷺ: ألا أخبركم بلشبهكم بي؟ قلوا: بلى يا رسول الله. قال: أحسنكم خلقاً، ولينكم كنفاً، وبركم بقرابته، وأشدكم حباً لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكملكم للغيظ، وأحسنكم عقواً، وأشدكم من نفسه إنصافاً في الرضا والغضب»<sup>(٢)</sup>.

### أ - الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية

ومن هنا نجد أن للصبر على الطاعة لله، والصبر عن معصيته تعالى يأتیان في مقدمة الأعمال الصالحة.

ففي الحديث الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما<sup>(٣)</sup> صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا. أدخلوهم الجنة. وهو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَرْزُقُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذْهُمْ عَلَىٰ صَبْرٍ﴾»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشريعة ١١: ١٤٨، ج ٢٠.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ١٤٨، ج ٢٨.

(٣) هكذا وردت في المصبر، والصواب «علام»، لوجوب حذف ألف ماء الاستفهامية عند وقوعها بعد حرف جر.

(٤) وسائل الشريعة ١١: ١٨٦، ج ١، وفي هذا الباب أحاديث عديدة في هذا المعنى من المستحسن الاطلاع عليها.

### ب - العفة

كما نجد في هذا المجال بعض الصفات التي تكون أفضل العبادات، مثل عفة البطن والفرج والعين.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام: «كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله»<sup>(٢)</sup>.

### ج - الحلم

وكذلك نجد صفة الحلم التي هي: أن يعفو الإنسان ويفض النظر عن الآخرين عند الغضب مع القدرة على إمساكه، حيث لا يكون الرجل عابداً إلا إذا كان حلماً، وهو أفضل ناصر للإنسان في حركته الاجتماعية، وعلاقاته مع الناس.

فعن محمد بن عبد الله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حلماً، وإن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يُعَدَّ عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إنه ليعجبني الرجل أن يركه حلقه عند غضبه»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط»<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ١٩٧، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢٠٠، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٢١٠، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٢١٠، ح ٢.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٢١١، ح ٧.



## د - الرفق

وكذلك صفة الرفق، وهو: التعامل باللين مع الآخرين في مقابل العنف والشدّة، حيث يكون له دور مهم في مختلف أبعاد حياة الإنسان.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الرفق يمن، والخرق شؤم»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شلّه»<sup>(٢)</sup>.

وعن هشام بن أحمد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «قال لي وجرى بيني وبين رجل من القوم كلام فقال لي: ارفق بهم، فإن كفر لحدّهم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه»<sup>(٣)</sup>.

## هـ - التواضع

وكذلك التواضع الذي هو طريق الارتفاع والصعود إلى الدرجات العالية.

فعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتّه يقول: إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه»<sup>(٤)</sup>.

والتواضع كما ورد تعريفه في الروايات هو «أن تعطى الناس ما تحب أن تُعطاه»، وهو أيضاً «درجات، منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه. إن رأى سيئة

(١) وسائل الشريعة ١١: ٢١٣، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٢١٤، ح ٩.

(٣) وسائل الشريعة ١١: ٢١٤، ح ١٢.

(٤) وسائل الشريعة ١١: ٢١٥، ح ١.

دراها بالحسنة. كماظم الغيظ، عاف عن الناس والله يحب المحسنين». وهو أيضاً «أن يرضى بالمجلس دون المجلس، وأن يستم على من يلقي، وأن يترك المرء وإن كان محقاً، ولا تحب أن تحمد على التقوى»<sup>(١)</sup>.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب، وعليه خُلْقَانُ الدِّبَابِ. قال: فقال جعفر عليه السلام: فأنشأنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه. ألا تبشركم؟ قلت: بلى أيها الملك، فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك، فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه محمداً عليه السلام وأهلك عدوه، وأسر فلان وفلان وفلان. التفتوا بولاه يقال له بدر، كثير الأراك، لكانني أنظر إليه حيث كنت أرى لسيدي هناك، وهو رجل من بني ضمرة.

فقال له جعفر: أيها الملك، فما لي أراك جالساً على التراب، وعليك هذه الخلقان؟

فقال له: يا جعفر، إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة، فلما أحدث الله عز وجل لي نعمة بمحمد عليه السلام أحدثت لله هذا للتواضع، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدقوا برحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبها رفعة فتواضعوا برفعكم الله، وإن العقو يزيد صاحبها عزاً فاعفوا بعزكم الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) تجد هذه القصص وغيرها في الجزء ١١ من رسائل الشيعة، أبواب جهاد النفس، الباب ٢٨ (استجاب التواضع).

(٢) الكافي ٤: ١٢١، ج ١.

وعن معاوية بن وهب قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب بطلحكم بحقكم»<sup>(١)</sup>.  
وعن محمد بن سنان رفعه قال: «قال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين: لي إليكم حاجة اقضوها لي، فقالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل اقدامهم، فقالوا: كنا نحق بهذا منك، فقال: إن نحق الناس بالخدمة للعالم. إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمّر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فلتاه أوس بن خولى الأنصاري بعس مخيض يعسل، فلما وضعه على فيه نخاه ثم قال: شربان يكتفى من أحدهما بصاحبه. لا أشربه ولا أحزمه، ولكن أتواضع لله، فإنه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله»<sup>(٣)</sup>.

## و — النية الحسنة والسريرة الصالحة

وكذلك إصلاح النية والسريرة في التعامل مع الآخرين، حيث يضع الله أمام عينه ويقيم العلاقة على أساس هذه الصلة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما

(١) وسائل الشيعة ١١: ٢١٩، ج ١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢١٩، ج ٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٢١٩، ج ١.

بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - ضبط العواطف والصفات الذميمة

وفي جانب آخر في هذا المجال نجد مجموعة من الاتجاهات والانفعالات النفسية والعاطفية المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية يحرّمها الشارع المقدس، ويحذر منها لشدة التحذير بسبب ما يمكن أن تحدثه من تأثير سلبي على مسيرة الإنسان للتكاملية الاجتماعية.

### أ - حب الرئاسة

فمثلاً حب الرئاسة والإمارة لما كان يمثل اتجاهاً نفسياً يعبر عن الهوى والشهوات في عواطف الإنسان وأحاسيسه، حذر أهل البيت عليه السلام منه، خصوصاً مع ملاحظة الواقع الفاسد الذي كان يعيشه الرؤساء في المجتمع الإسلامي آنذاك. وأصبحت الرئاسة في نظر بعض الفقهاء أمراً محرماً، مع عدم الوثوق بالعمل، واحتمال الانسياق مع آثارها الخطيرة في الظلم أو الكبر.

عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن عليه السلام أنه ذكر رجلاً فقال: إنه يحب الرئاسة، فقال: «ما ثقبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها باضر في دين المسلم من الرئاسة»<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن مسكان قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يا أيها الرؤساء الذين يتراسون، فوالله ما خفقت النعال خلف الرجل إلا هلك وأهلك»<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة ٤: ٢٠، الرقم ٨٩.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢٧٩، ج ١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٢٧٩، ج ٤.

وعن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال: «ألا ومن تولي عرافة قوم أتى يوم القيامة ويده مغلولتان إلى عنقه، فإن قام فيهم بأمر الله أطلقه الله، وإن كان ظالماً هوى به في نار جهنم وبئس المصير»<sup>(١)</sup>.

#### ب - الغضب

كما حذر الشارع المقدس وأهل البيت عليهم السلام من الغضب وآثاره في العلاقات الاجتماعية وفي التكامل الذاتي، ويبنوا بعض طرق العلاج لهذه الحالة النفسية والانفعال الخطير في حياة الإنسان مع الآخرين.

فإن «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»، و «الغضب مفتاح كل شر»، و «إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق»، و «من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة»، و «فأما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فورهم ذلك، فإنه يذهب عنه رجز الشيطان، وأما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليعسه، فإن الرحم إذا مست سكنت»<sup>(٢)</sup>.

ومن الطرائف في هذا المجال ما رواه الكليني عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله يا رسول الله، علمني، قال: اذهب ولا تغضب، فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً، ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم نكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تغضب، فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عنده قومه فقال: يا هؤلاء، ما كنتم لكم من جراحة أو قتل

(١) وسائل الشريعة ١١: ٢٨٢، ج ١٤.

(٢) راجع الوسائل ١١: ٢٨٦، ٢٨٧، باب ٥٢، ج ١، ٢، ٣، ٤، ٦.

أو ضرب ليس فيه أثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه، فقال القوم: فما كان قهولكم. نحن أولى بذلك منكم. قال: فاصطليح القوم وذهب الغضب»<sup>(١)</sup>.

#### ج - الحسد

كما حذر الشارع المقدس من الحسد، وهو: أن يتصرف الإنسان مع الناس في المجتمع من موقع الرغبة في زوال النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم، أو تحولها منهم إليه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الحسد ياكل الإيمان كما تاكل النار الحطب»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل لموسى بن عمران عليه السلام: يا بن عمران، لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى تلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاّد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني»<sup>(٣)</sup>. كما أن الحسد غير الغبطة، التي يشعر الإنسان فيها بالسرور والانس لما تفضل الله به على بعض خلقه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد، وللمنافق يحسد ولا يغبط»<sup>(٤)</sup>.

#### د - الحمية والعصبية

كما نهى الشارع - في العلاقات الاجتماعية - عن التأثر بالعصبية، والانسحاق مع مشاعرها وعواطفها.

(١) الكافي ٢: ٣٠٤، ج ١١.

(٢) الكافي ٢: ٣٠٦، ج ٢.

(٣) الكافي ٢: ٣٠٧، ج ٦.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٢٩٢، ج ٧.

والمصيبة التي يؤثم عليها صاحبها - كما ورد في تفسيرها عن علي بن الحسين (عليه السلام) - هي: «أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم»<sup>(١)</sup>.

ويبنو من هذا الحديث، ومن مفهوم العصبية نفسها أن العصبية هي: التعصب والتحزب والولاء في العمل لغير الحق<sup>(٢)</sup>.

وهي تدخل في أحد أبعادها في موضوع العدل والإنصاف، الذي سوف يأتي للحديث عنه، ولكنها في الوقت نفسه تدخل في موضوع للعواطف والمشاعر التي يحتاج الإنسان إلى ضبطها والسيطرة عليها.

وقد وردت أحاديث عديدة في تحريمها، مثل الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من تعصب فو تعصب له فقد خلع ريق الإيمان من عنقه»<sup>(٣)</sup>.

### هـ - الكبر والتيه والاختيال

ومن جملة هذه الانفعالات والمشاعر النفسية المحرمة، هو الشعور بالكبر والخيلاء، والتعامل مع الناس انطلاقاً من هذا الشعور.

ففي الحديث الصحيح عن أحد المبشرين (عليه السلام) قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٣٠٨، ح ٧.

(٢) يؤكد ذلك ما ذكره الكليني في الكافي ٢: ٣٠٨، ح ٥ عن علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: «لم يدخل الجنة حبة غير حمية حمزة بن عبد المطلب، وذلك حين أسلم غضباً للنبي (صلى الله عليه وآله) في حديث السلا الذي أتى على النبي (صلى الله عليه وآله)».

يراجع حديث السلا في الكافي ١: ٤٤٩، باب مولد النبي (صلى الله عليه وآله)، ح ٣٠.

(٣) الكافي ٢: ٣٠٨، ح ٢.

(٤) وسائل شعبة ١١: ٣٠٦، ح ١.

كما ورد أن أول ما عُصِيَ الله به الكبير، وهي معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في تعريف الكبير هو «أن تغمص الناس وتسفه الحق»، وفي بعض الروايات المعتبرة أن هذا النوع من الكبير هو من أعظم أنواعه.

فمن عبد الأعلى بن أعين قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إن أعظم الكبير غمص الخلق وسفه الحق. قال: قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطمعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداً»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث آخر عن محمد بن عمر بن يزيد، عن أبيه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنني أكل الطعام الحليب، وأشم للرائحة الطيبة، وأركب الدابة الفارعة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبر فلا أفعله؟ فاطرق أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: إنما الجبار الملعون من غمص للناس وجهل للحق.

قال عمر: فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أثيري ما هو؟

قال: من حقر الناس وتجبّر عليهم فذلك الجبار»<sup>(٣)</sup>.

وقد قسر أهل البيت عليه السلام سبب التجبر والته والتكبر - كما ورد في الحديث عنهم - أنه الشعور بالنقص والإحساس بالذلة في النفس.

فمن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من أحد يقيه إلا لذلة يجدها في نفسه»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٨، ج ٢.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٦، ج ٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٧، ج ٥.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٣، ج ٢.



وعنه عليه السلام في حديث آخر قال: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لئله يجدها في نفسه»<sup>(١)</sup>.

ومن مصاديق الكبر - كما ورد في الروايات - العناد، ورفض الاحترام الآخرين.

فقد ورد في حديث معتبر عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتة يقول: الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس، والكبر رداء الله، فمن نازع الله رداء لم يزد إلا سفلاً. إن رسول الله صلى الله عليه وآله من في بعض طرق المدينة وسوءاء تلقط السرقين، فقيل لها: تنحي عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: إن الطريق لمعرض، فهم بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعوها فإنها جيارة»<sup>(٢)</sup>.

#### و - الطمع والكسل والسفه

كما أن هناك مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والعواطف الاجتماعية الأخرى المبغوضة للشارع المقدس، لما فيها من آثار ونتائج سلبية وضارة في حركة الإنسان الذاتية والاجتماعية، إذ يصبح فيها الإنسان أسيراً لغيره، أو مضيعاً لحقوق الآخرين، أو منفصلاً ومعزولاً عنهم وعن مجتمعهم.

ومن هذه الأحاسيس ذات التأثير السلوكي السيء هو الطمع.

فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «بئس العبد عبد يكون له طمع يوقده، وبئس للعبد عبد له رغبة تذله»<sup>(٣)</sup>.

(١) رسائل الشيعة ١١: ٢٠٣، ح ٢.

(٢) رسائل الشيعة ١١: ٢٠٣، ح ٤.

(٣) رسائل الشيعة ١١: ٣٢١، ح ٢.

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «رأيت خير كله قد اجتمع في قطع  
الطمع عما في أيدي الناس»<sup>(١)</sup>.

ومن هذه المشاعر الكسل الذي يؤدي في بعده الاجتماعي إلى ضياع  
حقوق الآخرين.

فقد ورد في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «وإن كسلت لم تؤد حقاً»<sup>(٢)</sup>.  
وجاء في حديث للنبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لأنه إذا كسل فقد ضيع  
الحقوق»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث لأبي الحسن موسى عليه السلام لبعض ولده: «وإياك والضجر  
والكسل؛ فإنهما يمتعانك حظك من الدنيا والآخرة»<sup>(٤)</sup>.

ومن هذه المشاعر - أيضاً - السفه والجهل، وهما بسبب في وجود حالة  
نفسية وروحية عند الإنسان تجعله يتجاوز الحدود والآداب الاجتماعية في الكلام  
والحديث مع الناس علماً، ويبدأ إلى القول والفعل من دون روية وتعقل، وهذه  
الصفة من أبرز مصاديق سوء الخلق.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إن السفه خلق لثيم، يستطيل  
على من هو بونه، ويخضع لمن هو فوقه»<sup>(٥)</sup>.

وقال عليه السلام: «لا تسفهوا، فإن أئمتكم ليسوا بسفهاء»<sup>(٦)</sup>.

وعنه عليه السلام بطريق معتبر: «إن أبغض خلق الله عبد اتقى للناس لسانه»<sup>(٧)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٢٢٦، ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢٢٠، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٢٢٠، ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٢٢٠، ح ٤.

(٥) الكافي ٢: ٢٢٢، ح ١.

(٦) الكافي ٢: ٢٢٢، ح ٢.

(٧) الكافي ٢: ٢٢٢، ح ٤.

وقال عليه السلام: «من كلفا للسفيه بالنسفه، فقد رضي بما آتى إليه، حيث احتذى مثاله»<sup>(١)</sup>.

### ٣ - ضبط العواطف والمعاشرة

وفي مجال المعاشرة والعلاقات الاجتماعية نجد نماذج ومفردات تفصيلية، يقدمها الشارع المقدس وأهل البيت عليهم السلام، تعبّر عن هذه القاعدة المهمة في النظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية:

#### أ - حسن الصحبة

فأولى هذه المفردات، هو حسن الصحبة، وتحلّل للرفقاء والاصحاب وغيرهم، ممن يبتلى الإنسان - عادة - بإيجاد العلاقات الاجتماعية العامة معهم.

عن أبي الربيع الشامي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله، فيه الخراساني والشامي ومن أهل الأفاق، فلم أجد موضعاً أقعد فيه، فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئاً ثم قال: يا شيعة آل محمد، اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه، ومخالفة من خالفه، ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره، ومخالحة من ملأحه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ما يُعْبَأُ بمن سلك هذا الطريق إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن للصحبة لمن صحبه»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٣٢٢، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٠٢، ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٠٢، ح ٤.

وفي هذا المجال يذكر أهل البيت عليهم السلام بعض (المفردات) التي تعبر عن حسن الصحبة هذه.

مثل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب المحاسن بطريق معتبر: «ليس من المروءة أن يحدث الرجل بما يلقي في السقر من خير أو شر»<sup>(١)</sup>.

ومثل تفقد أحوال رفيق السفر بعد الافتراق، فعن المفضل بن عمر قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: من صاحبك؟

فقلت له: رجل من إخواني.

قال: فما فعل؟

قلت: منذ دخلت لم أعرف مكانه.

فقال لي: أما علمت أن من صاحب مؤمناً أربعين خطوة سأل الله عنه يوم القيامة؟»<sup>(٢)</sup>.

وكنك سؤال ذي الجليس جليسه عن اسمه وكنيته ونسبه وحاله، وكراهة ترك ذلك، ولكن بدون فضول وإحراج، ولعل في هذا الحديث الشريف الذي يرويه علي بن الحسين عليهما السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما يلقي الضوء على بعض المصائب والأمثلة.

فقد روى عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال يوماً لجلسائه: «تدرون ما العجز؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: العجز ثلاثة: أن يبدر أحدكم بطعام يصنعه لصلحبه فيخلفه ولا يلقيه، والثانية: أن يصحب الرجل منكم لرجل أو يجالسه يحب أن يعلم من هو ومن أين هو، فيفارقه قبل أن يعلم

(١) المحاسن ٢: ١٠٣، ج ٧.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٠٢، ج ٨.

ذلك، والثالثة: أمر النساء يدينو أحدكم من أهله فيقضي حاجته وهي لم تقض حاجتها، فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يتحرش ويمكث حتى يأتيك ذلك متهما جميعاً»<sup>(١)</sup>.

وقد عُبر عن هذه الأفعال الثلاثة بـ «الجفاء» في حديث آخر يرويه الإمام الباقر عليه السلام، عن جده رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة من الجفاء: أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب، أو يجيب فلا ياكل، ومواقعة الرجل أهله قبل الملاعبة»<sup>(٢)</sup>.

كما جاء في حديث آخر يرويه الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ أن السؤال عن الاسم والهوية الشخصية من الحق الواجب وصديق الإخاء: «إذا أحب أحدكم إخاء المسلم، فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته، فإن من حقه الواجب وصديق الإخاء أن يسأله عن ذلك، وإلا فلأنها معرفة حقه»<sup>(٣)</sup>.

## ب — الضحك والمزاح

ومن هذه المفردات أن الإنسان قد يصادف في حياته الاجتماعية ما يثير عنده الإحساس بالضحك، سواء كان ذلك عن طريق المزاح أم المشاهد المثيرة، وهنا لا بد له من ضبط هذا الاتفعال، سواء بحسب الشكل والصورة، بحيث يحسن به أن لا يصل إلى حد القهقهة وارتفاع الصوت، فقد روي عن الإمام الصادق بطريق معتبر أنه قال: «القهقهة من الشيطان»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٠٠، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٠١، ح ٤.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٠١، ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٩، ح ١.

وفي حديث آخر قال ﷺ: «ضحك المؤمن تبسم»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر ﷺ قال: «إذا قهقهت فقل حين تفرغ: اللهم لا تمقتني»<sup>(٢)</sup>.

لو ضبط هذا الانفعال من ناحية السبب، فقد ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «إن من الجهل الضحك من غير عجب»<sup>(٣)</sup>.

بل دعا أئمة أهل البيت ﷺ إلى قلة الضحك والمزاح، لما لهما من آثار اجتماعية سيئة، بالإضافة إلى آثاره الذاتية السيئة.

ففي حديث معتبر عن الإمام الصادق ﷺ قال: «إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه»، وقال أيضاً: «كثرة الضحك تميم القلب»، وقال: «كثرة الضحك تميم الدين كما يميم الماء المالح»<sup>(٤)</sup>.

وعن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «إياك والمزاح فإنه يجر للسخرية ويورث الضغينة، وهو لسبب الأصغر»<sup>(٥)</sup>.

وعن الصادق ﷺ: «لا تمازح فيجتراً عليك»<sup>(٦)</sup>.

## ج — الحشمة والاسترسال في الثقة

ومن هذه المفردات الالتزام بالحشمة في الصداقة والمعلشرة، وعدم الانسياق مع عواطف الحب والمودة في التصرف، وكذلك عدم الاسترسال في

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٩، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٩، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٩، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٠ - ٤٨١، ح ١، ٢.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٢، ح ٩.

(٦) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٢، ح ١١.

الثقة لو الحب والبغض، حيث إنها لا بد أن تخضع للمنطق والصفات الخاصة في الصديق للمعاشرة، وهذا لا ينالني بطبيعة الحال حسن الظن والانفتاح.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك، أبق منها فإن ذهابها ذهاب الحياة»<sup>(١)</sup>.

كما روي عن ابن عباس، والإمام الرضا عليه السلام أنهما قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَأْتُونَكَ فِي كَايِكُمْ الْمُنْكَرُ﴾ أنهم كانوا يتخاضرون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء<sup>(٢)</sup>.

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في موضوع الاسترسال في الثقة أنه قال: «لا تثق بأخيك كل الثقة، فإن صرعة الاسترسال لن تُستقال»<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما»<sup>(٤)</sup>.

وقد مر علينا سابقاً للحدود والخصائص المطلوبة في الصديق والصاحب التي تعتبر مقاييس في الثقة والاعتماد<sup>(٥)</sup>.

#### د — صراحة المرء والخصومة

ومن هذه المفردات عدم الانسياق مع الشعور بالانتصار للنفس في الأحاديث والمناقشات، بحيث يتطور ذلك إلى المرء والخصومة، فقد نهى الشارع المقتبس عن ذلك.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٠٦، ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٠٢، ح ٨.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٠١، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٠٢، ح ٧.

(٥) راجع وسائل الشيعة ٨: ٥٠٢، ح ٣.

ففي الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم والمراء والخسومة، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان، وينبت عليهما النفاق»<sup>(١)</sup>.

### هـ - حفظ اللسان والسكوت إلا عن الخير

ومن هذه المفردات - أيضاً - عدم الانسياق مع الرغبة في الحديث والكلام، ولزوم السيطرة على ما يصدر عن لسان الإنسان، والمراقبة الدقيقة له، فقد ورد التحذير الكثير من الشارع المقدس في هذا المجال إراكاً منه لوجود هذا الشعور في داخل الإنسان، والأضرار البالغة التي يمكن أن تترتب على هفوات اللسان وأخطائه، خصوصاً في مجال العلاقات الاجتماعية. وقد ذهب الحكمة المنقولة عن لقمان الحكيم في هذا الباب مذهب المثل، فقد روى أبو عبد الله عليه السلام قال: «قال لقمان لابنه: يا بني، إن كنت زعمت أن الكلام من قضة، فإن السكوت من ذهب»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث المعتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: «من علامات الفقه العلم والحلم والصمت؛ إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لرجل قام: ألا أملك على أمر يهلك الله به الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فتل مما تملك الله. قال: فإن كنت أحوج ممن أتيله، قال: فاتصر المظلوم. قال: فإن كنت أضعف ممن اتصره. قال: فاصنع للخارق، يعني أشر عليه. قال: فإن كنت

(١) وسائل الشريعة ٨: ٥٦٧، ح ١، وينظر كذلك الحديث الثاني.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٥٢٨، ح ٥٠.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٥٢٧، ح ١.



أخرق ممن اصنع له. قال: فاصمت لسانك إلا من خير. أما يسرك أن يكون  
فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة؟<sup>(١)</sup>

ومع كل ذلك نجد أن أهل البيت عليهم السلام يؤكدون أهمية الكلام في موضعه أو  
الذي يكون له نتائج حسنة.

فمن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كلام في حق خير من سكوت على  
باطل»<sup>(٢)</sup>.

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «القول الحسن يثري المال، وينمي  
الرزق، وينسي في الأجل، ويحبب إلى الأهل، وينخل الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لأبي تراب في الموازنة الصحيحة بين  
الكلام والسكوت، فقد قال: «يا أبا تر، إذا ذكر في الغاضبين كالمقاتل في الغارين  
في سبيل الله. يا أبا تر، الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير  
من جليس السوء، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء  
النشر. يا أبا تر، اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك.  
يا أبا تر، كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع. يا أبا تر، إنه ما من  
شيء أحق بطول السجن من اللسان. يا أبا تر، إن الله عند لسان كل قاتل،  
فليتق الله امرؤ وليعلم ما يقول»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لرجل وقد كلمه بكلام كثير: «إنها الرجل،

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٧، ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٩، ح ١٠.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٠، ح ١٦.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٢١، ح ٩.

تحتقر الكلام وتستصغره؛ إِنَّ الله لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها فضة ولا ذهب، ولكن بعثها بالكلام، وإنما عزف الله نفسه إلى خلقه بالكلام، والدلالات عليه والأعلام»<sup>(١)</sup>.

#### و — كظم الغيظ والصبر على الحسد

ومن هذه المفردات السيطرة على المشاعر عند إثارة غيظ الإنسان، وحبه للدفاع عن النفس والانتقام، خصوصاً إذا كان الإنسان محقاً أو مظلوماً، حيث يصبح من الضروري أن يحكم عقله وحكمته وإرادته في السيطرة على هذا الشعور القوي، والانفعال الجارف.

فقد ورد بطريق معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإن عظيم الأجر لمن عظيم الليل، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ورد بطريق معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم، وما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة لا تكافي بها صاحبها»<sup>(٣)</sup>.

وقد وصف الله سبحانه عباده الصالحين بهذه الصفة في قوله: ﴿وَالْحَكِيمُونَ الْقَاسِمُونَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أنه قال: «يا علي، أوصيك بوصية

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٥. راجع الأيوب ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ من ج ٨ من أبواب أحكام العشرة، فإن فيها عشرات الروايات في هذا الباب.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٢.

(٤) آل عمران: ١٢٤.

فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي، يا علي، من كظم غيظاً وهو يقدر على إفضائه أعقبه إيماناً وإيماناً يجد طعمه...»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الباب الصبر على الحُساد ونحوهم من أعداء النعم، الذين يثيرون في الإنسان بتصرفاتهم مختلف الانفعالات والمشاعر؛ لذا كان هذا النوع من البلاء من أشد المحن الاجتماعية التي تُنب المؤمن إلى الصبر عليها.

روي بطريق معتبر عن الصادق عليه السلام أنه قال: «اصبر على أعداء للنعم، فإنك لن تكافئ من عصي الله قيك بأفضل من أن تطيع الله فيه»<sup>(٢)</sup>.

وكذا بطريق معتبر عنه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله أخذ ميثاق المؤمنين على يلايا أربع، فشدّها عليه مؤمن يقول بقوله يحسده، أو منافق يققو الثرء، أو شيطان يغويه، أو كافر يرى جهاده، فما بقاء المؤمن بعد هذا؟»<sup>(٣)</sup>.

## ثالثاً: العدل والإنصاف

لقد ذكرنا في توضيح هذا الأساس أنهما ينطلقان من فكرة وجوب العدل وحرمة الظلم، وأن أوضح مصابيق العدل في العلاقات الاجتماعية، هو إنصاف الإنسان الناس من نفسه.

### حرمة الظلم

إن حرمة الظلم لا تختص بمعارسته شخصياً، بل لا بد للإنسان أن يكون موقفه في رفض الظلم شمولياً وواسعاً، ويمكن أن نلاحظ هذه الشمولية في الأمور التالية:

(١) وسائل الشريعة ٨: ٥٢٤، ح ١١٩.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٥٢٦، ح ١٦.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٥٢٦، ح ٢٠.

## أ - رد المظالم

إذا ارتكب الإنسان ظلماً في حق أحد من الناس، فأخذ منه ماله، أو اغتصب منه حقاً من حقوقه ثم تاب من ذلك وارتدع، فلا بد له أن يرد للمظلوم مظلومته، وهو ما يسمى بـ ردّ المظالم.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما للظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمدائنة بين العباد»<sup>(١)</sup>.

وعن وهب بن عبد ربه، وعبيد الله الطويل، عن شيخ من النخع قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إني لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا، فهل لي من توبة؟ قال: فسكت، ثم أعدت عليه فقال: لا حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أكل من مال أخيه ظلماً ولم يردّه إليه، أكل جذوة من النار يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا إذا ارتكب في حق الآخرين ظلماً معنوياً مثل الغيبة والهتك والقذف، وغيرها مما سوف نذكره من مصانيق الظلم والعنوان فإنه لا بد أن يسعى برده لهم بطلب المغفرة منهم - بعد التوبة إلى الله تعالى - وبالاستغفار وعمل الخير لهم، وبإعادة الاعتبار لهم وغير ذلك مما يعتبر رداً لذلك الحق.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٢، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٢، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٣، ح ٤.

### ب — الهداية بعد الضلال

ولعل من أوضح وأشد مصانيق الظلم المعنوي للآخرين، هو إذا ما أضل شخصاً عن الحق وساقه إلى الباطل، ثم تاب عن ذلك، فيجب عليه أن يسعى إلى هدايته وإرشاده إلى الحق، وإرجاعه إلى طريق الصواب.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: ألا أنك على شيء تكثر به دنياك، وتكثر به تبعك؟ فقال: بلى. قال: تبذع ديناً وتدعو الناس إليه، ففعل فاستجاب له الناس واطاعوه، فأصاب من الدنيا، ثم إنه فكر فقال: ما صنعت؟! ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه؛ ما أرى لي من توبة إلا أن أتني من دعوته إليه فأرده عنه، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إن الذي دعوتكم إليه باطل، وإنما ابتدعته، فجمعوا يقولون: كذبت، هو الحق، ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه، فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوند لها وبدأ ثم جعلها في عنقه، قال: لا أحلها حتى يتوب الله عز وجل علي، فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء: قل لفلان: وعزتي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه»<sup>(١)</sup>.

### ج — مهونة الظالم

وكما يحرم على الإنسان أن يباشر الظلم بنفسه، يحرم عليه أن يعين الظالم على ظلمه، أو يكون بحسب الفهم الاجتماعي للعلاقات من أعوان الظالمين.

عن عبد الله بن سنان قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أعان ظالماً

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٤٣، ح ١٠.

على مظلوم لم يزل الله عليه سلخاً حتى ينزع من معونته،<sup>(١)</sup>  
وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم  
من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة»<sup>(٢)</sup>.  
وعن علي بن الحسين عليه السلام في حديث قال: «إياكم وصحبة العصاة  
ومعونة الظالمين»<sup>(٣)</sup>.

وعن جعفر بن محمد، عن آبائه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا كان  
يوم القيامة نادى مناد: أين أعوان الظلمة، ومن لاق<sup>(٤)</sup> لهم دواة، أو ربط  
كيساً، أو مده لهم مده قلم؟ فاحشروهم معهم»<sup>(٥)</sup>.

#### د — الرضا بالظلم والسكوت عنه

وكما يحرم على الإنسان أن يباشر الظلم يحرم عليه الرضا والقبول به  
والسكوت عنه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به،  
شركاء ثلاثتهم»<sup>(٦)</sup>.

وعنه عليه السلام: «من عذر ظالماً يظلمه، سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا  
لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته»<sup>(٧)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١٦: ٢٤٥، ح ٥٠.

(٢) نهج قبلافة ٨٢، الرقم ٢٥٠.

(٣) وسائل الشيعة ١٣: ١٢٨، ح ١.

(٤) لاق الدواة: تصلح مدادها.

(٥) وسائل الشيعة ١٢: ١٣٠، ح ١١. وفي هذا الباب أحاديث كثيرة بهذا المضمون سبقت  
الإشارة إلى بعضها.

(٦) وسائل الشيعة ١١: ٢٤٤، ح ١.

(٧) وسائل الشيعة ١١: ٢٤٥، ح ٢.

وعنه عليه السلام في حديث له: «ومن أحب بقاء الظالمين، فقد أحب أن يُعصى الله»<sup>(١)</sup>.

### مصاديق لإنصاف الناس من النفس

وفي مجال (العدل) وإنصاف الناس من النفس نلاحظ أن أهل البيت عليه السلام يرشدوننا إلى مجموعة من المصاديق، مضافاً إلى ما أشرنا إليه من (حب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه):

### أ — رد المهرورق

فمن ذلك أن يقابل المعروف الذي يصله من الناس بمثله أو أفضل منه، كما قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿مَنْ جَزَاةً أَوْحَسَ إِلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَنَ﴾<sup>(٢)</sup>. وهذا نظير رد السلام بمثله أو بأفضل منه ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمْ بِحَيْثُ فَخْرًا أَوْ رُكُوعًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد في الحديث الشريف تأكيد رد المعروف.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صنع بمثل ما صنع إليه فإتما كافاه، ومن أضعفه كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً، ومن علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستبطن الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم، ولا تلتبس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعلم أن المصائب إليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فأكرم وجهك عن رذته»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١٢: ١٣٤، ج ٥.

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) النساء: ٨٦.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٦، ج ١.

وعن علي بن سالم قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «آية في كتاب مسجلة. قلت: وما هي؟ قال: ﴿مَلَّ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾» جرت في المؤمن والكافر، والبز والفاجر، من صنَّع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليسست المكافأة أن يصنع كما صنَّع به، بل يرى مع فعله لذلك أن له الفضل المبتدأ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف؛ قيل: وما قاطعو سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى إليه معروف فليكافئ به، فإن عجز فليثن عليه، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة»<sup>(٣)</sup>.

#### ب — رد الحقوق

ومنه أن يعرف حق أخيه كما يعرف أخوه حقه، فإن الحقوق بين المؤمنين متبادلة، كما نجد ذلك في النصوص التي وردت في حق المؤمن، ومنها النص الذي ورد عن الإمام الصادق عليه السلام من قوله: «أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه، ولا يعرف حق جاره»<sup>(٤)</sup>.

#### ج — الاشتغال بعيبه عن عيوب الناس

ومنه أن يشتغل بعيبه وإصلاحها عن عيوب الناس، فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث خصال من كن فيه

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٧، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٩، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٣٩، ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٣٩٩، ح ٤.



أو واحدة منهم كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله: رجل أعطي للناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضاء، ورجل لم يعجب لخاصه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدله عيب، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «كفى بالمرء عيباً أن يتعرف من عيوب الناس ما يعنى عليه من امر نفسه، أو يعيب على الناس امرأ هو فيه لا يستطيع التحول عنه إلى غيره، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه»<sup>(٢)</sup>.

### د - القول الحسن في الناس

وعنه أن يقول في الناس أحسن ما يجب أن يقال فيه، من الظن الحسن وحمل أقواله وأفعاله على أحسن الوجوه، ومدحه والثناء عليه.  
فعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم»<sup>(٣)</sup>.  
فإن هذه المصدايق تدخل تحت عنوان إنصاف الناس من نفسه.

### مصاديق للظلم والعدوان

وفي مجال ظلم الناس والعدوان عليهم حدد الشارع المقدس - كما ورد في حديث أهل البيت عليه السلام - مصدايق عديدة، وذلك من خلال الفهم الإنساني الواسع لموضوع العدل والظلم، بحيث أعطى للمسلم حرمة وصيانة تستلزمان معاملة

(١) وسائل الشريعة ٨: ٢٢٨، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٢٢٩، ح ٣.

(٣) وسائل الشريعة ١١: ٥٦٣، ب ٢١، ح ٢.

خاصة في العلاقات الاجتماعية، وتمنعان من سلوكيات وأعمال كثيرة، تشير إلى بعض مصاديقها المهمة:

## ١ - قتل المسلم وإيذاؤه

قتل المسلم، أو إيذاؤه، أو إحاقته حتى لو كان ذلك بكلمة أو نظرة، وكذلك الإعاقة على هذه الأعمال. وإليك مجموعة من نماذج الروايات والأحاديث المعتبرة التي تدل على هذا المضمون.

عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال الله عز وجل: لِيَأْذَنَ بِحَرْبِ مَنِّي مَنْ أَدَّى عِبْدِي الْمُؤْمِنَ، وَلِيَأْمَنَ غَضَبِي مَنْ أَكْرَمَ عِبْدِي الْمُؤْمِنَ»<sup>(١)</sup>.

وعن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام أو عن نكره عنه قال: «يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتى يلطخه بدمه، والناس في الحساب، فيقول: يا عبد الله، مالي ولك؟ فيقول: أعنت علي يوم كذا وكذا فقتلت»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث معتبر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ الْعَبْدَ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا أَلْمَى دَمًا، فَيُدْفَعُ إِلَيْهِ شَبَهٌ لِّلْمَحْجَمَةِ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِ فُلَانٍ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي وَمَا سَفَكْتُ دَمًا، قَالَ: بَلَى، وَمَا سَمِعْتُ مِنْ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا فَرَوَيْتَهَا عَنْهُ فَنَقَلْتُ حَتَّى صَارَ إِلَى فُلَانٍ فَنَقَلَهُ عَلَيْهَا، فَهَذَا سَهْمُكَ مِنْ دَمِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ نَظَرَ إِلَى مُؤْمِنٍ نَظْرَةً لِيُخَفِّفَ بِهَا لَخَافَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٨٧، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٦١٥، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٦١٥، ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٦١٤، ح ١.

## ب — إهانة المسلم

إهانة المؤمن أو خذلانه بأي درجة كانت، فمن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما أُسرّي بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يا رب ما حال المؤمن عنك؟ قال: يا محمد، من إهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، ولما أسرع شيء إلى نصرته أوليائي»<sup>(١)</sup>.  
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

## ج — إذلال المؤمن

إذلال المؤمن، أو احتقاره، أو الاستخفاف به، فعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعت يقول: قال الله عز وجل: لياذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن، وليامن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله: لقد أُسرّي ربي بي فأوحى إلي من وراء الحجاب ما فوحى، وشاقهني أن قال لي: يا محمد، من أذل لي ولياً فقد أَرصد لي بالمحاربة، ومن حاربني حاربتَه. قلت: يا رب، ومن وليك هذا؟ فقد علمت أن من حاربك حاربتَه، فقال: ذاك من أخذت ميله لك ولوصيك ولزيتكما بالولاية»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي هارون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لنفر عنده وأنا حاضر: ما لكم تستخفون بنا؟ قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن تستخف بك أو بشيء من أمرك، فقال: بلى، إنك أجد من استخف بي، فقال:

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٨٨، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٨٩، ح ٩.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٠، ح ١٦.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٠، ح ٢.

معاذ لوجه الله أن أستخف بك، فقال له: ويحك! ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله عييت؟ والله ما رفعت به رأساً لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيع حرمة الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

#### د - تعيير المؤمن

تعيير المؤمن بارتكاب الذنب أو عمل السوء، وتأنيبه عليه، وهذا غير نهيه عن المنكر أو نصيحته بقصد رده عن الذنوب.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام: «من لقي أخاه بما يؤنبه أثبه الله في الدنيا والآخرة»<sup>(٣)</sup>.

#### هـ - إحصاء عثرات المؤمن

إحصاء عثرات المؤمنين بقصد الإساءة إليهم، واستغلالها لهتك حرمتهم، وهدم مروءتهم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يؤاخي الرجل وهو يحفظ زلاته فيعيّره بها يوماً ما»<sup>(٤)</sup>.

وعن إسحاق بن عمار قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا

(١) وسائل الشريعة ٨: ٥٩٢، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٥٩٦، ح ١.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٥٩٦، ح ٤.

(٤) وسائل الشريعة ٨: ٥٩٤، ح ١.

تَذَمُّوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَقْضِصْهُ وَلَوْ فِي بَيْتِهِ»<sup>(١)</sup>.

## و — سَبُّ الْمُؤْمِنِ وَالطَّعْنُ فِيهِ

سَبُّ الْمُؤْمِنِ أَوْ لَعْنُهُ أَوْ الطَّعْنُ عَلَيْهِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَعْتَبَرِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام فِي رَجُلَيْنِ يَتَسَابَلَانِ قَالَ: «الْبَادِي مِنْهُمَا أَفْظَلُ، وَوَزَرُهُ وَوَزَرُ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَعْذُرْ إِلَى الْمَقْذُومِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ رَجُلًا مِنْ تَمِيمٍ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَكَانَ فِيمَا أَوْصَاهُ أَنْ قَالَ: لَا تَسِبُوا النَّاسَ فَتَكْسِبُوا الْعَدَاوَةَ لَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.  
وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَظْمَةِ جَلَالِهِ وَقُدْرَتِهِ، فَمَنْ طَعَنَ عَلَيْهِ أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللَّعْنَةَ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ صَاحِبِهَا تَرَدَّتْ بَيْتَهُ وَبَيْنَ الَّذِي يَلْعَنُ، فَإِنْ وَجِدْتَ مَسَاغًا وَإِلَّا رَجَعْتَ إِلَى صَاحِبِهَا، وَكَانَ أَهَقَ بِهَا، فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنًا فَيُحِلَّ بِكُمْ»<sup>(٥)</sup>.

## ز — اغتصاب المؤمن:

نَكَرَ الْمُؤْمِنُ فِي غَيْبَتِهِ بِسُوءِ يَكْرِهِ، وَكُشِفَ عِيُوبُهُ الْمَسْتُورَةُ، وَهُوَ مَا يَعْبُرُ عَنْهُ بِـ (الغَيْبَةِ) الَّتِي صَرَّحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِتَحْرِيمِهَا، وَوَصَفَهَا بِأَكْلِ لَحْمِ الْمَيِّتِ

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٤، ج ٣.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٦١٠، ج ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٦١٠، ج ٢.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٦١٢، ج ٥.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٦١٣، ج ١.

﴿وَلَا يَنْتَبِ بِكُمْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ أَكْثَرُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا تَكَرَّمُوا﴾<sup>(١)</sup>.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال في مؤمن ما رآته عيناه وسمعته أنفاه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَخِجَ الْفُجْجَةُ فِيهِمْ﴾ مَا سَرُ لَهُمْ عَذَابُ آيِمٍ»<sup>(٢)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأبي نر: «يا أبا نر، إياك والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنى. قلت: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: لأن الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها. يا أبا نر، بسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه. قلت: يا رسول الله، وما الغيبة؟ قال: تذكر لخلك بما يكره. قلت: يا رسول الله، فلن كان فيه الذي يذكر به، قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبتته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتته»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحملهم فلم يكنهم، ووعدهم فلم يخلفهم كان ممن حرمت غيبته، وكملت مروته، وظهر عدله، ووجبت لخوته»<sup>(٤)</sup>.

وقد استثنى الفقهاء من حرمة الغيبة غيبة الفاسق المتجاهر بفلسفه، فعن الصادق عليه السلام قال: «إذا جاهر الفاسق بفلسفه فلا حرمة له ولا غيبة»<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ خَلْفِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِمَّا

(١) المجازات: ١٢.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٨، ح ٦.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٨، ح ٩.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٩٧، ح ٢.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٤، ح ٤.

عرفه الناس لم يفتبه، ومن ذكره ومن خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته»<sup>(١)</sup>.

### ح — البهتان

ولا شك أن بهتان المؤمن أعظم ظلماً من الغيبة، فقد ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام: «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعته الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال. قلت: وما طينة خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج المومسات»<sup>(٢)</sup>.

### ط — النميمة

التميمة وإفساد العلاقات بين المؤمنين والتفريق بينهم، فقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشامون بالتميمة، المفترقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعاييب»<sup>(٣)</sup>.

وعن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته لأبي ذر قال: «يا أبا ذر، لا يدخل الجنة القتات. قلت: يا رسول الله، ما القتات؟ قال: النقام. يا أبا ذر، صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة. يا أبا ذر، من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا فهو ذو وجهين في النار. يا أبا ذر، المجالس بالامانة، وإفشاءك سر أخيك خيانة، فلجتنب ذلك واجتنب مجلس العثرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٤، ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٦٠٣، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٦١٦، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٦١٧، ح ٤.

## ي سه التهمة

اتهام المؤمن، أو إظهار سوء الظن به.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا اتهم المؤمن لخواه اتماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع امر أخيك على أحسنه حتى ياتيك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»<sup>(٢)</sup>.

## نماذج راقية من العدل في العلاقات

لقد بالغ الشارع المقدس في التأكيد عملياً على (العدل) في العلاقات الاجتماعية والمعاشرة، تعبيراً عن رسوخ هذه القاعدة المهمة في إرساء البناء الفوقي لها.

ويمكن أن نذكر بهذا الصدد بعض المصانيق التي لها دلالتها الخاصة في هذا المجال:

## أ - التجاني

نهي الشارع المقدس عن التجاني بين شخصين، وهو: الخفت والإسرار في الحديث، فيما إذا كان هناك شخص ثالث معهما، وقد عاب القرآن الكريم هذا العمل على بعض المسلمين عندما نهاهم عنه ثم عادوا إليه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَهْوُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ وَيَنْجَوْنَ يَأْتِيهِمْ وَالْقَتُونَ وَمَعُونَتِ الرَّسُولِ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) وسائل الشريعة ٨: ٦١٣، ح ١.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٦١٤، ح ٣.

(٣) المجادلة: ٨.



وقد ورد في الحديث الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان القوم ثلاثة فلا يتناجى»<sup>(١)</sup> منهم اثنان بون صاحبهما، فإن في ذلك ما يحزنه ويؤنيه»<sup>(٢)</sup>.

#### ب — تقسيم اللحظات

يحسن بالإنسان إذا تحنّت إلى جماعة من الناس أو جلس إليهم أن يقسم لحظاته بينهم بالسوية، فقد ورد في الحديث المعتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية. قال: ولم يبسط رسول الله ﷺ رجله بين أصحابه قط، وإن كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله ﷺ يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل إذا صافحه قال بيده فنزعها من يده»<sup>(٣)</sup>.

#### ج — الاعتراض في الحديث

ينبغي عدم اعتراض المتحدث المسلم في حديثه، وقطعه أثناء التحدث، فقد روى الكليني بطريق معروف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من عرض لأخيه المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خشن وجهه»<sup>(٤)</sup>.

(١) هكذا ورد في المصادر، وقد تكون «لا» نافية، فتكون الجملة خبرية متضمنة معنى النهي.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٤٧٢، ح ١.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٤٩٩، ح ١.

(٤) وسائل الشريعة ٨: ٤٧٢، ح ١.

## رابعاً: حسن الخلق والتودد إلى الناس

عرفنا في استعراض الأسس والقواعد أنَّ حسن الخلق والتودد إلى الناس يمثلان الأساس لمنهج الانفتاح من ناحية، وللمضمون الأخلاقي للعلاقات، وهو الحب من ناحية أخرى، بل يتكامل هذا الحب ليصبح إيماناً وبنياً وعقيدة إذا كان في الله، كما هو مطلوب.

وقد اشرنا إلى بعض النصوص ذات العلاقة بتوضيح وتأكيد هذه القاعدة والأساس في العلاقات الاجتماعية.

ويمكن أن نجد هذه الحقيقة - أيضاً - في معالم أخرى عامة في العلاقات الاجتماعية تؤكد مضمون هذه القاعدة، مثل ما سبقنا الإشارة إليه في منهج الانفتاح من أنَّ الانقباض من الناس مكسبة لعداوتهم، وكذلك ما ورد من النهي عن المرأة والخصومة، أو التحذير من شحناء الرجال وعداوتهم.

مضافاً إلى ذلك نجد الشارح المقدس يؤكد هذا الاتجاه من النص على أنَّ يكون قموًن - في مجمل علاقاته بالآخرين - هيناً ليناً.

فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الهين القريب، اللين السهل»<sup>(١)</sup>.

ويؤيد ذلك أحاديث أخرى، مثل ما روي في الحديث: «المؤمنون هينون لينون، كالجمال الأنف إنَّ قيد انقاد، وإنَّ أنيخ على صخرة استناخ»<sup>(٢)</sup>.

هذا كله في العلاقات الاجتماعية، وأما في العلاقات السياسية أو في الالتزام

(١) وسائل شريعة ٨: ٥١٠، ح ١.

(٢) الكافي ٢: ٢٣٤، ح ١٤.

بواجباته وعهوده ومواثيقه أو إيمانه وعقيدته، فال المطلوب أن يكون المؤمن قوياً وصلباً وشديداً.

إنّ فلا بد من الجمع بين اللين في العلاقة الاجتماعية والقوة والشدة في المبادئ والإيمان.

ويؤكد ذلك ما ورد من أنّ المؤمن يتصف بطلاقة الوجه، وحسن البشر، فقد ورد في الحديث: «صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان المحبة، ويدخلان الجنة، والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله، ويدخلان النار»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أتى رسول الله ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: ألق أشاك بوجه منبسط»<sup>(٢)</sup>.

وعن الحسن بن الحسين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب، إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البشر»<sup>(٣)</sup>.

### خطوات ومراتب التودد والمداراة

وإذا تجلوزنا الترجه العام الذي وضعه الإسلام نحو حسن الخلق والمداراة والتودد، نأتي لتشير إلى مجموعة الخطوات العامة التي وضعها التشريع الإسلامي لتجسيد حسن الخلق والمداراة، مضافاً إلى ما سوف نشير إليه في القاعده الآتية، وهي: الإحسان واليد العليا؛ فإنّ ذلك يمثل أعلى مستوى لحسن الخلق والمداراة والتودد.

(١) الكليني ٢: ١٠٢، ح ٥.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥١٢، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥١٢، ح ٤.

فقد سبق في بُعد تقوية البناء الاجتماعي أهمية التزاور في تحقيق للمؤمنون العاطفي للعلاقة، وهو الحب؛ حيث إنَّ للحدث على الزيارة يحقق موضوع اللقاء بين المؤمنين، ويوجد الفرصة لحسن الخلق والمداواة، كما ورد أيضاً عن النبي ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام تأكيد أهمية الزيارة «يسر أربعة أميال رنَّ أخاً في الله»<sup>(١)</sup>.

كما سبق عن شعيب العفريقي أنه روى في حديثه عن الإمام الصادق قوله: «تزاوروا وتلاقوا»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «التواصل بين الإخوان في الحضر للتزاور»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ورد عنه عليه السلام أن من حقوق المسلم على أخيه المسلم أنه «إذا شهد فرز»<sup>(٤)</sup>.

كما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: «لا تملّ من زيارة إخوانك؛ فإنَّ المؤمن إذا لقي أخاه فقال له: مرحباً، كتب له مرحباً إلى يوم القيامة، فإذا صاحبه أنزل الله فيما بين إيهامهما مائة رحمة، تسعة وتسعون منها لأشدهما حباً لصاحبه، ثم أقبل الله عليهما بوجهه فكان على أشدهما حباً لصاحبه أشدَّ إقبالاً، فإذا تعانقا غمرتاهما الرحمة»<sup>(٥)</sup>.

وقد وضع أهل البيت عليه السلام مدفاً عاماً أمام هذه الزيارات واللقاءات والمداواة، وهو إيجاد مرتبة عالية من الحب والود والارتباط الروحي والنفسي، بحيث يعبر

(١) وسائل الشيعة ٨: ٢٤٨، ج ٣.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٢، ج ١.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٩٤، ج ٢.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٤٥، ج ٨.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٥٦٤، ج ٢.

عنه الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة «مخالطوا الناس مخالطة إن منكم معها بكوا عليكم، وإن عشتهم حنّوا إليكم»<sup>(١)</sup>.

فهذه المداراة ليست مجرد تظاهر شكلي حتى يحمل على كسب المصالح الخاصة أو النفاق، بل هي عمل له هدف ومضمون حقيقي، وهو الحب والود.

وباعتبار أنّ الزيارة والمخالطة لهما ذلك الشأن الخاص في العلاقات الاجتماعية، وذلك الدور في حسن الخلق والمداواة، نجد للشارع المقدس قد أهتم بوضع الأصول والقواعد والضوابط الجميلة لتحقيق أفضل النتائج من هذه الزيارات، وكان ذلك ضمن الخطوات التالية:

### الخطوة الأولى: اللقاء بالبشر والسلام

يمثل اللقاء للخطوة الأولى في العلاقات، ولذا كان شكل اللقاء وكيفيته هما الخطوة الأولى في التودد، وقد حث الإسلام في هذا المجال على عدة أمور، تأتي في مقدمتها الأمور الثلاثة التالية:

الأول: الابتداء بالسلام في اللقاء والميابة إليه أيضاً، فقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «البادي بالسلام أولى بإياه ورسوله»<sup>(٢)</sup>.

كما ورد في مضمون حديث آخر معتبر عن علي بن الحسين عليه السلام، أنّ من أخلاق المؤمن: ابتداءه المؤمنين بالسلام عليهم<sup>(٣)</sup>.

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بطريق معتبر أنه قال: «ابتدأوا بالسلام قبل

(١) نهج البلاغة ٤: ٤، الرقم ١٠.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٥، ح ١.

(٣) راجع الوسائل ٨: ٤٣٦، ح ٧.

الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»<sup>(١)</sup>.

وقد منح الإسلام للسلام شأناً خاصاً، وجعله شعاراً للمسلمين، ووضع له آداباً وقواعد كثيرة مفصلة ليأخذ موقعه من تعامل المسلمين بعضهم مع بعض؛ وقد ذكر صاحب الوسائل أكثر من عشرين باباً لبيان تفاصيل هذه الآداب والواجبات يحسن مراجعتها<sup>(٢)</sup>.

وقد أشرنا إلى بعض التفاصيل في طيات أحاديثنا السابقة، ولعلنا نوفق للإشارة إلى بعضها الآخر في موضوع نظام الشعائر والعبادات.

الثاني: لقاء المسلمين بالبشر، فقد ورد في حديث الثوري، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاث يصفين ود المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه»<sup>(٣)</sup>.

ويأتي في هذا المجال موضوع استحباب التبسم في وجه المؤمن، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «تبسم المؤمن في وجه أخيه حسنة، وصرفه الغنى عنه حسنة، وما عبد الله بمثل إدخال السرور على المؤمن»<sup>(٤)</sup>.

الثالث: إطابة الكلام في الحديث عند اللقاء، حيث ورد التأكيد على إفشاء السلام وإطابة الكلام.

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عز وجل يحب إفشاء السلام»<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٦، ح ١.

(٢) راجع الوسائل ٨: ٤٣٥ - ٤٥٤، و ٤٥٦ - ٤٥٨، وغيرها.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٤، ح ٢.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٣، ح ٢.

(٥) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٨، ح ١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «كان علي عليه السلام يقول: لا تُغضبوا ولا تُغضبوا. انشؤوا السلام، واطببوا الكلام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام، ثم تلا عليهم قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾»<sup>(١)</sup>.

### الخطوة الثانية: المصافحة والمعانقة والتقبيل والإخبار بالحب

وتُعدّ طريقة التعامل في اللقاء الخطوة الثانية، التي يمكن من خلالها أن يتجسد حسن الخلق والمداواة والتودد؛ وهنا نجد أن الشارع المقدس يؤكد عدة أمور ويحث عليها ويستحسنها، ليكون اللقاء وسيلة للتودد والمداواة، ومعبراً عن حسن الخلق، وهي:

الأول: المصافحة للمؤمن عند لقائه، حيث يعتبر ذلك شكلاً من أشكال التعبير عن الود والحب والولاء، فقد روي بطريق معتبر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أقبل الله عليهما بوجهه، وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة»<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت النصوص في بعض آداب ورسوم هذه المصافحة أيضاً، الأمر الذي يؤكد أهميتها ودورها ويجعلها شعاراً آخر من شعائر الإسلام<sup>(٤)</sup>.

الثاني: معانقة المؤمن وتقبيله عند لقائه تكديداً للحب والود، وتعبيراً عن حسن الخلق، فقد ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٨، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٤، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٤، ح ٥.

(٤) راجع وسائل الشيعة ٨، ب ١٢٧.

الصادق عليه السلام أنهما قالوا: «لما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا تقبل الله عليهما بوجهه، ثم يأمي بهما الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدِّي تزورا وتحياتا في: حقِّي علي أن لا أعذبهما بالنار بعد ذلك للموقف...»<sup>(١)</sup>.

وكنك ورد في الحديث الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتاهما الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلا وجه الله، ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا قيل لهما: مفعور لكما فاستأنفا، فإذا اقبلتا على المسألة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحوا عنهما، فإن لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما...»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة لقائه عليه السلام بلبن عمه جعفر بن أبي طالب عليه السلام بعد أن فتح الله عليه حصن خيبر بيد أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما جاء جعفر بن أبي طالب من الحبشة، قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة، وعانقه وقبل ما بين عينيه، وبكى وقال: لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً، بقنومك يا جعفر أم بفتح الله على يد أخيك خيبر؟ وبكى فرحاً برؤيته»<sup>(٣)</sup>.

كما روي بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن من تمام التحية للمقيم المصافحة، وتمام التسليم على المسافرين المعانقة»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٦٣، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٦٣، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٥٥٩، ح ١، مع هامشه.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٤٩، ح ١.



**الثالثة:** إخبار المؤمن أخاه المؤمن بحبه ومودته، إذ إن الكشف عن هذه العاطفة، والتعبير عنها تارة يتم من خلال العمل، كالمصافحة والمعانقة والتقبيل كما من، وأخرى يكون عن طريق الكلام وإخباره بهذه المودة، وقد ورد في هذا المعنى بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا أحببت رجلاً فأخبره بذلك، فإنه للبت للمودة بينكما»، وفي رواية أخرى «فإنه لبقى للمودة وخير في اللغة»، وفي ثالثة «إذا أحببت أحداً من إخوانك فاعلمه ذلك؛ فإن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْفَى بِوَعْدِي قَالَ إِنَّهُ لَمَنْ يُطِيعُنَّ قَوْلِي﴾»<sup>(١)</sup>.

### الخطوة الثالثة: آداب المجلس والمحادثة

وطريقة التعامل في المجلس والمحادثة تعتبر الخطوة الثالثة في حسن الخلق والمداواة، ومن هنا نجد أن التشريع الإسلامي قد أولى هذا الموضوع اهتماماً خاصاً يمكن أن نلاحظه في الأمور التالية:

#### الأول: آداب الجلوس

آداب الجلوس وطريقة التعامل في المجالس والاجتماعات، وهي عديدة:

أ - لتفسيح والتوسعة في المجالس، وكذلك الانتشار والنشور والقيام منها عند انتهاء وقت الاجتماع والجلوس العادي، حيث نص القرآن الكريم على ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَسَبَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَاسْبَحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَكُم بَرَاءَةٌ وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ دَرَجَاتٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ينبغي للمجلساء

(١) راجع الوسائل ٨: ٤٢٤، ج ٢، ٣.

(٢) لمجلة: ١١.

قي للضيف أن يكون بين كل اثنين مقدار عظم الذراع لئلا يشق بعضهم على بعض»<sup>(١)</sup>.

كما ورد عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَكَّيْنَاكَ مِنَ الْظَمِينِ﴾<sup>(٢)</sup> قال: «كان يوسع المجلس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضعيف»<sup>(٣)</sup>.

مضافاً إلى تلك نجد التأكيد من الشارع المقدس لمجموعة من الأدب في هذا المجال، فراجع كتاب الوسائل.

ب - استقبال وتوديع الإنسان الذي يقصد المجلس، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام بطريق مشهور أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من حق الدخول على أهل البيت أن يمشوا معه هنيئة إذا دخل وإذا خرج»<sup>(٤)</sup>.

ج - الجلوس حيث يأمر صاحب البيت، لأن صاحب البيت هو أعرف بالمواضع المناسبة للجلوس فيه، سواء فيما يتعلق بإكرام الضيف، أم ما يتعلق بصاحب المنزل من شؤون، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم في بيته فهو أمير عليه حتى يخرج»<sup>(٥)</sup>.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «إذا دخل أحدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل، فإن صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه»<sup>(٦)</sup>.

د - كيفية الجلوس، فقد روى السيد عبد العظيم الحسيني أنه: «كان

(١) وسائل الشريعة ٨: ٤٠٥، ب ٤، ح ٢.

(٢) يوسف: ٧٦، ٧٨.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٤٠٥، ح ١.

(٤) وسائل الشريعة ٨: ٤٧١، ح ١.

(٥) وسائل الشريعة ٨: ٤٧١، ح ٧٠.

(٦) وسائل الشريعة ٨: ٤٧٦، ح ١.

## مور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة (ج ٢)

النبي ﷺ يجلس ثلاثاً: القرقصاء، وهو أن يقيم ساقيه ويستقبلهما بيديه، ويشد يده في نراعه، وكان يجثو على ركبتيه، وكان يثني رجلاً واحدة ويبسط عليها الأخرى، ولم يُزََّ ﷺ متربعاً قطه<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في جلسة التربع بعض الروايات عن أهل البيت ﷺ تدل على صحتها إذا كانت للاستراحة المؤقتة، حيث جاء التعبير عنها في حديث عن علي بن الحسين ﷺ أنه قال: «إنما جلست هذه الجلسة للملالة»<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أن هذه الهيئات الثلاثة إنما كانت تمثل منتهى الأسب من ناحية، والاقتصاد في المكان من ناحية أخرى بما يتلاءم مع الأوضاع الاجتماعية والحيوية لذلك العصر.

هـ- التواضع في الجلوس، وهو أن يجلس الإنسان في أدنى مجلس إليه إذا دخل، فقد ورد عن أبي عبد الله ﷺ بطريق معتبر قال: «من رضي بنون للشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم»<sup>(٣)</sup>.

وهذا هو المروي أيضاً في أخلاق رسول الله ﷺ، حيث روي عن الصادق ﷺ قوله: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل»<sup>(٤)</sup>.

ويأتي في هذا الباب استحباب أن يستقبل الجالس القبلة في جلوسه، وعدم استقبال الشمس فيه، لما يترتب على ذلك من آثار معنوية ومادية<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٢، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٢، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٤، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٤، ح ٢.

(٥) راجع الرسائل ٨: ٤٧٥، ب، ٧٦، ٧٧.

## الثاني: تسميت العاطس

تسميت العاطس، وهو أن يقال للرجل حين يعطس: يرحمك الله، فيقول له: «يهديكم الله ويصلح بالكم» أو غير ذلك من الأدعية، مثل: «يغفر الله لكم ويرحمكم» أو «يغفر الله لنا ولك» فإن هذا الالب في الاجتماع مما أكده أهل البيت عليه السلام ناسياً برسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، يقول: الحمد لله رب العالمين لا شريك له، ويقول: يرحمك الله، فيجيب يقول له: يهديكم الله ويصلح بالكم، ويجيبه إذا دعاه، ويشيعه إذا مات»<sup>(١)</sup>.

كما روي عنه عليه السلام أيضاً قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عطس الرجل فسمتوه ولو كان من وراء جزيرة»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الباب توجد مجموعة من الآداب والتعاليم، مثل أن يقول العاطس: الحمد لله، واستحباب الصلاة على محمد وآله بعد ذلك، وتكرار التسميت عند تكرار العطاس ثلاثاً، وجواز تسميت النمي، وغير ذلك من الشؤون<sup>(٣)</sup>.

## الثالث: أدب المحادثة

المحادثة، والآداب والالتزامات التي يحسن أن تتحكم فيها، وقد سبق أن أشرنا إلى عدة أبعاد في هذا المجال، مثل: لزوم حفظ السر والأمانة فيها؛ لأن

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٥٩، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٥٩، ح ٢، وفي الباب روايات أخرى ناقعة في المقام.

(٣) راجع الوسائل ج ٨، أبواب أحكام العشرة، ب ٥٧ - ٦٦.

المجالس بالأمانة، وليس لأحد أن يحث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه، إلا أن يكون ثقة أو ذكراً له بخير، وغير ذلك من الاستثناءات<sup>(١)</sup>.

وكذلك مثل كراهة أن يتناجى اثنان مع وجود صاحب لهما ثالث.

ومثل كراهة اعتراض حديث المسلم وقطعه؛ لأن «من عرض لأخيه المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه» كما يقول رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

#### الرابع: أدب الضحك

المزاح والضحك، وقد سبق الحديث في ضبط الانفعالات، أن القهقهة من الضحك شيء مذموم؛ حيث جاء وصفها في الحديث المعتبر أنها من الشيطان، وكذلك دعوة الأئمة ﷺ إلى قلة المزاح، إذ إنه يذهب بعاء الوجه، ويجر السخيمة، ويورث الضغينة.

ولكن المزاح والضحك للمحورين بدون إكثار ولا فحش شيء محبوب للشارع، وهو يعبر عن نوع من التودد والتحبب، ومن ثم الانسجام مع الوضع الروحي والنفسي للمحادثة، والمجلس في حنود الآداب الاجتماعية العامة.

ورد عن معمر بن خلاد بطريق معتبر، قال: «سالت أبا الحسن ﷺ فقلت: جعلت فداك، الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون، فقال: لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش، ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يفتيه الأعرابي فيهدي إليه للهية ثم يقول مكانه: أعطنا ثمن هبيلنا، فيضحك رسول الله ﷺ، وكان إذا اغتم يقول: ما فعل الأعرابي؟ ليعته ثمننا»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع الوسائل ٨: ٤٧١، ب ٧١.

(٢) راجع الوسائل ٨: ٤٧٢، ب ٧٢ و ٧٣.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٧، ح ١.

كما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله يحب المداعب في الجماعة بلا رفث»<sup>(١)</sup>.

وعن يونس الشيباني قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل، قال: فلا تفعلوا، فإن المداعبة من حسن الخلق، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد أن يسره»<sup>(٢)</sup>.

وعن الفضل بن أبي قرعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا وفيه دعابة، قلت: وما الدعابة؟ قال: المزاح»<sup>(٣)</sup>.

#### الخامس، قبول الكرامة

قبول الإحسان والكرامة عند تقديمهما؛ لأنه من ألوان التودد والتحبب وحسن الخلق، وقد ورد في أحاديث عديدة الحث على قبول الكرامة، وأنه لا يردها إلا حمار، وهي مثل التوسعة في المجلس والوسادة تقدم له، والطيب كذلك، أو أي شيء آخر يقدم للإنسان من أجل تكريمه في الاجتماعات واللقاءات.

روى عبد الله بن جعفر في قرب الإسناد بطريق معتبر عن الصادق، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا عُرض على أحدكم الكرامة فلا يردّها، فإنما يردّ الكرامة الحمار»<sup>(٤)</sup>.

وسئل الرضا عليه السلام عن معنى الكرامة فقال: «لا يلجئ الكرامة إلا حمار،

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٨، ح ٥.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٨، ح ٤.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٧، ح ٣.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٧، ح ٧.

فقلت: ما معني ذلك؟ قال: ذلك في الطيب يعرض عليه، والتوسعة في المجالس، من إياهما كان كما قال<sup>(١)</sup>.

وأضيف في بعض الروايات الوسادة وكل ما يكرم به الرجل<sup>(٢)</sup>.

### الخطوة الرابعة: الاحترام والتبجيل

لا شك أنّ جميع موارد الإحسان والمعروف تُعدّ مصائب لحسن الخلق والتودد والتحبب للناس، كما عرفنا ذلك في القاعدة الخامسة، وسوف نثبتين بعض التفاصيل والتوضيحات لذلك عندما نتناول البناء الفوقي للقاعدة الخامسة أيضاً.

والاحترام والتوقير يدخلان في باب المعروف والإحسان، وكل منهما أحد مصابيقه، ولكن لما كان لهذا الموضوع ارتباط بموضوع اللقاءات والاجتماعات كان من المناسب أنّ نذكره في هذا الباب (التودد والتحبب)، لأنه جاء مختصاً بهذا الموضوع.

وقد أولى الشارع المقدس هذا الموضوع اهتماماً خاصاً - أيضاً - من خلال مجموعة من التشريعات والآداب والرسوم نشير إلى بعضها:

١- تعظيم الأصحاب وتوقيرهم، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم، ولا يتهجم بعضكم على بعض...»<sup>(٣)</sup>.

وقد تقدم في المعاملة الخاصة بالإشارة إلى توقير ذوي الشبهة والكبراء من الناس وإجلالهم، وأنه إجلال لله تعالى.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٧٠، ح ٥.

(٢) راجع الحديثين ٣، ٤ من الباب السابق.

(٣) الكافي ٢: ١٧٢.

ب - إكرام الشرفاء والكرام من القوم، بل عموم الواقفين من الأشخاص الذين يأتون إلى الاجتماعات، وقد عرفنا جانباً من ذلك في موضوع كرامة ردّ الكرامة، ويشير إلى ذلك أيضاً ما فعله رسول الله ﷺ بعدي بن حاتم من توقيف له، فقد روى أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لما قدم عدي بن حاتم إلى النبي ﷺ ابتخله النبي بيته، ولم يكن في البيت غير خضفة ووسادة آدم، فطرحها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ لُكِرِمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنُ بكلمة يلطفه بها، وفُرج عنه كبريته، لم يزل في ظل الله الممدود عليه من الرحمة ما كان في ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتاكم شريف قوم فلكرموه»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»<sup>(٤)</sup>.

وقد فسّر الشريف في الرواية بصاحب المال، والحسب بالانفعال للحسنة، والكرم بالتقوى<sup>(٥)</sup>.

بل إنّ هذا الحكم هو أعم وأشمل، فقد ورد في حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أتاه أخوه المسلم فلكرمه فإنما أكرم الله عز وجل»<sup>(٦)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٩، ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٩١، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٨، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٤٦٩، ح ٢.

(٥) راجع للوسائل ٨: ٤٦٨، ح ١.

(٦) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٠، ح ١.



ج - نكر الإنسان بأحب الأسماء إليه، وكذلك نكره بكنيته إذا كان حاضراً، فإن في ذلك توقيراً له، وتوقداً إليه.

روى الكليني بطريق معتبر عن أبي الحسن عليه السلام قال: «إذا كان للرجل حاضراً فكنهه، وإذا كان غائباً فسمه»<sup>(١)</sup>.

ولعل هذا الفرق باعتبار أن الاسم يعرف الإنسان تعريفاً أقوى، وعندما يكون غائباً يكون أحوج إلى هذا التعريف، بخلاف ما إذا كان حاضراً فإن في حضوره تعريفاً له.

وقد سبق عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاث يصفين وذو المرأة لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه»<sup>(٢)</sup>.

وروي أن رسول الله ﷺ كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم، واستمالة لقلوبهم، ويكني من ليس له كنية، فكان يدعو بما كناه به.

وكان أيضاً يكني النساء اللاتي لهن أولاد، واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى، وكان يكني الصبيان فيستلين قلوبهم.

فقد روي أن عمر قال لصهيب: «ما لك تكنى وليس لك ولد؟ قال: كنتاني النبي ﷺ بأبي يحيى»<sup>(٣)</sup>.

وروي أبو بكره قال: «تليت بكرة في الطائف فقال لي النبي ﷺ: فانت أبو بكره»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٦٧١، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٣٤، ح ٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٣: ٢٢٧.

(٤) تلموس الرجال ٢٠: ٤٠١ باختلاف يسير.

## خامساً: المعروف واليد العليا

في الحديث عن البناء الفوقي للقاعدة الخامسة - وهي الإحسان واليد العليا - نجد أمامنا أفقاً واسعاً؛ ذلك لأنّ للكثير من المفردات السابقة تدخل في باب الإحسان واليد العليا، وإنّ كان طابعها العام يتصف بصيغة أخرى.

فمثلاً في بُعد الافتتاح في المعاشرة أشرنا إلى إنشاء السلام وحرمة القطيعة والهجرة بين المؤمنين، باعتبارهما دليلين على هذا الاتجاه (الانفتاح) وهذا البعد في النظرية الإسلامية، ولكن في الوقت نفسه يعتبر إنشاء السلام وإنهاء الهجرة من قبل المظلوم إحساناً للظالم.

وهكذا الأمر في مبدأ التكافل الاجتماعي، ومبدأ التناصر والتراحم، ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي أشرنا إليها في قاعدة تقوية البناء الاجتماعي، أو حسن الظن وغض النظر عن أعمال السوء الشخصية أو الأذى الشخصي.

وكذلك الحال في صفة التواضع، والصبر على الحساد اللذين أشرنا إليهما في قاعدة ضبط العواطف والانفعالات، فإنّ جميع ذلك أيضاً من الإحسان والمعروف.

ولعل عموم حالات التردد والمجاملة وحسن الخلق - التي أشرنا إليها سابقاً - هي أيضاً ألوان من الإحسان والمعروف. وهكذا الكثير من الواجبات والالتزامات الشرعية أو الاجتماعية، فإنها تعتبر أيضاً ألواناً من الإحسان واليد العليا في مجمل حركة الإنسان في مجال العلاقات.

إذا سوف نقتصر في بحث البناء الفوقي لهذه القاعدة على الإشارة إلى جوانب أربعة ترتبط بهذه القاعدة:

## الجانب الأول: ضوابط الإحسان

وهي: الأصول والضوابط العامة في الإحسان، التي تعتبر - أيضاً - جانباً مهماً من النظرية الإسلامية في العلاقات؛ ونشير هنا إلى ضوابط عامة في موضوع الإحسان:

### الضابطة الأولى: الموازنة بين الربح والخسارة

إن الإحسان وإن كان محبوباً بصفة عامة، ويميز عن سمة الإيثار في أكثر موارد، لأنه ينطلق من مفهوم الأخوة والعدل والمساواة بين المؤمنين، ولكن لا بد للإنسان أن يلاحظ فيه ألا يكون ضرره وخسارته أكبر من النفع والفائدة التي تلحق أخاه المؤمن، كما يصنع الإنسان مع نفسه تعاملاً في باب المعاملات والمعاوضات، فإنه حينما يقدم مالاً أو حقاً عوضاً عن مال أو حق، يلاحظ أن تكون منفعته أكثر، أو مساوية على الأقل.

وقد ورد في ذلك الحديث عن أهل البيت عليهم السلام، فقد روى الحسن بن محمد الطوسي في مجالسه بسند معتبر عن إسماعيل بن خالد قال: «سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: جمعنا أبو جعفر عليه السلام فقال: يا بني، إياكم والتعرض للحقوق، واصبروا على الخوائب، وإن دلكم بعض قومكم إلى أمر ضرره عليكم أكثر من نفعه له فلا تجيبوه»<sup>(١)</sup>.

ونكر الكليني في الكافي هذا المعنى ضمن أحاديث متعددة عن الصادق والكاظم عليهما السلام: «لا تدخل لأخيك في أمر مضرتك عليك أعظم من منفعتك له»، و«لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضره عليك أكثر من منفعتك لهم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أمالي الطوسي، ٧٢، ج ١٠٧.

(٢) الكافي ٤: ٢٢ - ٢٣، ج ١، ٢.

### الضابطة الثانية: تعجيل المعروف

تعجيل المعروف لصاحبه وستره عليه، وتصغيره لديه، لما لذلك من نكاح روحية ونفسية واجتماعية على صاحب المعروف وأهله، فقد روى الكليني في الكافي والصديق في الفقيه والخصال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «رأيت المعروف لا يتم إلا بثلاث: تصغيره، وستره، وتعجيله، فإنك إذا صغرت عظمته عند من تصنعه إليه، وإذا سترته تكمته، وإذا عجلته هنتته، وإذا كان غير ذلك سخطته ونكته»<sup>(١)</sup>.

وبهذا المعنى جاء الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث، باستصغارها لتعظم، وباستكثامها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ»<sup>(٢)</sup>.

كما روي بسند معتبر عن حمزان عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «لكل شيء ثمرة، وثمره المعروف تعجيل السراح»، وفي رواية أخرى للصديق «تعجيله»<sup>(٣)</sup>.

### الضابطة الثالثة: وضع المعروف عند أهله

الاهتمام بوضع المعروف عند أهله من الناس، وهم خيارهم، فإذا كان ممن ليس من أهل المعروف لا يصح صنع المعروف له.

وهذه الضابطة لا تنافي ما أشرنا إليه سابقاً من صنع المعروف مع كل أحد، فإن ما ذكرناه هناك إنما هو في حالة عدم معرفة الناس، فيحسن بالإنسان أن يصنع المعروف لحبه المعروف، ولكن عندما يتبين له سوء حال الشخص الذي يريد أن يصنع إليه المعروف، وأنه ليس من أهله لا يصح له ذلك، لأنه لا

(١) الخصال: ١٢٣، ج ١٤٣.

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٢، الرقم ١٠١.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧، ح ١٦٩.

يستحقه فيضيع المعروف، بل تكون آثار صنع المعروف معه سلبية في بعض الأحيان، إذ يقطع سبيل المعروف بكفره وتكرانه له.

وقد وردت في هذا الموضوع روايات معتبرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، تؤكد روايات أخرى عديدة.

عن سيف بن عميرة قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام لمفضل بن عمر: يا مفضل، إذا أردت أن تعلم لشقي الرجل أم سعيد، فانظر سيبه ومعروفه إلى من يصنعه، فإن كان يصنعه إلى من هو أهله، فاعلم أنه إلى خير، وإن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنه ليس له عند الله خير»<sup>(١)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من كان له منكم مال فإياه والفساد، فإن إعطاءه في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرقع ذكر صاحبه في الناس، ويضعه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه، وعند غير أهله إلا حرمة الله شكرهم، وكان لغيره ونهم، فإن بقي معه بقية ممن يظهر الشكر له، ويريد النصح فإنما ذلك ملق وكذب، فإن زلت به النعل ثم احتاج إلى معاونتهم ومكافلتهم فالأم خليل، وشر خدين، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه، وعند غير أهله إلا لم يكن له من الحظ فيما أتى إلا محمدة اللثام وثناء الأشرار ما دلم منعاً مفضلاً، ومقالة الجاهل: ما أجوده، وهو عند الله بخيل، فاي حظ أبور وأخسر من هذا الحظ؟! وأي فائدة معروف أقل من هذا للمعروف؟! فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به العاني والأسير وابن السبيل، فإن الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥٢٢، ج ١.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٢٢، ج ٢.

وفي وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام قال: «يا علي، أربعة تذهب ضياعاً: الأكل على الشبع، والسراج في القصر، والزرع في السبخة، والصنعة عند غير أهلها»<sup>(١)</sup>.

### الضابطة الرابعة: تحمّل مؤنة المعروف

تحمّل مؤنة النعم التي يتفضل الله سبحانه وتعالى بها على عباده، وذلك من خلال المزيد من الإنفاق وصنع المعروف، فإنّ الإنسان إذا أُنعم الله عليه بنعمة ظاهرة يتوجه إليه الناس - بطبيعة الحال - فيثقلونه بالطلبات والحاجات، فينشأ له بسبب ذلك الكثير من الضغط والكلفة.

والضابطة التي وضعها أهل البيت عليه السلام لذلك هو أنّ يتحمّل الإنسان مؤنة هذه النعمة، ويصبر على هذا الضغط، ويلبي هذه للطلبات، فإنّ ذلك يكون سبباً لاستدامتها وبقائها واستمرارها، ويؤمن ذلك قد تتعرض هذه النعمة إلى الزوال.

وقد نبّه أهل البيت عليه السلام شيعتهم والجماعة الصالحة من أتباعهم إلى هذه الحقيقة، والسنة الكونية في النعم الإلهية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من عظمت نعمة الله عليه اشتدت مؤنة الناس إليه؛ فاستقيموا للنعمة باحتمال المؤنة، ولا تعرضوها للزوال، فقلّ من زالت عنه النعمة فكادت أن تعود إليه»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبان بن تغلب قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام للحسين الصفاق: يا حسين، ما ظاهري على عبد النعم حتى ظاهري عليه مؤنة الناس، فمن

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥٢٣، ج ٤.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٤٩، ج ١.

صبر لهم وقام بشأنهم زاده الله في نعمه عليه عندهم، ومن لم يصبر لهم ولم يقم بشأنهم أزال الله عز وجل عنه تلك النعمة»<sup>(١)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الله تعالى في كل نعمة حقاً، فمن أذاه زاده الله منها، ومن قصر خطر بزوال نعمته»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: «إن الله عياداً يختصهم بالنعمة لمنافع العباد، فيقرها في أيديهم ما بذلوا، فإذا منعوها نزعها منهم ثم حوّلها إلى غيرهم»<sup>(٣)</sup>.

### الضابطة الخامسة: شكر النعم والمعروف

شكر النعم وصنائع المعروف، فإن الإنسان إذا تفضل الله عليه بنعمة من عنده، أو بتسخير عبد من عباده ليحسن له ويصنع المعروف إليه، فلا بد له أن يشكر هذه النعمة وهذا المعروف؛ فإن شكر النعم سبب لاستمرارها وبقائها، وكفرانها سبب لزوالها، ومن أفضل أنواع الشكر صنع المعروف إلى الآخرين، والإحسان لهم، وكذلك شكر الله المنعم، وشكر عباده المحسنين.

عن محمد بن عجلان قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أحسنوا جوار النعم، قلت: وما حسن جوار النعم؟ قال: الشكر لمن أنعم بها، وإداء حقوقها»<sup>(٤)</sup>.

وعن دلود بن سرحان قال: «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل سدير الصيرفي فسلم وجلس، فقال له: يا سدير، ما كفر مال أحد قط إلا كثرت الحجة لله تعالى عليه، فإن قدرتم تدفعونها»<sup>(٥)</sup> عن أنفسكم فافعلوا، فقال: يا

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥٤٩، ح ٤.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٠، ح ٧.

(٣) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٠، ح ١٠.

(٤) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٢، ح ٣.

(٥) مكنا وردت، وفي مجالس ابن التليخ الذي نقل عنه الوسائل: «فإن قدرتم أن تدفعوها».

بن رسول الله، بماذا؟ فقال: بقضاء حوائج إخوانكم من أموالكم، ثم قال: تلقوا النعم يا سخير بحسن مجاورتها، واشكروا من أنعم عليكم، وأنعموا على من شكركم، فإنكم إذا كنتم كذلك استوجبتم من الله الزيادة، ومن إخوانكم المتأصحة، ثم تلا ﴿لَنْ يَشْكُرَكَ لَاحِدٌ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ويدخل في هذه الضابطة أيضاً مكافأة المعروف بمثله أو بضعفه، أو الدعاء لصاحبه بالخير وحسن الجزاء، فإن ذلك لون من ألوان الشكر على المعروف.

فقد سبق ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافاه، ومن أضغفه كان شكوراً، ومن شكر كان كريماً، ومن علم أن ما صنع إنما صنع إلى نفسه لم يستطع الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في موبتهم. ولا تلتبس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعلم أن الطالب إليك الحلجة لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن رده»<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كفك يثناؤك على أخيك إذا أسدى إليك معروفاً أن تقول له: جزاك الله خيراً، وإذا نكر وليس هو في المجلس أن تقول: جزاك الله خيراً، فإن أنت قد كافأته»<sup>(٣)</sup>.

ولذلك حث أهل البيت عليه السلام على شكر المعروف، وأنكروا كفرانه كما سبق ذلك، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطع سبيل المعروف؟ قال: الرجل يُصنع إليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من أن يصنع تلك إلى غيره»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٢، ح ٧.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٣٦، ح ١.

(٣) وسائل الشريعة ١١: ٥٣٧، ح ٧.

(٤) وسائل الشريعة ١١: ٥٣٩، ح ١.



وعنه عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أتى إليه معروف فليخافني به، فإن عجز فليئثن عليه، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة»<sup>(١)</sup>.

وعن عمار الدهني قال: «سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إن الله يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور. يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبده يوم القيامة: «شكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا رب، فيقول: لم تشكرني إن لم تشكره، ثم قال: اشكركم الله اشكركم للناس»<sup>(٢)</sup>.

### الجانب الثاني: أداء الحقوق

في صنيع المعروف والإحسان يكون من خلال أداء الحقوق التي وضعها الله تعالى على الإنسان المسلم أو المؤمن لآخيه المسلم، وقد مرت الإشارة إلى بعض هذه الحقوق سابقاً، ونشير هنا إلى بعض النماذج والمصانيق الأخرى التي تعبر عن البناء الفوقي لهذا الجانب. علماً بأن بعض هذه الحقوق واجب، وبعضها مستحب.

#### ١ - الرق بـ الرقيق

إذا رافق إنسان إنساناً آخر في طريق أو سفر أو دراسة أو في إنجاز عمل معين أصبح لهذا الرفيق حق على رفيقه، يقتضي الرق به والإحسان إليه وصنيع المعروف لديه، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يؤكد هذه الحقوق.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما نجراً وأحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه»<sup>(٣)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٩، ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٩، ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٩٢، ح ٧.

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا كنتم في سفر فمرض أحدكم فاقيموا عليه ثلاثة أيام»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - قضاء حاجة المؤمن

إن قضاء الحاجات التي يلجأ المؤمن في قضائها إلى إخوانه هي ومن جملة الحقوق للمؤمنين على إخوانهم، وقد أشرنا في بعض الأبحاث السابقة إلى أن ذلك من الحقوق العامة للمؤمنين على إخوانهم؛ وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام روايات عديدة تؤكد لاستحباب ذلك بصفة عامة، وللثواب الجزيل المترتب عليه فضلاً عن الآثار الوضعية الدنيوية التي يكون قضاء الحاجة سبباً في وجودها.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده يهتم بها قلبه فيدخله الله بهمة الجنة»<sup>(٢)</sup>.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى: علي ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة»<sup>(٣)</sup>.

عن إسماعيل بن عمار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمن رحمة على المؤمن؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسيبها له، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عز وجل ساقها إليه وسيبها له، وانخر الله عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون للمردود عن حاجته هو الحاكم فيه، إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره» (إلى أن قال):

(١) وسائل الشيعة ٨: ٤٩٢، ح ٣.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٦، ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٦، ح ٤.

استيقن أنه لن يردها عن نفسه يا إسماعيل، من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً»<sup>(١)</sup>.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إيما مؤمن سأل أخاه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها فردّه عنها سلط الله عليه شجاعاً في قبره ينهش من أصابعه»<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - تضريح كربة المؤمن

ومن هذه الحقوق أن يقوم الإنسان المؤمن بتفريح كربة أخيه المؤمن عندما يصاب بشدة أو يتعرض لمحنة وضيق.

عن زيد الشحام قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أغاث أخاه المؤمن اللهقان عند جهده فنفس كربته، وأعانته على نجاح حاجته كتب الله عز وجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشتة، وينخر له إحدى وسبعين رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله»<sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب»<sup>(٤)</sup>.

### ٤ - الستر على المؤمن ورد السوء عنه

ومن هذه الحقوق ستر عيوب المؤمنين وعوراتهم، وما يرتكبون من ذنب

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٧، ح ٥.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٧٩، ح ١٠.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٨٦، ح ١.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٧، الرقم ٢٤.

في خفاء وغفلة، وكذلك تكذيب ما ينسب إليهم من سوء إذا كانوا ينكرون ولا يقولون به.

فقد روى الكليني في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «يجب للمؤمن على المؤمن أن يستتر عليه سبعين كبيرة»<sup>(١)</sup>.

كما روى بإسناده عن علي عليه السلام أنه قال: «لو وجدت مؤمناً على قاحشة لسترته بثوبي هذا»<sup>(٢)</sup>.

كما روى القطب الراوندي عن أمير المؤمنين هذا النص في حديث بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(٣)</sup>.

كما ورد أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة في دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه تقاويل الرجال. أما إنه قد يرمي الرامي وتخطي السهام، ويُحِيل الكلام، ويأطل تلك بيور، والله سميع وشهيد. أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع. فستل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الباطل أن تقول سمعتُ، والحق أن تقول رأيتُ»<sup>(٤)</sup>.

## ٥ - النصيحة للمؤمن

ومن جملة الحقوق أيضاً وجوب النصيحة للمؤمنين، والإخلاص في العمل من أجلهم والصديق فيه، فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن الإمام

(١) الكافي ٢: ٢٠٧، ح ٨.

(٢) دعائم الإسلام ٢: ٤٤٦، ح ١٥٥٩.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ١٦: ١٨٧، ح ٢، وفي الباب أحاديث أخرى.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٣، ح ٣.

الصديق والياقر عليه السلام أنهما قالا: «يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب»<sup>(١)</sup>.

وقد سبق ما ورد عن رسول الله ﷺ من أنه قال: «الحين للنصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ورسوله ولأئمة الدين ولجماعة المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ورد بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إنما مؤمن مشي في حلجة أخيه فلم يناصره فقد خان الله ورسوله»<sup>(٣)</sup>.

وقد تقدم في الأبحاث السابقة أن من المعروف الذي يستحقه المؤمن من أخيه المؤمن إكرامه، كما تقدم في التكافل الاجتماعي، وجوب معونة المؤمن عند الضرورة، وتقدم في المعاملة الخاصة بعض الحقوق للمؤمن على إخوانه المؤمنين.

### الجبانب الثالث: التنازل عن الحقوق المستحقة

التنازل عن الحقوق التي يستحقها الإنسان من الآخرين، وعدم مطالبتهم بالإتصاف لنفسه، فإن هذا التنازل وغض النظر عن حقه من أفضل صنائع المعروف، ومن عزم الأمور، كما يعبر عنه القرآن الكريم: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>، كما أن اجر المغفرة والصفح على الله تعالى: ﴿وَمَن ذَا سِتْرٍ سِتْرُ اللَّهِ عَظَمًا مَّنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٢٠٨، ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٤ - ٥٩٥، ح ٧.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٦، ح ٢.

(٤) الشورى: ٤٣.

(٥) الشورى: ٤٠.

وقد تم تأكيد هذا الاتجاه في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ضمن مجموعة من المفردات، وقد ورد عنهم - كما سنشير إليه - أنَّ التنازل عن الحقوق هو خير أخلاق الدنيا والآخرة.

### المضردة الأولى: العفو والصفح

العفو والصفح والمغفرة للمسيء، خصوصاً عند القدرة على العقاب والخذل بالثأر أو استرجاع الحق، ويترتب على العفو آثار وضعية دنيوية، وآثار معنوية ذاتية، وآثار أخروية من الثواب والأجر الجزيل.

وكل ذلك وردت فيه روايات وأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام.

فقد روى الكليني بطريق معتبر في الآثار الوضعية الدنيوية عن ابن فضال، عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «ما التقت فتتان قط إلا نُصر أعظمهما عفواً»<sup>(١)</sup>.

وروى أيضاً عن إسماعيل بن زياد السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: عليكم بالعفو فإنَّ العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فتعافوا يعزكم الله»<sup>(٢)</sup>.

وروى الصدوق عن رسول الله ﷺ قال: «عفو الملك تبقى للملك»<sup>(٣)</sup>.

وعن علي عليه السلام قال: «العفو زكاة الظفر»<sup>(٤)</sup>.

وفي جانب الآثار المعنوية ما رواه الرضي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا قبرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً

(١) الكافي ٢: ١٠٨، ح ٨.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥١٩، ح ٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨١، ح ٥٨٣.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٣٦.

للقدرة عليه»<sup>(١)</sup>، وقال عليه السلام: «أولى الناس بالعفو أقدروهم على العقوبة»<sup>(٢)</sup>، وفي هذين النصين بيان لما يحصل عليه الإنسان من تكامل ذاتي، من خلال العفو عند القدرة في شكره لله تعالى، وفي تفضيله على الآخرين.

وفي جانب الأجر والثواب ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يبين عظم جزاء أهل الحلم والعفو: من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله الذي رواه عنه الباقر عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ يسمع آخرهم كما يسمع أولهم فيقول: أين أهل الفضل؟ فيقوم عُقٌّ من الناس فيستقبلهم الملائكة فيقولون: ما فضلكم هذا الذي نوبيتم به؟ فيقولون: كنا يُجهل علينا في الدنيا فنحمل، ويساء إلينا فنعفو، فينادي منادٍ من الله تعالى: صدق عبادي، خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب»<sup>(٣)</sup>.

#### المفردة الثانية: قبول العذر

إذا اساء شخص إلى آخر بقول أو فعل ثم جاءه معترراً عن ذلك، فإنَّ من المعروف والإحسان، الذي يكون مصداقاً للتنازل عن الحقوق هو قبول عذره.

فقد روى الصدوق في الفقيه عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي عليه السلام قال: «يا علي، من لم يقبل للعذر من متنصل صادقاً كان أو كاتباً لم ينل شفاعتي»<sup>(٤)</sup>.

وروى أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده محمد بن الحنفية قال: «لا تصرم لك على ارتياب، ولا تقطعه نون استهتاب، لعل له

(١) نهج البلاغة ٤: ٤٨، الرقم ١١.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٤، الرقم ٥٢.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٥٢٠، ج ١٠.

(٤) وسائل الشريعة ٨: ٥٣٣، ج ١.

عذراً وانت تلوم به. اقبل من متنصل عذراً صادقاً كان لو كاذباً فتنالك  
لشفاعة»<sup>(١)</sup>.

وردى الكليني في الروضة عن أبي الحسن عليه السلام في حديث أن علي بن  
الحسين قال لولده: «وإن شئتكم رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر  
إليك فاقبل عذره»<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ في هذه الأحاديث الثلاثة أنها جاءت من قبل المعصومين  
توصية لأولادهم وأهل بيتهم؛ لأن مثل هذا العمل من الأخلاق يمثل أعلى  
درجات التكامل.

### المفردة الثالثة: إنظار المعسر وإبرأؤه

إنظار المدين المعسر وتأجيله في الدين؛ فإن ذلك من الواجبات الشرعية  
التي نص عليها القرآن الكريم، والأفضل هو إبراء ذمته، والتصدق عليه بذلك، فقد  
قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِّدُونِ الْمَسْكِينِ ذُو عِشْرَةٍ فَنُظِرُوا لَكَ مِيسَرَةً وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت الروايات المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام في تأكيد هذا الأمر  
بأساليب متعددة.

فعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن  
رسول الله صلى الله عليه وآله قال في يوم حاز وحنا كفه: من أحب أن يستظل من فور  
جهنم - قالها ثلاث مرات - فقال الناس في كل مرة: نحن يا رسول الله، فقال:  
من تظفر غريباً أو ترك المعسر. ثم قال لي أبو عبد الله عليه السلام: قال عبد الله

(١) وسائل مشيئة ٨: ٥٥٢، ح ٢.

(٢) الكليني ٨: ١٥٣، ح ١٤١.

(٣) البقرة: ٢٨٠.



بن كعب بن مالك: إن لي أخبرني أنه لزم غريباً له في المسجد، فالتقى رسول الله ﷺ فدخل بيته ونحن جالسان، ثم خرج في الهاجرة، فكشف رسول الله ﷺ سترة فقال: يا كعب، ما لتما جالسين؟ قال: نعم بابي وامي، قال: فأنشأ رسول الله ﷺ بكفه خذ النصف، قال: فقلت: بابي وامي، ثم قال: اتبعه ببقية حقه. قال: فلو أخذت النصف ووضعت له النصف»<sup>(١)</sup>.

وعن معاذ بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من أراد أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله - قالها ثلاثاً - فلهبه الناس أن يسألوه، فقال: فليختر معسراً، أو ليدع له من حقه»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، ليلخ الشاهد منكم الغائب. ألا ومن تنظر معسراً كان له على الله عز وجل في كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْفَنَاءَ فَأُولَئِكَ يَفْقَهُونَ﴾ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّهُ مَعْسَرٌ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِمَا لَكُمْ عَلَيْهِ، فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

#### المفردة الرابعة: تحليل الميت والحي من الدين

تحليل الميتين من الدين، ولا سيما الميت، فإن ذلك من أفضل أنواع الصدقات، وأرقى درجات الإحسان، حيث يُحسن إليه بالفرض - كما سوف نشير إليه - ويحسن إليه أيضاً بإبراء ذمته وتحليله مرة أخرى.

وقد أكد أهل البيت عليه السلام هذا النوع من الإحسان والتنازل عن هذا الحق، فقد

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥٤٦، ج ٢.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٤٦، ج ١.

(٣) وسائل الشريعة ١١: ٥٤٦، ج ٤.

روى الكليني في الكافي عن الحسن بن خنيس قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن لعبد الرحمان بن سيابة ديناً على رجل قد مات، وكلمناه أن يحلّه فأبى، فقال: ويحه! أما يعلم أن له بكل درهم عشرة إذا حلّله، فإذا لم يحلّه فإنما له درهم بدل درهم»<sup>(١)</sup>.

وعن معتب قال: «دخل محمد بن بشر الوشاء على أبي عبد الله عليه السلام فسأله أن يكلم شهاباً أن يخفف عنه حتى ينقضي الموسم، وكانت له عليه ألف دينار، فأرسل إليه فاتاه، فقال له: قد عرفت حال محمد وانقطاعه إلينا، وقد ذكر أن لك عليه ألف دينار لم تذهب في بطن ولا فرج، وإنما ذهبت ديناً على الرجال، ووضائع وضعها، فلما أحب أن تجعله في حل، فقال: لحلك ممن يزعم أنه يقبض من حسناته فتعطاهما، فقال: كذلك هو في أيدينا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله أكرم وأعدل من أن يتقرب إليه عبده فيقوم في الليلة القفرة، ويصوم في اليوم الحار، ويطوف بهذا البيت ثم يسلبه ذلك فتعطاه، ولكن له فضل كثير يكافئ المؤمن، فقال: هو في حل»<sup>(٢)</sup>.

وفي ختام هذا الجانب لا بد أن نشير أيضاً إلى وجود مجموعة من المفردات الأخرى، التي تعبّر عن هذا النوع من الإحسان - الذي هو التنازل عن الحقوق - وقد تقدم الحديث عنها، كحرمة القطيعة مع المؤمنين حتى لو كان الإنسان مظلوماً؛ فإنه لا يجوز الهجرة أكثر من ثلاثة أيام، وكذلك غض النظر، وغير ذلك.

### الجانب الرابع: اليد العليا في الإحسان

هو أن يكون الإنسان ذا يد عليا في الإحسان والمعروف بتحقيق هذه اليد

(١) الكافي ٤: ٣٦، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٤٨، ح ٢.

تحققاً جليلاً وفضلاً عندما يبادر الإنسان إلى المعروف وصنعه مع الناس، أو تكون درجته العالية هو أن يصنع المعروف مع من أساء إليه أو ظلمه أو قطعته، وهو ما تعبّر عنه بردّ الإساءة بالإحسان. فهنا مستويان:

### المستوى الأول: المبادرة إلى المعروف

نجد في أخلاق العلاقات الاجتماعية الماثورة عن أهل البيت عليهم السلام مفردات كثيرة، أشير إلى بعضها في حسن الخلق وفي التودد والمجاملة وفي تقوية البناء الاجتماعي، وبقية الأبحاث السابقة، وهنا نشير إلى بعض النماذج والمفردات.

**المفردة الأولى:** الإنفاق على الأصدقاء والمؤمنين والمسلمين عامة، سواء أكان ذلك بصفة صدقة أم هدية، أم غير ذلك من صنائع المعروف المالي التي يقوم بها الإنسان، والتي تفي مصارع الهوان، كما عبّر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام <sup>(١)</sup>.

وقد ورد تأكيد الإنفاق في القرآن الكريم كثيراً، ومنه قوله تعالى: **هَؤُلَاءِ نَبَأُوا الْإِبْرَ حَتَّى تَتَفَقَّهُوا مِمَّا جُبُنُوا عَنْهُ** <sup>(٢)</sup>.

كما وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام في استحباب الصدقات وأهميتها، وأثارها النبوية والأخروية، مثل: «إنّ الصدقة تقضي الدين وتخلف بالبركة» و«تدفع ميتة السوء» و«البرّ والصدقة ينقيان الفقر ويزيدان في العمر» و«إنّ الله ليعطي بالواحدة عشرة إلى مائة ألف فما زاد» و«استنزلوا الرزق بالصدقة» وأنّ الصدقة «ما تقع في يد السائل حتى تقع في يد أقرب جلّ جلاله» و«أرض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن، فإنّ صدقته تظله»

(١) راجع نهج البلاغة ١: ٢١٦، الخطبة ١١٠.

(٢) آل عمران: ٩٢.

و«الصدقة جُنة من النار» و«ياولوا مرضاكم بالصدقة» و«لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه أربع خصال: يحسن خلقه، وتسخو نفسه، ويمسك الفضل من قوله، ويخرج الفضل من ماله»<sup>(١)</sup>.

ولاهمية هذا الموضوع نجد أن أهل البيت عليهم السلام قد عالجوا فيه مختلف الجوانب والآداب التي يمكن الرجوع إليها في كتب الحديث، واكتوأتية القربة وضرورة العمل بها قليلاً أو كثيراً، وعدم ردّ للسائل، وكذلك صدقة السر والمبادرة فيها، والأوقلت الشريفة لها، وتقديم صدقة المؤمن على العبادات الأخرى المستحبة، وشمول الصدقة لجميع الناس، وكذلك الدواب، وفضل صدقة الرحم<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد التأكيد الكثير لصنع المعروف، وخصوصاً الإنفاق العام في أحاديث أهل البيت عليهم السلام. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن من بقاء المسلمين وبقاء الإسلام أن تصير الأموال عند من يعرف فيها الحق، ويصنع المعروف، وإن من فناء الإسلام وفناء المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق، ولا يصنع فيها المعروف»<sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل معروف صدقة»<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «المعروف شيء سوى الزكاة، فتقربوا إلى الله عز وجل بالبر وصلة لرحم»<sup>(٥)</sup>.

وعن الباقر عليه السلام قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة،

(١) راجع الوسائل ٦: ٢٥٥ - ٢٥٩، من أحاديث الباب الأول من أبواب الصدقة.

(٢) راجع الوسائل ٦: ٢٥٥، ٢٣٦.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٢١، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٢١، ح ٢.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٥٢٢، ح ٧.

وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، ولؤل أهل الجنة دخولاً إلى الجنة أهل المعروف، وإن لؤل أهل النار دخولاً إلى النار أهل المنكر»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي بصير قال: «تكرنا عند أبي عبد الله عليه السلام الأغنياء من الشيعة، فكانه كره ما سمع منا فيهم، فقال: يا أبا محمد، إذا كان للمؤمن غنياً وصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه، أعطاه الله لجر ما يتفق في لجر مرتين ضعفين؛ لأن الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا أَمْؤَلَكُرْ وَلَا أَوْلَدَكُرْ بِاللَّيْلِ تَرْيَكُ عِنْدَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ سَلَامًا فَآوَلَيْكَ لَمَّ بَرَّةٌ الْيَتِيمَ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي التَّوْفَاتِ ءَاسُونَ﴾»<sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «أئما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً فقد أوصل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»<sup>(٣)</sup>.

المفردة الثانية: إطعام الطعام وبذله ودعوة الناس إليه، ولذلك جعل الإسلام هذا العمل من الأعمال الدينية، كما في بعض الكفارات، ومن المراسم الاجتماعية، كما في مراسم الزواج والسفر وغيرها.

وقد وردت عن أهل البيت عليه السلام روايات عديدة في فضل هذا العمل وأهميته، منها ما ورد بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من الإيمان حسن الخلق وإطعام الطعام»<sup>(٤)</sup>.

وقد سبق في رواية أخرى عنه عليه السلام قال: «من المنجيات إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١٦: ٥٢٣، ح ١٠.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٥٢٤، ح ١٣.

(٣) وسائل الشيعة ١٦: ٥٢٤، ح ١٥.

(٤) وسائل الشيعة ١٦: ٥٥٤، ح ٢.

(٥) وسائل الشيعة ١٦: ٥٥٤، ح ٥.

كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام بطريق معتبر، كما قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحِبُّ إِهْرَاقَ الدَّمَاءِ، وَإِطْعَامَ الطَّعَامِ»<sup>(١)</sup>، والمقصود هنا من إهراق الدماء هو ذبح الذبائح، وتوفير اللحم في الطعام.

وفي رواية أخرى معتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قال: «الرِّزْقُ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يَطْعَمُ الطَّعَامَ مِنَ السَّكِينِ فِي السَّنَامِ»<sup>(٢)</sup>.

المفردة الثالثة: إقراض المؤمنين وسد حاجاتهم عن هذا الطريق الذي يحفظ ماء وجه المؤمن، ويغيث لهفته، ويرفع ضيقه، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام الحث على هذا المعروف، وفضله على الصدقة، وقرنوه بالصلاة والعبادة.

روى الكليني بطريق معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ اقْرَضَ مُؤْمِنًا يَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَسَبَ اللَّهُ لَهُ نَجْرَهُ بِحَسَابِ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ مَالُهُ»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ اقْرَضَ مُسْلِمًا».

كما روى أيضاً بطريق معتبر عنه عليه السلام قال: «مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ: الصَّدَقَةُ بِعَشْرَةٍ، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية الصدوق عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الصَّدَقَةُ بِعَشْرَةٍ، وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ، وَصَلَةُ الْإِخْوَانِ بِعَشْرِينَ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ بِأَرْبَعَةٍ وَعَشْرِينَ»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية أخرى للكليني عن عتبة بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام لَوْ عَثَرَ

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٤، ج ٦.

(٢) وسائل الشريعة ١١: ٥٥٤، ج ٨.

(٣) الكافي ٤: ٢٤، ج ١.

(٤) الكافي ٤: ٢٤، ج ٢.

(٥) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِي ٢: ٦٧، ج ١٧٢٨.

بن عمران قال له: «إنني رجل موسر فقال له: بارك الله لك في يسارك، قال: ويحيي الرجل فيسألني الشيء، وليس هو إيمان زكاتي، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: القرض عندنا بثمانية عشر، والصدقة بعشرة، وماذا عليك إذا كنت كما تقول موسراً أعطيتك، فإذا كان إيمان زكاتك احتسبت بها من الزكاة. يا عثمان، لا تثرنه فإن رثه عند الله عظيم»<sup>(١)</sup>.

المقدمة الرابعة: البر بالمؤمنين وإدخال السرور عليهم واللفظ بهم وإتحافهم، فإن في ذلك المزيد من الإحسان والمعروف واليد العليا عليهم، وقد ورث الأحاديث المتعددة في البحث على هذا النوع من الإحسان والمعروف.

فقد روى الكليني بطريق معتبر عن أبي حمزة الثمالي قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: من سر مؤمناً فقد سرنى، ومن سرنى فقد سر الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

وعن مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث صحيح قال: «أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: إن العبد من عبادي ليلقيني بالحسنة فليبجحه جنتي، فقال داود عليه السلام: يا رب، وما تلك الحسنة؟ قال: تدخل على عبيد المؤمنين سروراً ولو بتمر، قال داود: يا رب، حق لمن عرفك ألا يقطع رجاءه منك»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٣٤، ح ١.

(٢) الكافي ٢: ١٨٨، ح ١.

(٣) الكافي ٢: ١٨٩، ح ٦.

(٤) الكافي ٢: ١٨٩، ح ٢.

وعن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتَه يقول: إِنَّ مِمَّا خَصَّ اللهُ بِهِ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَعْرِفَهُ بَرُّ إِخْوَانِهِ وَإِنَّ قَلَّ، وَلَيْسَ لِلْبَرِّ بِالكَثْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيُؤَيِّرُونَ مَلَأَ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُؤَيِّرْ شَيْئًا نَفْسِي، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وَمَنْ عَرَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَفَاهُ أَجْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا جَمِيلُ، أَرَوْا هَذَا الْحَدِيثَ لِإِخْوَانِكَ فَإِنَّهُ تَرْغِيبٌ فِي الْبَرِّ»<sup>(١)</sup>.

وعن بكر بن محمد قال: «كثير ما كان يوصينا به أبو عبد الله عليه السلام البرَّ والصلة»<sup>(٢)</sup>.

وعن سعد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ أَخَذَ مِنْ وَجْهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ قِذَاءً كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ أَخِيهِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

وعن زيد بن أرقم قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في أمّتي عبد فلفظ أخاه في الله بشيء من لطف إلا أطفاه الله من خدم الجنة»<sup>(٤)</sup>.

### المستوى الثاني، ردّ الإساءة بالإحسان

ردّ الإساءة بالإحسان، فإنّ ذلك يعني أعلى درجة في الإحسان، فأداء الحقوق الواجبة يُعدّ الدرجة الأولى، والتنازل عن الحق يُعدّ الدرجة الثانية، والمبادرة إلى الإحسان يُعدّ الدرجة الثالثة، ولما أنّ يحسن الإنسان في مقابل الإساءة فهذا هو أعلى المستويات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المستوى من

(١) وسائل الشيعة ١١: ٥٩١، ج ١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٢، ج ٤.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٥٨٩، ج ١.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٥٩٠، ج ٣.



الإحسان في وصف الخاصة من المؤمنين، وجعله فرضاً على الأنبياء في عدة مواضع: ﴿وَالَّذِينَ سَمِرُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَٰئِكَ قَدْ عُبِيَ الدَّارُ﴾ (١).

وقد ورد عن أهل البيت عليه السلام روايات عديدة تؤكد هذا الخلق وتجعله (خير الخلائق) وأعلامه، وتذكر هذه الروايات عدة نماذج ومصاديق يبطل بها الإنسان تجسّد هذا الخلق للفاضل.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ في خطبة: ألا أخبركم بخير خلائق ([اخلاق]) الدنيا والآخرة؟ العفو عن ظلمك وتصل من قطعك والإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك» (٢).

وفي رواية معتبرة عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «سمعتُه يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة» (٣).

وعن محمد بن علي بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد ابن الحنفية قال: «لا يكونن لذك على قطيعتك أقوى منك على صلتك، ولا على الإساءة إليك أقدر منك على الإحسان إليه» (٤).

(١) الرعد: ٢٢، المؤمنون: ٩٦، القصص: ٥٤.

(٢) الكافي ٢: ١٠٧، ح ١.

(٣) الكافي ٢: ١٠٨.

(٤) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٧.

وعن زرارة قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنا أهل بيت مروءتنا العفو عمن ظلمنا»<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن جعفر بن محمد قال: «إن محمد بن إسماعيل شاء أن يستأنس عمه أبا الحسن موسى عليه السلام في الخروج إلى العراق، قال: فأنن له، فقام محمد بن إسماعيل فقال: يا عم أحب أن توصيني، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، قال: ثم ناوله أبو الحسن عليه السلام صرة فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها محمد، ثم ناوله أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أعطاه أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده، فقلت له في ذلك فاستكرهه، فقال: هذا ليكون لوكد لحجتي عليه إذا قطعني ووصلته، ثم ذكر أنه سعى بعمه إلى الرشيد وأنه يدعي الخلافة ويحيي له الخراج، فأمر له بمائة ألف درهم ومات في تلك الليلة»<sup>(٢)</sup>.

## سادساً: القدوة والسلوك المتميز

لا شك أن إيجاد الإنسان الأسوة والقدوة من أهم الأهداف التي استهدفها أهل البيت عليه السلام في بناء الجماعة الصالحة، كما أشرنا إلى ذلك في عدة مواضع من الأهداف والخصائص والجانب الروحي والاخلاقي، وفي الأسس والقواعد لنظرية العلاقات الاجتماعية وغيرها من المواضع، باعتبار أن القدوة لها أبعاد في التأثير.

وهنا نريد أن نتحدث عن البناء الفوقي الذي رسعه أهل البيت للقدوة في العلاقات الاجتماعية وتأثيرها في هذا المجال.

(١) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٨.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٥٢٢، ح ٩.

## القنوة والعلاقات الاجتماعية

ونجد أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون وجود العلاقة بين القنوة والعلاقات الاجتماعية وأثرها في ترسيخ دعائم هذه العلاقات وتحقيق الغرض منها.

فقد روى الشريف الرضي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أصلح سريره أصلح الله علاقته، ومن عمل لبيته كفاه الله أمر دينه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس»<sup>(١)</sup>. فإنّ الفقرة الأخيرة من هذا النص تشير إلى وجود العلاقة بين صلاح النفس وصلاح العلاقات الاجتماعية مع الناس، وأنّ القنوة الصالحة تكامل للإنسان في نفسه كما هي تكامل في المجتمع الإنساني.

وقد تقدم في (الصحبة) النصيحة من أهل البيت بمصاحبة الأخيار، باعتبار تأثير العلاقات الاجتماعية والسلوك العام للإنسان بالصاحب، فعندما يكون خيراً وقنوة يكون له تأثير في طبيعة الإنسان الآخر؛ ولذلك جاءت التوصية من رسول الله بهذا الشأن على ما رواه ابن عباس قال: «قيل: يا رسول الله، أي الجلساء خيراً؟ قال: من تذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله»<sup>(٢)</sup>. فإنّ الفقرتين الأولى والأخيرة ترتبطان بتأثير القنوة على الآخرين في العلاقات.

وفي هذا المجال يمكن أن نقسم الصفات للقنوة ذات التأثير في العلاقات الاجتماعية إلى قسمين:

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٩ الرقم ٤٢٣.

(٢) وسائل الشريعة ٨: ٤١٢، ح ٤.

أحدهما: الصفات التي تعبر عن الارتباط بين الإنسان القنوة مع الله تعالى،  
والتي عبر عنها قول أمير المؤمنين عليه السلام «من أحسن فيما بينه وبين الله...».  
ثانيهما: الصفات التي تعبر عن السلوك المتميز للإنسان القنوة في  
العلاقات الاجتماعية.

### الارتباط بالله تعالى

أما القسم الأول من الصفات فقد ذكرها الأخلاقيون وعلماء الحديث في  
جهاد النفس والصفات الحميدة، وهي كثيرة نشير هنا إلى أهمها، وهي: اليقين  
بالله تعالى، وحسن الظن به، والتوكل عليه، والحب لله، والرجاء له، والخوف منه.  
وقد اهتم أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة بهذه الصفات، باعتبارها  
الأساس الروحي والأخلاقي لشخصية الإنسان الصالح؛ وقد تناولنا هذا الجانب  
سابقاً في البناء الروحي والأخلاقي عندما أشرنا إلى موضوع جهاد النفس  
والخلوط العامة له.

وهنا نشير إلى بعض الأحاديث الشريفة ذات الصلة بهذه الصفات مما  
يرتبط بالعلاقات الاجتماعية:

١ - ورد في موضوع (اليقين بالله) عن أبي عبد الله الصائغ عليه السلام أنه قال:  
«ليس شيء إلا وله حد، قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟ قال: اليقين، قلت:  
فما حد اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث تعبير عن الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يَلْعَنُونَ مَنْ كَذَّبَ اللَّهُ وَخَسَمُونَهُ  
وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانَ بِاللَّهِ حَصِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ١٥٨، ح ٤.

(٢) الأحزاب: ٣٩.

وفي رواية أخرى معتبرة توضيح لصلة اليقين بالعلاقات الاجتماعية. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره؛ ولو أن لحكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأمره رزقه كما يدركه الموت، ثم قال: إن الله بعثه وقسطه جعل للروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»<sup>(١)</sup>.

٢ - إن التوكل على الله تعالى في العمل الاجتماعي، والحركة السياسية في المجتمع صفة مهمة في القدرة، بعد أن يبذل الإنسان كل جهده ويستجيب لوظيفته في هذا العمل والحركة. وقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكأت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في اتجاه وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين، ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدنيا، فرزق الله حاضر للبر والفاجر؟ قلت: ما علي هذا لحزن، وإنه لكما تقول، قال: فعلى الآخرة، فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر (أو قال: قاهر)، قلت: ما علي هذا لحزن، وإنه لكما تقول، فقال: مم حزئك؟ قلت: مما نتخوف من فتنة بن الزبير وما فيه الناس، قال: فضحك ثم قال: يا علي بن الحسين عليه السلام، هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عني»<sup>(٢)</sup>.

فإن الإمام وإن كان قد طرح في السؤال موضوعاً اجتماعياً، وهو التخوف

(١) وسائل الشيعة ١١: ١٥٨، ج ٥.

(٢) الكافي ٢: ٦٣، ج ٢.

من فتنة ابن الزبير وآثارها على الناس، لكن الجواب جاء يؤكد على التوكل بعد أن لم يكن باليد شيء من العمل يقوم به الإمام عليه السلام.

٣- إن حسن الظن بالله تعالى في سيرة العبد في حياته الدنيوية والأخروية له آثار عظيمة في الحياة كلها؛ فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «أحسن الظن بالله، فإن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث معتبر عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال علي منبره: والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن؛ لأن الله كريم بيده الخير يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن حسن الظن هذا له انعكاس طبيعي على النظرة إلى العلاقات الاجتماعية مع الناس وثباتها واستمرارها.

فقد روى الصدوق في من لا يحضره الفقيه بإسناده في وصية علي عليه السلام لولده محمد بن الحنفية قال: «ولا يغلبن عليك سوء الظن بالله عز وجل؛ فإنه لن يدع بينك وبين خليلك صلحاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١١: ١٨١، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ١٨١، ح ٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٨٥، ح ٥٨٢٤.

٤ - إنَّ حب الله من أعظم الصفات التي تنسحب على جميع مناحي حياة الإنسان؛ وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (٢).

وقد وردت روايات أهل البيت عليهم السلام تؤكد هذه الصفة في العلاقات الاجتماعية، وتجعلها قائمة على أسس الحب في الله والبغض في الله تعالى، واعتبرت أنَّ حقيقة الدين، هو هذا الحب وهذه المودة، كما سبق أنَّ أشرنا إلى ذلك عندما تحدثنا عن محتوى العلاقة الاجتماعية، وقلنا: إنها هي المودة والحب، وأعلى مستوى لهذه المودة وهذا الحب أنَّ يكونا حباً ومودة في الله تعالى.

فقد سبقت رواية الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من أحب الله وبغض الله وأعطى الله فهو ممن كمل إيمانه» (٣).

وفي رواية أخرى معتبرة عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين قام مناء فنادى يسمع للناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم غنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، قال: فتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، قال: ويقولون: وأي حزب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: أي شيء كنتم أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله، قال: فيقولون: نعم نجر العاملين» (٤).

(١) آل عمران: ٣١.

(٢) البقرة: ١٦٥.

(٣) الكافي ٢: ١٢٥، ح ١.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٤٣٢، ح ٦.

وفي رواية ثالثة صحيحة للسند عن أبي عبيدة زياد الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) أنه قال له: «يا زياد، ويحك! وهل الدين إلا الحب؟! ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أو لا ترى قول الله لمحمد عليه السلام: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِسْلَامَ وَرَزَقَكُمُ فِي الْكُوفَةِ﴾ وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ حَبَّرَ لِسْلَهُمْ﴾ فقال: الدين هو الحب، والحب هو الدين»<sup>(١)</sup>.

\* - ومن هذه الصفات العالية رجاء العبد لله تعالى في كل أمر مهما ضاقت به الأحوال أو اشتدت عليه الأمور أو تراكمت عليه الذنوب، والخوف من الله تعالى في كل الأحوال مهما صلح حاله أو كثرت عبادته، وقد أكد القرآن الكريم على هذه الصفة في مواضع عديدة عندما تحدث عن المؤمنين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِمْ أَوْفَرُ بَرٍّ وَرَبُّهُمْ رَحِيمٌ وَكَذَلِكَ عَدَابُكَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُتَحْسِبِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية عن علي بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان نبي يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران، نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»<sup>(٥)</sup>.

وعن حماد بن عيسى، عن الصابق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «كان فيما أوصى به لقمان لابنه أن قال: يا بني خف الله خوفاً لو جثته بغير

(١) وسائل الشيعة ١١: ٤٣٥، ج ٧.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) الإسراء: ٥٧.

(٤) الأعراف: ٥٦.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ١٧٠، ج ٤.



الثقلين خُفَّتْ أَنْ يَعْتَبِكَ اللهُ، وَارْجُ الله رجاءً لو جئته بنُحُوبِ الثقلين رجوت أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكَ»<sup>(١)</sup>.

وروى الشريف الرضي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة له: «يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو الله، كَذِبٌ وَالْعَظِيمُ، مَا بَالُهُ لَا يَتَّبِعُنْ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا غُرْفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ تَعَالَى اللهُ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ؛ يَرْجُو اللهُ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللهِ جَلُّ لَنَاؤُهُ يُقْصَرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ؟ اتَّخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَانِئاً؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِهِ إِعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَوَعْداً...»<sup>(٢)</sup>.

### الصفات التي تعبر عن السلوك المتميز

وأما القسم الذاتي، وهو الصفات التي تعبر عن السلوك المتميز والقوة في العلاقات الاجتماعية فهي عديدة، وقد تحدثنا عن عدد منها في هذا البحث حيث كان لها ارتباط بتلك الموضوعات، مثل: التواضع، والعفة، والحلم، والعفو، والرفق، وكظم الغيظ، ونشير هنا إلى مجموعة أخرى من مفردات هذه الصفات التي لها أهمية خاصة في العلاقات الاجتماعية، وتعبّر عن القوة في العلاقات، وهي: الصبر والزهد، والحياء، وأداء الأمانة، والقناعة، والورع عن المحارم، والاستدامة في العمل.

(١) وسائل الشيعة ١١: ١٧٠، ج ٦.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٥٧، الخطبة ١٦٠.



الصبر، فتعنوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكنبوه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على نكر الهي؛ فانزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْكَافِرِينَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا سَأَلْنَا مِنْ أَقْوَمٍ ۖ فَأَمَرْنَا عَلَىٰ مَا بُنِيتُمْ ﴿١﴾ فصبر النبي ﷺ في جميع نحواله، لم بشر في عثرته بالأثمة ﷺ ووصفوا بالصبر فقال جل ثناؤه: ﴿وَرَحِمْنَا نَبَهُمْ أَيْمَةً يَبُوتُ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ ، فعند ذلك قال النبي ﷺ: الصبر من الإيمان كالراس من الجسد، فشكر الله عز وجل ذلك له، فانزل الله عز وجل: ﴿وَوَكَّتُ كَيْتَ رَبِّكَ الْخُسْفَىٰ عَلَىٰ نَجْوَىٰ إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَتَّصِعُ مِنْهُ بَنُوعٌ ۖ وَقَوْمُهُ ۖ وَمَا كَانُوا بِشَيْءٍ ﴿٣﴾﴾ ، فقال ﷺ: إنه بشرى ولتقام، فلجأ الله عز وجل له قتال المشركين، فانزل الله ﷻ: ﴿فَاتَّبَعُوا الشَّرِيعَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهَا ۖ وَتَذَكَّرُوا ۖ وَأَحْضَرُوا ۖ وَأَقْبَدُوا لَهُمْ كُلَّ رَسُولٍ ﴿٤﴾﴾ ، ﴿وَأَقْبَلُوا حَيْثُ يَفْتُرُهُمْ﴾ فقتلهم الله على يدي رسول الله ﷺ ولصباته، وجعل له ثواب صبره مع ما اتخر له في الآخرة؛ فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقز [الله] له عينه في أعدائه مع ما يتخر له في الآخرة»<sup>(١)</sup>.

وعن محمد بن علي بن الحسين، عن أمير المؤمنين ﷺ في وصيته لمحمد ابن الحنفية قال: «لق عتك وأردات الهموم بعزائم للصبر؛ عود نفسك الصبر فتعم الخلق الصبر، واحملها على ما أصابك من أهوال الدنيا وهمومها»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «سمعت أبا جعفر ﷺ يقول:

(١) في المصحف الشريف (فاتكلوا).

(٢) الكافي ٢: ٨٨، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٢٠٨، ح ٣.

إني لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو أئز من الحنظل. إنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّا صَبَرُ وَشِيعَتُنَا أَصْبَرُ مِنَّا، قُلْتُ: جَعَلْتَ فِدَاكَ كَيْفَ صَارَ شِيعَتُكُمْ أَصْبَرَ مِنْكُمْ؟ قَالَ: لَأَنَا نَصْبِرُ عَلَى مَا نَعْلَمُ وَشِيعَتُنَا يَصْبِرُونَ عَلَى مَا لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(٢)</sup>.

### الزهد

يتعرض الإنسان في حياته ومعيشته وكذلك في علاقاته الاجتماعية إلى ضغوط للهوى وشهوات الدنيا ورغباتها المختلفة؛ الأمر الذي قد يريك كل مسيرة الإنسان عندما يريد أن يستجيب لكل هذه الشهوات والآفات؛ ومن ثم يحتاج إلى نظرة موضوعية للعالم وما فيها تجعله قادراً على التعامل مع كل هذه الأشياء، ومن خلال العقل والمصلحة وما ينتهي به إلى الكمالات الحقيقية، ويعني الزهد في الدنيا معرفة حقيقتها وموقعها من حياة الإنسان والنظرة الواقعية الصادقة؛ ولذلك نجد أن القرآن الكريم يحث على الزهد في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَهْوٌ وَرَيْثَةٌ وَأَفْهَامٌ يَنْتَكُمُ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأُمُودِ وَالْأَرْثِ كَذَلِكِ عَظِيَ أَهْجَبَ الْكَفَّارِ بَنَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَفَزِعْنَاهُ مَضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُبِينٌ وَمَنْ يَفْرُقْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَمَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٢٠٩﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنَ الْغَفْرِ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَ تَوَفَّاكَ لَذِيكُ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ فَاعِلٌ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١٠﴾ مَا أَهْلَابُ مِنْ

(١) وسائل الشيعة ١١: ٢٠٩، ح ٥.

(٢) الكافي ٢: ٩٣، ح ٢٥.

تُحِبُّونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي صَحْتِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَأَنَّكُمْ لَا يَصِفُ كُلُّ قَوْمٍ مَقُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴿١﴾

وقد جاء الحديث عن أهل البيت يؤكد هذا الاتجاه ويشرحه في سيرة الإنسان الصالح (القُدرة).

عن محمد بن يحيى عن الهيثم بن واقد الحريري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زهد في الدنيا ثبتت الله الحكمة في قلبه، وانطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام» <sup>(٢)</sup>.

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعتُه يقول: جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: لا يجد الرجل حلوة الإيمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا، ثم قال أبو عبد الله: حرام على قلوبكم أن تعرف حلوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا» <sup>(٣)</sup>.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا» <sup>(٤)</sup>.

وعن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد، فقال: «عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أننى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أننى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين

(١) الحديد ٢٠ - ٢٣.

(٢) الكافي ٢: ١٢٨، ج ١.

(٣) الكافي ٢: ١٢٨، ج ٢.

(٤) الكافي ٢: ١٢٨، ج ٣.

أدنى درجة الرضا. إلا وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل: ﴿لَيْكِلَا تَأْسَرَا عَنْ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مر رسول الله ﷺ بجدي أسك ملقى على مزبلة ميتاً فقال لأصحابه: كم يساوي هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حياً لم يساؤ درهماً، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده للندبا أهون على الله من هذا الجدي على أهله»<sup>(٢)</sup>.

وعن الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب قال: «سئل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله ﷺ أفضل من بقض الدنيا؛ وإن لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به للكبر، وهي معصية إبليس حين لبس واستكبر وكان من الكافرين، والحرص وهي معصية آدم وحوا<sup>(٣)</sup> حين قال الله عز وجل لهما: ﴿تَكَلَّأْ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحَا وَلَا تَزَا بَعْدَ الْبَعْدِ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على نزيتهما إلى يوم القيامة؛ وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه.

ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والشروة، فصورن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الاتبياء

(١) الكافي ٢: ١٢٨، ح ٤.

(٢) الكافي ٢: ١٢٩، ح ٩.

(٣) المعروف لدى الإمامية أن النهي لآدم عن أكل الشجرة كان نهياً تنزيهياً إرشادياً، والتعبير بالمعصية هنا تعبير مجازي.

(٤) في المصحف الشريف (فكلا).

والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا وإن: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة<sup>(١)</sup>.

### القناعة

وتكون القناعة جانباً من الخلفية النفسية للإنسان الذي يكون زاهداً في هذه الدنيا، ويكون قادراً نفسياً وروحياً على التعامل مع شهواتها ولذاتها، ولذلك لا بد للإنسان أن يربي نفسه على التحلي بهذه الصفة.

وقد أكد القرآن الكريم هذه الصفة في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا تَتَجَوَّعُ أَتَوَلَّيْتُمْ وَلَا أُولَدُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

أو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُنْ عَلَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَفْجُرَ فِيهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد الحديث عن أهل البيت عليهم السلام يؤكد هذه الصفة المتميزة في سلوك الإنسان.

ففي رواية عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة: ابن آدم كن كيف شئت كما تدين ثدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل، ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجوره<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السلام قال: «من قنع بما رزقه الله فهو من أغني الناس»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ٢: ١٢٠، ح ١١.

(٢) التوبة: ٥٥.

(٣) طه: ١٣٩.

(٤) الكافي ٢: ١٢٨، ح ٤.

(٥) الكافي ٢: ١٣٩، ح ٩.

وعن حمزة بن حران قال: «شكا رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه يطلب فيصيب ولا يقنع، وتنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه، وقال: علمني شيئاً أنتفع به، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ يَغْنِيكَ فَأَدْنِ مَا فِيهَا يَغْنِيكَ، وَإِنْ كَانَ مَا يَكْفِيكَ لَا يَغْنِيكَ فَكُلْ مَا فِيهَا لَا يَغْنِيكَ»<sup>(١)</sup>.

### الورع عن المحارم

ويعتبر الورع عن المحارم الجانب الآخر من الخلفية النفسية للزهد في الدنيا وشهواتها؛ حيث يجب على الإنسان أن يختار من الدنيا ما حلل الله تعالى له منها: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ مَنْ ذَلَّلِ الْفِيلَ أَمْ نَمْنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْهِمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. ويجتنب الفواحش والإثم والرجس والزور، وقد جعل الله تعالى في مقدمة صفات المؤمن بعد إيمانه بالله وتوكله عليه هذه الصفة: ﴿وَالَّذِينَ يَمْنُونُ كَثِيرًا أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مَخْرَجًا وَمَا تَرْجُو لَهُمْ عَصَابًا لَمْ يَقُولُوا هُمُ يَنْفَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

لذا جاء عن أهل البيت عليه السلام التأكيد لأهمية ودور اجتناب المحارم والورع عنها، ففي رواية عن علي بن إبراهيم، عن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: إني لا أملك إلا في السنين، فأخبرني بشيء أخذ به، فقال: أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، وأعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه»<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «كثيراً ما كنت أسمع بني يقول: ليس من

(١) الكافي ٢: ١٢٩، ح ١٠.

(٢) الأعراف: ٣٢.

(٣) الشورى: ٢٧.

(٤) الكافي ٢: ٧٦، ح ١.



شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله الورع منه»<sup>(١)</sup>.

وعن حنان بن سدير قال: «قال أبو الصباح الكناني لأبي عبد الله عليه السلام: ما تلقى من الناس فيك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: وما الذي تلقى من الناس في؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول: جعفري خبيث، فقال: يعيركم الناس بي؟ فقال له أبو الصباح: نعم. قال: فقال: ما أقل والله من يتبع جعفرًا منكم، إنما أصحابي من اشتد ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهوت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين تمضت عن محارم الله»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «فيما نلجى الله عز وجل به موسى عليه السلام: يا موسى، ما تقرب إليّ المعتقرون بمثل الورع عن محارمي، فإني أبيعهم جنات عدن لا تشرك معهم أحدا»<sup>(٤)</sup>.

## الحياة

ويعدّ الحياء صفة نفسية وخلقية عالية تمنع الإنسان من الاندفاع في الشهوات والانسياق مع الفرائز، وتعطي فرصة للعقل في التحكم بسيرة الإنسان واختيار الصالح فيها؛ ولذلك جاء التأكيد لأهمية هذه الصفة وخصوصاً في

(١) الكافي ٢: ٧٩، ح ١٥.

(٢) الكافي ٢: ٧٧، ح ٦.

(٣) الكافي ٢: ٨٠، ح ٢.

(٤) الكافي ٢: ٨٠، ح ٢.

النساء، باعتبار ما أودع فيها من الشهوة بما يزيد على الرجل؛ قرآن الحياء هو الذي يضبط هذه الشهوة.

لقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «خلق الله الشهوة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء في النساء، وجزءاً واحداً في الرجال؛ ولولا ما جعل الله فيهن من الحياء على قدر لجزاء الشهوة لكان لكل رجل تسع نسوة متعلقات به»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا نجد أن أهل البيت عليه السلام يجعلون الحياء من الإيمان، ويبنون الحياء فلا إيمان.

روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وعن معاذ بن كثير عن أحدهما عليه السلام قال: «الحياء والإيمان مقرونان في قرآن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»<sup>(٣)</sup>.

وعن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابنا، رفعه قال: «قال رسول الله ﷺ: الحياء حياءان: حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»<sup>(٤)</sup>.

#### الصدق وأداء الأمانة

ولعل من أكثر الصفات المتميزة ذات الصلة المباشرة بالعلاقات الاجتماعية، والتي تعبّر عن القدوة الصالحة هما الصدق والأمانة، وقد عرف عن رسول الله ﷺ أنه كان يوصف قبل البعثة بـ(الصادق الأمين)، وكان لهذه الصفة دور مهم في التأثير على مسيرة الدعوة الإسلامية.

(١) الكافي ٥: ٣٢٨، ح ١.

(٢) الكافي ٢: ١٠٦، ح ١.

(٣) الكافي ٢: ١٠٦، ح ٤.

(٤) الكافي ٢: ١٠٦، ح ٦.

[illegible]

وقد ورد حديث أهل البيت عليهم السلام ليؤكد هذه الصفة كثيراً، فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَالِحِ»<sup>(٤١)</sup>.

وعن إسحاق بن عمار وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تقفروا بصلاتهم ولا بصيامهم؛ فإنَّ للرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اخبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»<sup>(٤)</sup>.

وعن عمرو بن أبي المقدام قال: «قال لي أبو جعفر (عليه السلام) في أول ليلة دخلت عليه: تعلّموا الصديق قبل الحديث»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي كهمس قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرئك

(١) المضمون:

(۷) میری: ۰.۵۱

(٣) الأحرف: ٥٥.

(٤) الكاف: ٢: ١٠٤، مع ١.

(د) الكافي ٢: ٤٠٤، ٢٠٧.

(٦) الكافي، ٢: ٤٠٤، ح ٤.

السلام. قال: عليك وعليه السلام. إذا أتيت عبد الله فأقرته السلام وقل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله ﷺ فالزمه، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله ﷺ بصديق الحديث وأداء الأمانة<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير استنكاف؛ ليرى منكم الاجتهاد والصدق والورع»<sup>(٢)</sup>.

### الاستقامة

إن صفة الاستقامة في العمل والثبات فيه والاستمرار عليه، لها تأثير كبير في بناء شخصية الإنسان وتطور العلاقات الاجتماعية وثباتها.

وقد أكد أهل البيت عليهم السلام هذه الصفة من خلال النصح بالبقاء والاستمرار في العمل سنة - على الأقل - من أجل أن لا يوجد انطباع للإنسان أنه متغير ومتقلب، مضافاً إلى أن نتائج العمل لا تظهر عادة في وقت قصير، بل لا بد من الصبر والانتظار فيه حتى يتأكد الإنسان من صلاحه وفساده.

فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإن قل»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك روى بطريق معتبر عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه كان يقول: «إني لأحب أن أداوم على العمل وإن قل»<sup>(٤)</sup> «إني لأحب أن أقدم على ربي وعلمي مستو»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ٢: ١٠٤، ح ٥.

(٢) الكافي ٢: ١٠٥، ح ١٠.

(٣) الكافي ٢: ٨٢، ح ٣.

(٤) الكافي ٢: ٨٢، ح ٤.

(٥) الكافي ٢: ٨٢، ح ٥.

## نماذج لصورة القنوة الصالحة

وقد أراد أهل البيت عليهم السلام من خلال هذه الإرشادات والنصائح أن توجد الجماعة الصالحة، بل القنوة الصالحة في المجتمع الإسلامي - كما أشاروا إلى ذلك في بعض الأحاديث السابقة - ولذلك نجدهم عليهم السلام يؤكدون على شيعتهم - بل يستنكرون أحياناً غير ذلك - أن يتحلوا بأعلى الأخلاق الإسلامية الراقية التي تجسد هذه القدوة.

وهنا نشير إلى بعض النماذج التي تحدث فيها أهل البيت عليهم السلام عن شيعتهم الحقيقيين والقنوة الراقية للجماعة الصالحة.

عن حمزل بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام قاعداً في بيته إذ قرع قوم عليهم الباب فقال: يا جارية، انظري من بالباب؟ فقالوا: قوم من شيعة، فوثب عجلأً حتى كاد أن يقع، فلما فتح الباب ونظر إليهم رجع فقال: كذبوا! فإين السميت في الوجوه؟ أين أثر العبادة؟ أين سيماء السجود؟ إنما شيعةتنا يعرفون بعبادتهم وشغلهم، قد قرحت العبادة منهم الأناف، وبثرت الجباه والمساجد، خمص البطون، ذبل الشقاء، قد هتجت العبادة وجوههم، وأخلق سهر الليالي وقطع الهولجر جلثهم، المستبحون إذا سكنت الناس، والمصلون إذا نام الناس، والمحزونون إذا فرح الناس، يعرفون بالزهد، كلامهم الرحمة، وتتشاغلهم بالجنة»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال: يا جابر، إنما شيعة علي عليه السلام من لا يعضو صوته سمعه ولا شحناؤه بنته، لا يمدح لنا قالياً، ولا يواصل لنا مبغضاً ولا يجالس لنا عائباً، شيعة علي عليه السلام من لا يهزأ بهير الكلب، ولا يطعم طمع الغراب، ولا يسأل الناس وإن مات جوعاً، أولئك الخقيضة

(١) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٩، ح ٣٠.

عيشهم<sup>(١)</sup> للمنتقلة بيارهم، إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غلبوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، في قبورهم يتزاورون. قلت: وابن اطلب مؤلاه؟ قال: في أطراف الأرض بين الأسواق، وهو قول الله عز وجل: ﴿أَزَلِمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بصير قال: «قال الصادق عليه السلام: شيعتنا أهل الورع والاجتهاد وأهل التوقاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم ويحجون البيت ويجتنبون كل محرّم»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن أبي نجران قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: من عادى شيعتنا فقد عادنا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منا، خلقوا من طينتنا، من أحبهم فهو منا، ومن أبغضهم فليس منا. شيعتنا ينظرون بنور الله، ويتقلبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله، ما من أحد من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا اغتم إلا اغتمنا لغمه، ولا يفرح إلا فرحنا لفرحه، ولا يغيب عنا أحد من شيعتنا أين كان في شرق الأرض أو غربها، ومن ترك من شيعتنا ديناً فهو علينا، ومن ترك منهم مالا فهو لورثته.

شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويتبرأون من أعدائهم، أولئك أهل الإيمان والتقوى، وأهل الورع والتقوى، من رد عليهم فقد رد على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله؛ لأنهم عباد الله حقاً، وأوليأؤه صديقاً.

(١) هكذا وردت في المصدر، رسالها لنا، الخفيفة عيشتهم، أو الخفيض عيشهم.

(٢) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٨، ج ٢٨.

(٣) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٧، ج ٢٣.

والله إنَّ لحدّهم ليشفع في مثل ربّيعه ومضر فيشفّعه الله فيهم لكرامته على الله عزّ وجلّ»<sup>(١)</sup>.

ونختّم هذه النماذج بالنص الرائع البديع المروي عن أمير المؤمنين في تصوير شيعة أهل البيت عليهم السلام المعروف بوصف المتقين، والذي أشرنا إلى بعض فقراته في خصائص الجماعة الصالحة<sup>(٢)</sup>.

«أما بعد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، أمناً من معصيتهم؛ لأنّه لا تضره معصية من عباد، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل: منطلقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد،

(١) بحار الأنوار ٦٥: ١٦٧، ج ٢٥.

(٢) ذكر الكليني في الكنز بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن يحيى بن لم الطويل، عن نوف البكالي «قال: عرضت لي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حاجة فاستنبت إليّ جندب بن زهير والربيع بن خثيم، وابن أخيه عمار بن عبيدة بن خثيم وكان من أصحاب البرانس، فاقبلنا معتمدين لقاء أمير المؤمنين عليه السلام فالفينا حين خرج يؤمّ المسجد، فلقضى ونحن معه إلى نفر مبنيين قد أقاموا في الأحذية فكفها وبعضهم يلهي بعضاً، فلما لشرف بهم أمير المؤمنين عليه السلام أسرعوا إليه قليلاً فسلموا فردّ التحية ثم قال: من القوم؟ قالوا: أناس من شيعةك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً ثم قال: يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سعة شيعةنا، وحلية أحبنا أهل البيت؟ فأمسك القوم حياء.

قال نواف: فاقبل عليه جندب والربيع فقالا: ما سعة شيعةكم وصفتكم يا أمير المؤمنين؟ فتناقل عن جوابهما، وقال: اتقيا الله أيها الرجلان ولحسنا فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

فقال همام بن عباد وكان عنيداً مجتهداً: أسالك بالذي أكرمكم أهل البيت وخضكم وحباكم، وقضلكم تقضياً إلا أنباتنا بصفة شيعةكم، فقال: لا تقسم فساندكم جميعاً، ولخذ بيد همام فدخل المسجد فسيح ركعتين لوجهما واكملهما وجلس وقبل علينا وجفّ القوم به، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: ... عن بحار الأنوار ٦٥: ١٩٢، ج ٤٨.

ومشيهم للتواضع. غضوا لبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أنصاعهم على العلم النافع لهم. نُزِلَتْ أنفسهم منهم في البلاء كالتّي نُزِلَتْ في الرضاء، ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما بونه في أعينهم.

فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة، وشرورهم مامونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرّها لهم ربهم. أرايتهم للنيا فلم يريوها، وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها.

أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونّها ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم ويستلثرون به نواء دأبهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويق أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنم وشهيقها في أصول أذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكك رقابهم، وأما النهار فحلماء علماء، إبرار أتقياء، قد برأهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: لقد خولطوا! ولقد خالطهم أمرٌ عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زعي أحدٌ منهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي مني بنفسي. اللهم لا تؤلّخني بما يقولون، ولجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون.



فمن علامة نأدهم أنك ترى له قوة في بين، وحرماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجماً في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتخرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وُجَل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر. يبيت حنراً ويصبح فرحاً؛ حذاراً لما حُذِر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة. إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب. قرّة عينه فيما لا يزول، وزهائته فيما لا يبقى. يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل. تراه قريباً أهله، قليلاً زلّة، خلة شعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون. إن كان في الغافلين كُتِب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين. يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، يعيداً فضله، ليناً قوله، غائباً منكروه، حاضراً معروفه، مقبلاً خيرَه، منبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور. لا يحيف على من يبغض، ولا يائث قimen يحب. يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يُضيع ما استُحفظ، ولا ينسى ما نُكِر، ولا ينهز بالانقلاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق. إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يعلّ صوته، وإن بقي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له. نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. اتعب نفسه لأخوته، وأراح الناس من نفسه. بعده عن تباعده عنه زهد ونزاهة، وبنوّه ممن بنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا بنوّه بمكر وخيعة»<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ٢، ١٦٠، الخطبة ١٩٣.

## الباب السابع

### نظام الشعائر والعبادات

- ☐ تمهيد
- ☐ الشعائر والعبادات ودورها في الإسلام
- ☐ القسم الأول: نظام الشعائر.
- ☐ القسم الثاني: نظام العبادات.



## تهجيد

يحتبر نظام الشعائر والعبادات من أهم الأنظمة في الإسلام عامة والجماعة الصالحة خاصة. ومن خلال مراجعة عامة للنظام الإسلامي نجد أنَّ الشعائر والعبادات احتلت مساحة واسعة في هذا النظام سواء على مستوى الأعمال والسلوك، أم على مستوى الأقوال، أم على مستوى المراسيم والأيام.

ومن الملاحظ أنَّ موضوع الشعائر والعبادات أصبح موضوعاً متداخلاً في الإسلام؛ حيث إنَّ الشعائر - التي هي عبارة عن المراسيم والآداب والنشاطات التي تميز الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، وتكون علامة فارقة لها عن الجماعات الأخرى - اختلطت بالعبادات الإسلامية في الشكل والمضمون حتى أصبحت العبادات شعائر للإسلام، مثل: الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، وأصبحت الشعائر في الإسلام عبادة كالأعياد والأيام، بل وحتى الرسوم الاجتماعية من الزواج وغيره أو السلام والبسطة وغيرهما، فإنها عبادات يتقرب بها إلى الله تعالى.

وقد ورد في القرآن الكريم التعبير بالشعائر عن أعمال عبادة الحج في عدة أماكن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْنَافَ وَالْزُرُوعَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) البقرة: ١٥٨.

وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعِيرٍ اللَّهُ لَكُم فِيهَا حَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى في سياق الحديث عن وجوب الحج وأعماله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَلِّمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٢)</sup>.

كما عبر القرآن الكريم عن موقف مزبلة المقدس - الذي أمر بذكر الله تعالى فيه - بالمشعر الحرام: ﴿قَدْ أَفْضَيْتُمْ مِنَّ عَرَافَتِي فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ النَّسَمِ الْعَرَافِ وَادْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَكِنَ الْمَكِينِ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما ورد في الحديث عن أهل البيت عليهم السلام تسمية النداء الذي يتفق عليه القائلون في الحرب بالشعار؛ وذلك من أجل أن يتميزوا ويعرف بعضهم الآخر، ولا يخطئوا بأعدائهم.

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شعارنا يا محمد يا محمد، وشعارنا يوم بدر يا نصر الله اقترب اقترب، وشعار المسلمين يوم أحد يا نصر الله اقترب، ويوم بني النضير يا روح القدس أرح، ويوم بني قينقاع يا ربنا لا يغلبنك، ويوم الطائف يا رضوان، وشعار يوم حنين يا بني عبد الله يا بني عبد الله، ويوم الأحزاب هم لا يبصرون، ويوم بني قريظة يا سلام لسلامهم، ويوم المريسيع وهو يوم بني المصطلق إلا إلى الله الأمر، ويوم الحبيبية ألا نعتك الله على الظالمين، ويوم خيبر يوم القموص يا علي أتهم من عل، ويوم الفتح نحن عباد الله حقاً حقاً، ويوم تبوك يا لحد يا صمد، ويوم بني الملوخ امت امت، ويوم صفين يا

(١) المص: ٣٦.

(٢) الحج: ٣٢.

(٣) البقرة: ١٩٨.

نصر الله، وشعار الحسين عليه السلام يا محمد، وشعارنا يا محمد»<sup>(١)</sup>.

وقد نكر في لسان العرب عن الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْمِلُوا سَمَئِيرَ اللَّهِ وَلَا تَقْهَرُوا الْحَرَامَ﴾<sup>(٢)</sup> إنَّ شعائر الله يعني بها جميع متعبدات الله التي أشعرها الله، أي جعلها إعلاماً لنا، وهي كل ما كان من موقف أو مسعى أو ذبح...»<sup>(٣)</sup>.

وانطلاقاً من هذا الفهم يمكن أن نعرف أنَّ المقصود من الشعائر الإسلامية هي: تلك العبادات التي تقتضي اجتماعاً خاصاً وامتيازاً يُعرف به المسلمون، مثل الحج وصلاة الجمعة والجماعة، أو أوقافاً معينة يختص المسلمون بإحيائها والالتزام بها وتمييزهم عن غيرهم من الناس، مثل الأعياد ولا سيما عيدي الفطر والأضحى، أو أماكن خاصة للذكر والعبادة يقنسها المسلمون ويلتزمون باحترامها، مثل المساجد، ولا سيما المسجد الحرام، ومسجد النبي، والمسجد الأقصى، والمواقف مثل عرفات، ومزدلفة، والصفاء والمرورة، أو علامات ورسوم وآداب في القول والعمل تتفق عليها جماعة المسلمين للتعارف والتمايز كالسلام والتهاتف.

وأما العبادات فهي عبارة عن الصيغ والممارسات الخاصة التي شرعها الله تعالى لعباده من أجل أن يعبروا فيها عن صلتهم به، وتكون طريقاً يصل العبد من خلاله إلى ربه ويقربه إليه، مثل الصلاة والدعاء والصوم والإنفاق والزكاة والخمس والذكر، كالجمد والتسبيح والتكبير التي تزد في ضمن صيغ معينة وأوقات مشخصة، علماً أن الله سبحانه وتعالى يفضلها ومنه فتح الباب أمام الإنسان أن يأتي بكل أعماله وتصرفاته على وجه قربي وعبادي، عندما يقصد به

(١) وسائل الشريعة ١١: ١٠٥، ج ١.

(٢) لامائدة: ٢.

(٣) لسان العرب ٤: ٤١٤.

الاستجابة للطلب الإلهي والإرشاد الرباني، ولكن العبادات يراد منها هنا تلك الصيغ التوقيفية المشخصة التي ورد نص خاص بها وشكل محدد لأدائها. ويحق بنا في البداية أن نشير إشارة مختصرة إلى أهمية الشعائر والعبادات، ودورها في النظرية الإسلامية وفلسفة تشريعها<sup>(١)</sup>.

## ١ - الشعائر وأهميتها

تعتبر الشعائر أحد الخطوط الثابتة في الشريعة الإسلامية؛ لأنها تعبر عن حاجات إنسانية ثابتة في الحياة الاجتماعية للإنسان؛ ولذلك فهي لا تتغير بتغير أساليب الحياة الاجتماعية أو ظروف التطور المعني في حياة الإنسان.

وهذا الثبات في الشعائر ينطلق من الدور الذي تقوم به الشعائر الذي يعبر عن هذه الحاجات الثابتة في الحياة الإنسانية، والذي يمكن أن نتبينه في الأبعاد الأربعة التالية:

الأول: أن الشعائر تعتبر إطاراً يحفظ للجماعة وجودها من الضياع، وتماسكها ووحدتها من التفكك والتفريق، وهذا يعبر عن حاجة اجتماعية ثابتة في الحياة الإنسانية.

الثاني: أن الشعائر لها دور مهم في تشخيص هوية الجماعة، وترسيخ انتمائها إلى الإسلام، وتميزها عن الجماعات الأخرى، بحيث تحقق الشعائر أصالة الأمة واستقلال شخصيتها، وينمي فيها الشعور بالاعتزاز

---

(١) تناولنا دور الشعائر بشيء من التفصيل في بحث البسمة من تفسير سورة الحمد، وكذلك في تفسير سورة الجمعة. وقد تناول سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر موضوع العبادات في بحث مستقل الحق برسائله العملية (الفتاوى الواضحة) تحت عنوان نظرة عامة في العبادات؛ والاستزادة من هذا الموضوع يمكن مراجعة هذه الأبحاث في موضعها.

والكرامة والانتماء إلى الإسلام، والهوية والاستقلال والعزة والكرامة من الحاجات الإنسانية الثابتة.

الثالث: أن الشعائر لها دور في تحقيق الهدف الأساسي من الرسالة، وهو إيجاد عملية التنوير الإلهي والتغيير الاجتماعي المصالح، حيث تكون الشعائر ممارسة فعلية أو قولية تؤثر على المحتوى الداخلي (النفسي) للإنسان: الشعوري والعاطفي والعقلي من خلال الممارسة المستمرة، وتطابق الظاهر مع الباطن وللشكل مع المضمون، هذا من ناحية الفرد الممارس، ومضافاً إلى ذلك يكون لها دور في الحالة الاجتماعية العامة وشؤون الأفراد الآخرين من خلال ما تجده من عرف عام يكون له تأثير أكبر من القوانين والتشريعات أحياناً. فهي تساهم بشكل فعال في إيجاد حالة للثبات والاستقرار والانسجام العام في الفرد والمجتمع.

الرابع: أن الشعائر لها آثار ومداليل تعبر عن صلات ثابتة متعددة: (تربوية) كإيجاد العرف العام الذي يساهم في ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد، و(سياسية) من خلال الأداء الجمعي للشعائر، كما في صلاة الجماعة والجمعة والحج الذي يظهر قوة الجماعة وتماسكها وعزتها وكرامتها، ويؤدي إلى كسر حالة الخوف والتردد عند بعض الأفراد من خلال الانسجام في الحركة مع الآخرين، و(اجتماعية) من خلال تأكيدها للعلاقات الاجتماعية بين الجماعة وإيجاد روح التكافل والتعاون والتفاهم والعودة بين أفرادها، وتبادل المنافع والمصالح بينها ﴿لِيَسْمَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> كما هو في الحج، وإعلامية من خلال ما تقدمه الشعائر للناس من مضامين عقائدية ومفاهيم فكرية وأخلاقية، وكذلك ما يمكن أن تكون بعض الشعائر أفضل وسيلة للتعبير عن المتبنيات السياسية والاجتماعية.



## ٢ - العبادات ودورها<sup>(١)</sup>

تعتبر العبادات في الشريعة الإسلامية أحد الخطوط الثابتة فيها، التي لا تتغير بطريقة الحياة العامة وظروف التطور المدني؛ ومن هنا فهي تعالج حاجة ثابتة في حياة الإنسان.

وهذا الثبات والحاجة باعتبار أن العبادة تعبر عن علاقة بين الإنسان وربه، وهي علاقة ثابتة ومستمرة وفطرية. وتبين هذه الحاجة في:

أولاً: إن الإنسان بحاجة للإنتماء إلى الله تعالى المطلق في الكمال ليستمر في مسيرته التصاعدي؛ ولئلا يتعرض للضياع في حلقة عدم الانتماء، أو يتعرض إلى الجمود والركود والنسقوط في مستنقع الوثنية والفلج، عندما يحول الولاءات النسبية الضيقة في حياته إلى مطلقات ينتمي إليها فيتوقف عندها في حركته.

والعبادة هي تعبير عملي موجه من هذا الانتماء إلى المطلق، ينمي في الإنسان إيمانه بالله تعالى من خلال ممارسة العبادة التي تزكّد مضمون هذا الانتماء، وفي الوقت نفسه يؤكد رفض المطلقات والألوهة الأخرى.

ثانياً: أن الإنسان في مسيرته العملية (الاجتماعية) بحاجة إلى أن يقوم بأعمال من أجل الجماعة والمصلحة العامة، كما يقوم أحياناً بأعمال من أجل مصلحته الخاصة، ولا شك أن الدافع الذاتي للقيام بالعمل من النوع الثاني متحقق من خلال الفائدة التي يحصل عليها الإنسان، بخلاف النوع الأول، حيث قد لا يتناسب الجهد الذي يبذله الإنسان في تحقيق هذا النوع مع ما يصله من منفعة محدودة ضمن الجماعة، بل قد يكون العمل من أجل المصلحة العامة على حساب مصلحته الخاصة.

(١) يمكن الاستفادة في شرح هذا الموضوع - كما ذكرنا - مما كتبه سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر في رسالته العملية (الفتاوى الواضحة) الفصل الأخير (نظرة علمية في للعبادات).

وهنا يأتي دور العبادة التي تربي الإنسان على أن يقوم بالأعمال من أجل الله تعالى وفي سبيله، فيكون لها دور مهم في تربية الإنسان على أن يقوم بالأعمال من أجل المصالح العامة، ويتجاوز ذاته ومنافعه الخاصة فيها؛ وذلك من خلال هذا الارتباط بالله تعالى.

ثالثاً: أن المجتمع الإنساني بحاجة دائماً إلى وجود ضمانات يلتزم الأفراد في ظلها بتطبيق النظام الذي يحكم المجتمع؛ حيث نلاحظ أن النظام الاجتماعي - مهما كان شكله - حاجة ثابتة في المجتمعات الإنسانية.

وهذا الضمان ثارة يكون هو العقوبات المالية والمعنوية التي يضعها المجتمع للمخالفين، وأخرى يكون هو الشعور الداخلي بالمسؤولية أمام النظام والقانون. ولا شك أن نظام العقوبات محدود الفاعلية؛ لأنه لا يمكن أن يلاحق الفرد في جميع حركاته وسكناته، بخلاف الإحساس الداخلي بالمسؤولية.

وهنا يأتي دور العبادة في تنمية الشعور بالمسؤولية؛ لأنها تنمي الارتباط بالله تعالى والشعور برقابته التي لا يعزب عنها مثقال ذرة في السماوات والأرض.

### الملامح المميزة للعبادة في الإسلام

ومضافاً إلى الأدوار التي تؤمنها العبادة في حياة الإنسان، نجد مجموعة من الملامح تتميز بها العبادة في الإسلام، وهي:

أ - الشمولية: إن العبادة جاءت في الإسلام شاملة لجميع مناحي الحياة الإنسانية الشخصية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل دعا الإسلام أن يكون جميع سلوك الإنسان عبادياً حتى في الماكل والمشرب واللذات والشهوات

التي يحبها ويهوها الإنسان، وفتح الباب أمام قصد القرية إلى الله وتأكيد الارتباط به في جميع أفعال الإنسان ونشاطاته.

ب - الغيبية: إن الأعمال والنشاطات العبادية عامة، وإن كان لها تفسير منطوق ومشهود نفسي وروحي أو مادي خارجي أو اجتماعي عام.

ويشهد بذلك في بعض الأحيان التقدم العلمي، بل نلاحظ أيضاً أن العلم كلما تقدم فتح الآفاق الجديدة حول فهم هذا الجانب من العبادة.

ولكن بالرغم من ذلك كله نلاحظ في العبادات (الشعائرية) - مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها - جانباً من الغيبية في السلوك العبادي الذي لا يمكن تفسيره إلا على أساس أن الهدف منه هو تأكيد الارتباط بالغيب، وتصعيد الإيمان به لدى الإنسان، فعدد الركعات - مثلاً - في الصلوات، وهكذا بعض أعمال الحج من الطواف والسعي وغيرها، نجد فيها هذه الجوانب؛ إذ لا يمكن تفسيرها إلا على أساس التعبد بالأوامر الإلهية.

ج - الحسية: ومضافاً إلى الغيبية نلاحظ الحسية في العبادات الإسلامية؛ باعتبار أن الإنسان مركب من روح ومادة، وفيه جانب غيبي وجانب حسي، ومن أجل انسجام العبادة في ممارساتها مع هذين الجانبين نجد أن الإسلام كما أكد الذية والخلوص من ناحية والإقبال على الله تعالى في العبادة، والتعبد بأوامره والطاعة له من ناحية أخرى، حيث يعبران عن الجانب الروحي في الإنسان، كذلك أكد على الجوانب الحسية في الممارسة، كما نلاحظ ذلك في الصلاة والحج من خلال الاستقبال والقيام والركوع والسجود والطواف حول الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار، وفي غير الصلاة والحج من الواجبات والمستحبات.

وبذلك كان الإسلام نبياً وسطاً على خلاف الاتجاهين الآخرين المتطرفين،

الذين يُنفي أحدهما جميع التجسيدات الحسية للعبادة ويفترضها حالة روحية ونفسية محضة، ويحول الاتجاه الآخر العبادة إلى مجرد ممارسة حسية خارجية بعيدة عن المضمون والمندول الروحي والقصدي فتتحول إلى حالة وثنية.

د - الاجتماعية: ومضافاً إلى ذلك كله نجد في كثير من العبادات الجانب الاجتماعي الذي يربط منه ترسيخ وتوثيق الروابط بين أبناء المجتمع الإنساني نفسه؛ فالهدف الأساس للعبادة، وإن كان هو توثيق العلاقة بالله تعالى - كما نكرنا - إلا أن البعد الاجتماعي يعتبر هدفاً ثانوياً - ولكنه مهماً - في بعض العبادات أيضاً، كما نلاحظ في الحج وصلاة الجماعة وصلاة الجمعة والعيدين والجهاد في سبيل الله فضلاً عن الزكاة وغيرها.

كما أن الشعائر في نفسها تستهدف هذا الجانب الاجتماعي من خلال توحيد الأمة وتشخيص هويتها كما نكرنا. وكما هو في القبلة والعيدين وصلاة الجمعة.

وقد كان لهذه الأنوار والعلامح أثرها في تأكيد الإسلام لدور العبادة والشعائر في النظام الإسلامي عامة.

ويمكن من خلال دراسة تفصيلية لكل عبادة أن نجد الكثير من الأهداف والنتائج والآثار.

وتبعاً للنظرية الإسلامية في التأكيد لدور الشعائر والعبادات نجد أن أهل البيت عليهم السلام يحثون شيعتهم في هذا الجانب، ويؤكدونه بشكل تفصيلي ورائع من خلال شرح وتقديم أمثلة ونماذج وتفاصيل عن الشعائر والعبادات، بحيث تستوعب الحياة اليومية والأسبوعية والسنوية للإنسان المسلم، وتمكنوا من خلال ذلك أن يرسخوا دعائم الإيمان الروحي والاجتماعي للجماعة، ويعمقوا صلة الإنسان الشيعي بالله تعالى ويحكموا بتقنين الكتلة الصالحة.

ونحن هنا لا نتناول بطبيعة الحال النماذج الإسلامية المعروفة في العبادات، مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد، أو الشعائر مثل العيدين (الفطر والأضحى) أو السلام وغيرها، فإن ذلك أمر معروف وواضح. وإنما نتناول العبادات والشعائر التي اختص بها أهل البيت عليهم السلام أو اهتموا بها بشكل خاص في تربية الجماعة الصالحة عليها.

### أهل البيت والشعائر العامة

ولكن لا يفوتنا - أيضاً - للتأكيد أن أهل البيت عليهم السلام اهتموا بالشعائر الإسلامية العامة في حبيبتهم وتربيتهم، حيث ورد عنهم عليهم السلام: «بُني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيح - كما تقدم - عن علي بن إبراهيم، عن زارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زارة: قلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهن والولي هو الخليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: للصلاة عمود دينكم. قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنه قرن بها وبدأ بالصلاة قبلها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزكاة تذهب الذنوب. قلت: والذي يليها في الفضل؟ قال: الحج، قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة، ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصى

(١) الكافي ٢: ١٨، ح ١.

(٢) آل عمران: ٩٧.

فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر الله له، وقال في يوم عرفة ويوم المزنقة ما قال، قلت: فماذا يتبعه؟ قال: للصوم، قلت: وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع؟ قال: قال رسول الله ﷺ: الصوم جنة من النار. قال: ثم قال: إن أفضل الأشياء ما إذا فطتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤديه بعينه: إن الصلاة والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها، وإن الصوم إذا فطتك أو قصرت أو سافرت فيه أتيت مكانه أياماً غيرها، وجزيت ذلك النخب بصدقة ولا قضاء عليك، وليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره. قال: ثم قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته: إن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ كُفْرًا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا﴾ (١) أما لو أن رجلاً قام ليلة وصام نهاره وتصنق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المعحسن منهم يخله الله الجنة بفضل رحمته» (٢).

وعن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ألا أخبرك بالإسلام أصله وفرعه وذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك، قال: أما أصله فالصلاة، وفرعه الزكاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: إن شئت أخبرتك بابواب الخير؟ قلت: نعم جعلت فداك؟ قال: الصوم جنة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل بتكرار الله، ثم قرأ عليه السلام: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾» (٣).

(١) النساء: ٨٠.

(٢) الكافي ٢: ١٨، ح ٥.

(٣) الكافي ٢: ٢٢، ح ١٥.

ولا بد أن نلتفت هنا إلى أن عبادة الجهاد هي فرع من فروع ركن (الولاية) الذي ورد في الحديث أنه مما بني عليه الإسلام، كما هو الحال في فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يمكن إرجاع الخمس إليها إذ لم نلحقه بالزكاة؛ لأن القرار في الجهاد وكذلك في نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المرجع والمالكية في الخمس هو (الولاية).

وبهذا يمكن أن نفهم ما ورد في الحديث من أن الجهاد كان هو الذروة والسنام كما كانت للولاية وطلاعة الإمام الذروة والسنام؛ لأن الجهاد هو مصداق من مصابيق الطاعة للإمام.

ثم إننا نجد مثل هذا التأكيد ببيانات متعددة في كل واحدة من العبادات الإسلامية العامة الأخرى.

### السنة النبوية والشعائر المذهبية

ولكن قد يثار هذا السؤال، هل لئن الشعائر والعبادات التي اهتم بها أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة للصالحية بدعة، باعتبار أنها غير معروفة لدى عامة المسلمين؟ حيث يحاول البعض إثارة مثل هذه الشبهات ولا سيما الوهابيين منهم.

إن تفصيل الجواب عن السؤال نحيله ونتركه إلى البحث العقائدي<sup>(١)</sup>، ولكن نشير هنا إلى جوابين إجماليين:

الأول: لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم الثقل الآخر - كما نص على ذلك حديث الثقلين الذي رواه جميع المسلمين - المفسر للقرآن الكريم والمبين للسنة النبوية الشريفة والشريعة الإسلامية السمحة، وهم (المرجع) الإسلامي الاصيل الذي

(١) هناك كتباً كثيرة تناولت هذا الموضوع، ولا سيما للكتب التي ناقشت أفكار المذهب الوهابي في ما كتبه علماء الشيعة والسنة.

بيّن لهم رسول الله ﷺ جميع تفاصيل الشريعة وتفسير القرآن الكريم وأرجع إليهم المسلمين، كما ذكرنا ذلك في بحث مرجعية أهل البيت ﷺ من التفسير<sup>(١)</sup>، وهم أعرف الناس بالرسالة الإسلامية وأصنقهم قولاً وأكثرهم علماً ودرية بها وأتقنهم في فهمها ومعرفتها.

وقد روى الكليني بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال: «نزل جبرائيل على محمد ﷺ برمانتين من الجنة، فلقبه علي ﷺ فقال: ما هاتان الرمانتان اللتان في يديك؟ فقال: أما هذه فالنبوة، ليس لك فيها نصيب، وأما هذه فالعلم، ثم فلحقها رسول الله ﷺ بنصفين فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله ﷺ نصفها، ثم قال: أنت شريك فيّ وأنا شريك فيّ. قال: فلم يعلم والله رسول الله ﷺ حرفاً مما علّمه الله عز وجل إلا وقد علّمه علياً، ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا فإن هذه الشعائر المذهبية - لما كانت مما ورد فيه الحديث والتأكيد عن أهل البيت ﷺ - أصبحت في أعلى درجات المشروعية والاعتبار، وكانت سنة إسلامية أصيلة، لأن أهل البيت ﷺ لم يروى بالذي فيه، وهم أعرف بأصول الإسلام وفروعه وسننه وآدابه.

الثاني: أنّ الشعائر والعبادات المذهبية للجماعة الصالحة ليس فيها ما يخالف الشعائر الإسلامية في الشكل أو المضمون، أو يحرقها ويخرجها عن أهدافها ويدورها أو ملامحها التي أشرنا إليها، بل جاءت تأكيداً للشعائر الإسلامية وعلى متبجها ونسقها وتعميقاً لها.

(١) راجع كتابنا (علوم القرآن) بحث (تفسير والمفسرون) قسم التفسير في عهد الرسول (مرجعية أهل البيت).

(٢) الكافي ١: ٢٦٢، ج ٣، كما أن هناك العشرات من الروايات التي تدل على هذا المضمون من علم الأئمة ﷺ.



وسوف نلاحظ عند استعراضنا لهذه الشعائر والعبادات المذهبية أنها إما أن تكون تجسيدا لخط عام أقره الإسلام، كما هو الحال في ألوان الصلاة والدعاء والزيارة، أو تخليداً وتكريماً لتكرى أو مناسبة ذات صلة وطيدة بالإسلام وأحداثه بصيغ يكون الشعائر إحياءاً لذكر الإسلام وذكر أهل البيت عليه السلام، مثل المولد النبوي، والمبعث الشريف وعيد الغدير وغيرها، وإما أن تكون تكريساً وتضعيداً لمضمون أو دعوة إسلامية، كما هو الحال في إحياء شهر رمضان ورجب وشعبان أو ليالي القدر أو أعمال اليوم والليلة وغيرها من الموارد.

وقد كان اهتمام أهل البيت عليه السلام بهذه الشعائر الخاصة انسجاماً - أيضاً - مع الدور العام للشعائر حيث إنهم لم يكتفوا بالشعائر العامة، بل ألدوا للجماعة الصالحة وبشيعتهم أن يتميزوا في الخصوصية والاهوية، ولو على مستوى الإحساس الداخلي للجماعة أو الروحي والنفسي لها، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن ممارسة الجماعة الصالحة للشعائر (العامة) وحدها تجعلهم يتجهون للانصهار في الأوضاع العامة السائدة للناس، فيتأثرون بسوء أوضاع الناس ولا يؤثرون فيهم، وقد أراد أهل البيت عليه السلام لاتباعهم أن يتعايشوا مع الناس لا أن ينوبوا في أوضاعهم، بل لا بد لهم أن يتميزوا عنهم قدوةً وأُسوةً لهم.

كما أنهم في الوقت نفسه لم يكونوا قادرين على ممارسة العبادات والشعائر العامة بحرية وتفاعل؛ وذلك بسبب النظرة السلبية التي يُنظر بها الناس إلى اتباع أهل البيت عليه السلام لعوامل سياسية أشرنا إليها في موضوع نظام أمن الجماعة.

وسوف نتناول نظام الشعائر والعبادات في قسمين رئيسين:

الأول: نظام الشعائر.

الثاني: نظام العبادات.

# القسم الأول

## نظام الشعائر

- ☐ تمهيد
- ☐ الفصل الأول: شعائر أهل البيت
- ☐ الفصل الثاني: الشعائر الإسلامية العامة
- ☐ الفصل الثالث: المساجد والأماكن المقدسة



## تجهيز

من خلال مراجعة عامة لكتب الحديث والأدعية والزيارات، وللممارسة الواقعية الخارجية لاتباع أهل البيت يمكن أن نلاحظ مجموعة من الخطوط الرئيسية للشعائر التي اهتم بها أهل البيت عليه السلام، وحثوا شيعتهم واتباعهم عليها وأقاموا بناء الجماعة الصالحة في إطارها، ولكن يلاحظ أن هذه الخطوط تكاد تتمحور بشكل عام حول محورين رئيسيين:

أحدهما: تأكيد الشعائر الإسلامية العامة.

والآخر: أهل البيت عليه السلام أنفسهم.

ولا شك أن تأكيد الشعائر الإسلامية العامة - كما سوف نلاحظ - هو أمر في غاية الوضوح؛ لأن أهل البيت عليه السلام هم حماة الإسلام وامتداد الرسالة الإسلامية، والإسلام وشعائره يمثل الأساس المهم في بناء الجماعة للصالحية؛ ومن هنا نجد أن أهل البيت عليه السلام يؤكّدون - كما ذكرنا - بشكل خاص وواسع الشعائر الإسلامية العامة، وإقامتها حتى في الظروف الصعبة، كالصلاة والحج والزكاة والصوم وغيرها.

وأما جعل (أهل البيت عليه السلام) محوراً آخر للشعائر فهذا ينطلق من رؤيتهم عليه السلام للنظرية الإسلامية التي أشرنا إليها آنفاً، وهي أنها تقوم على أركان خمسة: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية.

والولاية - بحسب نظرهم عليه السلام - هي الركن الأهم من هذه الأركان الخمسة؛

حيث إنه لم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية، وإنَّ الولاية هي الحافظ لهن والوالي هو العارف بهن، وإنَّ الصلاة والزكاة والصوم والحج لا تقبل إلا بالولاية كما سبقَت الإشارة إلى ذلك.

ومحور الولاية هم أهل البيت عليهم السلام، بل مضمونها الحقيقي كما نصت على ذلك الآيات الشريفة، مثل آيات المودة، والتطهير، والخمس، والولاية<sup>(١)</sup> وغيرها، وكذلك الروايات الشريفة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله مثل أحاديث الغدير والثقلين والسفينة<sup>(٢)</sup> وغيرها.

ومن هنا يصبح التعبير عن هذا الحب والمودة والولاء لأهل البيت عليهم السلام كما هو ركن عبادي كذلك يكون من الشعائر الإسلامية، عندما يكون التعبير ضمن الصيغ والأساليب العقلانية المشروعة، التي يستخمنها العقلاء في التعبير عن هذه الموائيق والمشاعر النبيلة؛ لأن هذا التعبير عن الحب والولاء إنما هو تعبير عن ركن من الأركان التي بُني عليها الإسلام ضمن الصيغ المشروعة والمعدة من قبل أهل البيت عليهم السلام.

ولذا نجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام لم يتركوا (الجماعة الصالحة) وبقية المسلمين في هذا المجال دون أن يحثوا ويوضحوا مجموعة من الصيغ والمناهج العامة،

(١) الشورى: ٢٢، الأحزاب: ٢٣، الأنفال: ٤٦، المائدة: ٥٥.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيها الناس من كنت مولا فهذا علي مولا، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأحب من أحبه وبغض من أبغضه». عن الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ١٩١، وقال: «إني أوشك أن أدعى فاجيب، وإني تارك فيكم لتعطين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا به تخلفوني فيهما».

عن الطبراني في المعجم الصغير ٢: ٢٢، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة.

لتصحيح (شعائر) للتعبير عن هذا الحب والمودة اللذين يجمعهما الولاء.  
ويصند الحديث عن الشعائر ذات العلاقة بهذين المحورين نجد أمامنا  
مجموعة من العناوين، مثل: (شعائر أهل البيت) و(الأيام والليالي) و(الرسوم  
والآداب) و(المساجد والأماكن المقدسة) فهنا عدة فصول:



## الفصل الأول

شعائر أهل البيت





## شعائر أهل البيت

لعل أغلب الشعائر الخاصة التي تمارسها الجماعة الصالحة لها لربط مباشر أو غير مباشر بأهل البيت (عليه السلام)، كما سوف نبين ذلك، ولكن نريد هذا لن نتحدث عن الشعائر التي يكون المحور فيها هو أهل البيت (عليه السلام) باعتبارهم أشخاصاً لهم مقام سام عند الله تعالى، ولهم منصب الإمامة والولاية؛ ولذا يندرج تحت هذا العنوان الأمور التالية:

أ - الشعائر الحسينية.

ب - إحياء ذكريات المعصومين.

ج - الزيارة لقبورهم ومقاماتهم.

أ - الشعائر الحسينية

تمثل الشعائر الحسينية وكذلك إحياء ذكريات المعصومين في مضمونها ومحتواها - مضافاً إلى تعبيرها عن الولاء لأهل البيت (عليه السلام) عامة وللإمام الحسين خاصة - اجتماعاً للتداول في الأمور العقائدية والشؤون الأخلاقية والاجتماعية والتاريخية، والقضايا ذات العلاقة بالأمور الحيوية اليومية التي تهم المسلمين؛ فهي اجتماع يشبه في جانب من مضمونه صلاة الجمعة من حيث مضمونها الاجتماعي، التي يجتمع فيها المسلمون للاستماع إلى خطيب الجمعة

الذي يحدثهم ويعظمهم ويذكرهم بالله، ويتناول في حديثه مختلف الأبعاد<sup>(١)</sup>، وفي جانب آخر من مضمونه يكون التذكير للعلم والمعرفة والأخلاق.

وقد تحدثنا في الجانب الثقافي من قلب الثاني عن الشعائر الحسينية وفلسفتها وآثارها ونتائجها الروحية والثقافية والسياسية، وما جاء النص فيه أو اختصره الناس منها، فلا نحتاج إلى الإعادة بهذا الصدد.

وبالرغم من أن الشعائر الحسينية هي إحياء لتكري واحد من أئمة أهل البيت (عليه السلام) وهو الإمام الحسين (عليه السلام)، إلا أننا افرقناها بالحديث؛ لأن لها أهمية وخصوصية من بين هذه التكريات جميعاً، حيث نكرنا أن أهل البيت أعطوها الكثير من الأهمية والعناية، بحيث تحولت إلى مدرسة ثقافية وروحية وسلوكية في بناء الجماعة الصالحة كما أشرنا.

ونتناول هنا مجمل المراسيم والأوقات التي يلتزم بها أتباع أهل البيت في إحياء الشعائر الحسينية، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أصناف رئيسية:

### الصنف الأول: العشرة الأولى من محرم

هو الشعائر في العشرة الأولى من محرم (وهي من اليوم الأول إلى العاشر منه)؛ حيث نجد أن أبناء الجماعة الصالحة عامة وفي جميع مناطق وجودهم يحتفلون بهذه الشعائر، ويجلسون للعزاء والبكاء ومداينة الحديث في القضايا الثقافية والعقائدية المختلفة، وتكاد أن تكون المشاركة لديهم بهذه الشعائر من الواجبات المذهبية؛ بحيث إن بعض أبناء الجماعة قد لا يشارك في

(١) لا تمثل هذه الاجتماعات طبيعة الحال بديلاً عن صلاة الجمعة؛ لأن صلاة الجمعة لها حديث وصلاة، ولكنها تمثل استبدالاً للمؤمنين الشعائري في صلاة الجمعة، ونجد في صلاة الجمعة الجنز والخط الإسلامي لهذه الشعائر. منه قدس سره.

اجتماع مذهبي طيلة السنة إلا في هذه الأيام، ويهتمون فيها بإطعام الطعام والاجتماع وإظهار مظاهر الحزن.

وتنقلوت اهتمامات أبناء الجماعة في هذا المجال حسب اختلاف مستوياتهم الثقافية والفكرية والاجتماعية وظروفهم السياسية.

فبعضهم يهتم بالمجالس الحسينية ويبدل الأموال الطائلة في تحشيد أكبر عدد من الناس فيها، ولختيار أفضل الخطباء والمتحدثين والقارئین، وكذلك في الوقت نفسه نجد للكثير من أبناء الجماعة الواعين ثقافياً يهتمون بحضور هذه المجالس والمشاركة فيها، والاستفادة منها ثقافياً وروحياً وعاطفياً.

وإلى جانب ذلك نجد - أيضاً - من هذا الوسط الاهتمام بالزيارة للإمام الحسين عليه السلام من قرب - أي قصد حرمة الشريف والحضور فيه - أو من بُعد<sup>(١)</sup> وهي ذكره بالسلام والتحية والتظلم له والبيعة له، والبراءة من أعدائه ولعنهم وذمهم ولستكار عملهم الوحشي.

كما أنَّ موضوع البكاء والظهور بمظاهر الحزن والعزاء والألم من القضايا المتميزة في هذه الأيام لدى الأوساط العامة والخاصة من أبناء الجماعة للصالحه.

مضافاً إلى تلك كله نجد موضوع بذل الطعام والشراب بشكل عام في هذا المرسوم الشريف وفي هذه الأيام بشكل خاص.

ومن هنا نعرف أنَّ الخطوط التي جاء النص فيها - كما ذكرنا في بحث الشعائر الحسينية - تحظى باهتمام خاص في الأيام العشر الأوائل من شهر محرم الحرام.

(١) سوف نشير في (شعار الزيارة) بشكل مستقل إلى أنَّ هناك زيارات في لوقت مخصصة للإمام الحسين عليه السلام ولغيره من أئمة أهل البيت تزار من قرب وبعد.

ولكن إلى جانب ذلك نجد الولاة أضرى من الاهتمامات خصوصاً في الأوساط العامة من أتباع أهل البيت تعبيراً عن الخط الثالث، وهو الخروج في مواكب ومسيرات تجوب الشوارع للتعبير عن الولاء والصن، أو القيام بمراسم (التمثيل) و(التشبيه) لبعض جوانب الأمساء والمصيبة، مثل السير إلى كربلاء أو حرق الخيام أو مسيرة الأسرى أو غير ذلك، أو تمثيل جميع الأحداث التي جرت في يوم العشر من محرم الحرام. وغير ذلك من للتشاطات العامة التي لم يرد فيها نص وإنما اخترعها الناس للتعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم<sup>(١)</sup>.

(١) ومن المؤسف أن بعض هذه الفعاليات أو غيرها (كالتعبير) تجري لحياتاً مقترنة بأعمال منافية للفرق العام، أو غير مشروعة أو تكون بنفسها أو بعض ممارستها بعيدة عن الأهداف التي استهدفها لمة أهل البيت من وراء هذه الشعائر؛ وغالباً ما يقوم بهذا النوع من النشاط (السوقة) و(العاملة) من الناس الذين لا يشاركون في هذه الشعائر إلا في مثل هذه الأيام، ومن ثم فهم يرون أن هذه الأساليب أقرب إلى فهمهم وطريقتهم في التعبير عن العواطف والمشاعر؛ ولذا تجد أن العلماء والمستفيين والواعين من أبناء الجماعة الصالحة لا يشاركون في هذه النشاطات المنافية، بل يستنكرونها لحياتاً بالبيانك، أو الكلام، أو ينكرونها بقلوبهم عندما لا يجدون من يسمع لهم، أو يخافون الفتنة والاختلاف والنزاع الذي يكون ضرره أحياناً أكبر من وجود هذه المخالفات.

كما أن بعض الظروف السياسية التي مرت بهذه الشعائر وتصادي الحكام الظفا والنظمة للقضاء عليها، بهدف القضاء على أصل الشعائر كلها، جعل بعض العامة يتعصبون لها كما يتعصبون للإمام الحسين (ع)، وبعض العلماء يسكتون أو يأتنون بممارستها حرصاً منهم على استمرار أصل الشعائر؛ لأن العامة يمثلون القوة الشعبية التي يمكن أن تقف أمام الحكام الظفا، أو لأن بعض العلماء يرون أن ممارسة هذا العمل في نفسه لا يوجد دليل على حرمة، فهو مباح بالأصل، وفي ممارسته (شعراً) مصلحة أو دفع مفسدة في مثل هذه الظروف، أو يرونه أفضل طريق لجمع العامة وجنيهم للاحتفال بذكرى الحسين (ع).

ولكن الموقف الصحيح الذي تبناه المرجع الأعلى في عصره الإمام الحكيم (ع) في أيامه الأخيرة، وكذلك قائد الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني (ع)، وكذلك القرار الذي أصدره من بعده خليفته آية الله السيد علي الخامنئي «دام ظله»، وموقف جماعة من

ويختص اليوم العاشر من هذه الأيام ببلوغ المراسيم أوجها؛ حيث تعطل الأسواق ويشارك جميع أبناء الجماعة - تقريباً بمراسيم العزاء ويتم إعداد الطعام بما يكفي جميع المشاركين.

#### الصنف الثاني: محرم وصفر

وهو بقية الأيام من شهر محرم وشهر صفر، حيث تأتي في أهميتها بالدرجة الثانية بعد العشرة الأولى من محرم؛ فيتحول هذان لشهران إلى موسم للشعائر الحسينية تقام فيه المجالس العامة من قبل الأصناف والجماعات في الأماكن العامة والخاصة، ويتخذون كل (عشرة) من هذين الشهرين فصلاً جديداً تشبهاً بالعشرة الأولى، ويذكرون فيها ما يناسبها من الخصوصيات، حتى تنتهي بالأربعين الحسيني، وتكون العشرة الأخيرة ذات علاقة برجوع السبايا إلى المدينة، وكذلك بوفاة النبي (ص) على ما سوف نشير إليه في ضمن الإشارة إلى هذه المناسبة.

والطابع العام في هذا الصنف من الشعائر هو (المجالس)، باستثناء الأربعين الذي تشكل فيه المواكب والمسيرات وتقصد العتبات المقدسة مثل كربلاء في العراق، ومشهد الإمام الرضا (ع) ومشهد فاطمة بنت موسى (ع) وغيرهما في إيران، أو الأماكن العامة المقدسة كالمساجد الكبيرة أو الحسينيات أو المؤسسات؛ كل ذلك تجديداً للمهد مع الإمام الحسين (ع) وتخليداً لرجوع السبايا إلى كربلاء كما في بعض الروايات.

كبار العلماء، هو أنّ مثل هذه الشعائر أصبح ضررها على الجماعة الصالحة أكبر من نفعها؛ إذ تشوّه صورتها وتقف حاجلاً بين أنوار الأئمة وإصالة فهمهم للإسلام وبين جمهور الناس من المسلمين، مضافاً إلى وجود شعبية (البدعة) المحرمة فيها؛ لأنها يؤتى بها أحياناً على أنها عمل عبادي يتقرب به إلى الله، ولم يرد نص شرعي يشبّه التعبد بها منه تعالى لا بخصوصها ولا بعنوان عام ينطبق عليها والله سبحانه وتعالى أعلم. منه قسم سره.

### الصف الثالث: المجالس الأسبوعية

المجالس الأسبوعية أو الشهرية التي اعتاد شيعة أهل البيت والجماعة الصالحة أن يقيموها نورياً في كل أسبوع أو شهر، سواء في الأماكن العامة لهم أم في بيوتهم، وذلك استجابة لنداء الأئمة في عقد هذه الاجتماعات، كما أشرنا إلى الأحاديث التي وردت مذهبهم في ذلك في بحث نظام العلاقات الاجتماعية.

وبذلك أصبحت قضية الإمام الحسين والولاء لأهل البيت وذكرهم مأموراً لهذه الاجتماعات كما حدث أهل البيت عليهم السلام على ذلك؛ ولأن كان الحديث فيها يتناول أيضاً مختلف القضايا العقائدية والأخلاقية والسلوكية والتاريخية والأدبية وغيرها.

ولذا نجد أن الجماعات أو الأشخاص يختارون يوماً أو ليلة من الأسبوع أو الشهر ويلتزمون بعقد الاجتماع فيه حسب ظروفهم، فتكون هذه الاجتماعات منسقة مستمرة وقائمة على طول السنة، ويحاولون أن ينسقوا الأيام والأوقات بينهم ليستفيد الجميع من هذه الاجتماعات؛ ولأن كان الأكثر يختار ليلة الجمعة ويومها باعتبار خصوصية هذين للوقتتين، ومن خلال هذه الاجتماعات تتأكد العلاقات الاجتماعية وتتحقق المنافع الدينية والدينية للصالحة، فتتحول مثلاً اجتماعات أهل العلم إلى أبحاث علمية، وأهل الأدب إلى اجتماعات أدبية، والتجار إلى أحاديث تجارية، وهكذا كل ذلك يحدث بعد ذكر أهل البيت وما يتناوله الخطيب من موضوعات دينية.

### الصف الرابع: المجالس في شهر رمضان

هو المجالس في شهر رمضان المبارك، حيث يتحول هذا الموسم العبادي الشريف - كما سوف نشير إليه - إلى موسم ثقافي أيضاً من خلال عقد المجالس العامة التي يكون طابعها ذكر الإمام الحسين عليه السلام؛ ولكن الحديث فيها

يتناول عادة الموضوعات الإسلامية بشكل أعم وأشمل، وتتركز هذه الموضوعات عادة في القضايا الأخلاقية والروحية والسلوكية والأحكام الشرعية وقراءة القرآن، ولئن كانت تشمل - أيضاً - الموضوعات الفكرية والعقائدية والتاريخية.

وبهذا نجد موازنة بين موسم شهر رمضان وبين موسم محرم وصفر من الناحية الثقافية، حيث يتم التركيز في الموسم الأول على القضايا السياسية، والنهضة ضد الظلم والطغيان والفساد وأهدافها وعواملها وأسبابها للتاريخية، وكذلك الجانب العاطفي والمشاعري، مضافاً إلى العقائد للمذهبية.

وأما في موسم شهر رمضان فيكون التركيز على القضايا الأخلاقية والروحية والأحكام الشرعية ذات العلاقة بالسلوك الإنساني، وخصوصاً مسائل الصلاة والصوم والزكاة وغيرها، مضافاً إلى تلاوة القرآن والجانب العقائدي المرتبط بأصول الدين كالالتوحيد والنبوة والوحي والمعاد.

كل ذلك مع وجود مشتركات بين هذين الموسمين ترتبط بالأوضاع العامة لأبناء الجماعة للصالح، وكذلك بموضوع الإمام الحسين (عليه السلام).

#### **النصف الخامس، المناسبات الخاصة**

هو للمجالس الحسينية في المناسبات الخاصة، حيث اهتم أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة للصالح بموضوع عقد الاجتماعات بين اتباعهم في مختلف المناسبات، وكانت الشعائر الحسينية هي محور هذه الاجتماعات، ففي مناسبات وفيات الأشخاص تعقد مجالس تعزية المصابين، ويكون المحور فيها هو قراءة القرآن الكريم وذكر مصيبة الإمام الحسين (عليه السلام)، أو أصحابه قربة إلى الله تعالى وتخفيفاً لألم المصاب على الناس.



وكذلك في مناسبات أخرى مثل المجيء من الحج أو الأسفار الطويلة، أو الانتقال إلى مسكن أو بيت جديد، أو لفتتاح مؤسسة عامة أو خاصة، أو الشفاء من المرض الشديد وغير ذلك من المناسبات ذات الطبيعة العامة التي يقتضي الوضع الاجتماعي عقد الاجتماعات فيها، وحتى بعض القضايا الخاصة التي يبتلى بها بعض الناس حيث يتقربون إلى الله تعالى أو يتبركون بذكر الحسين عليه السلام، وعقد المجالس لذكره، بحيث أصبحت هذه الاجتماعات شعاراً لهذه الجماعة الصالحة.

### ب - إحياء ذكريات المعصومين عليهم السلام

إنَّ إحياء ذكريات المعصومين عليهم السلام يمكن أن نقسمه إلى صنفين:

الأول: إحياء شهاداتهم ووفياتهم.

الثاني: إحياء مواليدهم وأقراهم.

#### ١ - إحياء الوفيات والشهادات

أما الصنف الأول فإن الجماعة الصالحة - انطلاقاً من تأكيد أهل البيت عليهم السلام لإحياء أمرهم كما أشرنا إلى ذلك في بحث العلاقات الاجتماعية - اهتموا بإحياء شهادات ووفيات المعصومين الثلاثة عشر من أهل البيت عليهم السلام (النبى الأكرم وابنته فاطمة الزهراء والأئمة الأحد عشر)، وكذلك بعض أولادهم وشيعتهم، مثل: مسلم بن عقيل وزينب الكبرى، وزيد بن علي وأبي طالب وأم البنين وغيرهم.

والاتجاه العام في ثقافة الجماعة الصالحة أن الأئمة عليهم السلام منهم تعرضوا للقتل والاستشهاد بالسيف، وهما الإمامان أمير المؤمنين والحسين بن علي عليهم السلام، ومنهم من استشهد بالسم وهم باقي الأئمة باستثناء الإمام الحجة عليه السلام الذي لا يزال حياً.

وهذا المعنى وإن لم يثبت تاريخياً إلا بالنسبة لعدد معين من أئمة أهل البيت عليه السلام، وهم الحسن والكاظم والرضا عليه السلام، إلا أن المتحشّنين والقراء يستندون فيه إلى رواية معتبرة عن الإمام الرضا عليه السلام يقول فيها: «ما منا إلا مقتول أو مسوم»<sup>(١)</sup>.

والروايات في تشخيص أيام وفيات الأئمة وشهانتهم وإن كانت مختلفة، حيث يبنى أنه لم يتم ضبط تاريخي دقيق لهذا الأمر لأسباب لا مجال لذكرها، لكن الجماعة الصالحة قد التزمت بصفة عامة ببعض هذه الروايات تبعاً لاجتهاد كبار علمائهم بهذا الصدد، وأصبحت الأيام المعينة بها هي التي يحتفل بها أتباع أهل البيت عليه السلام بوجه عام، مع اختلاف جزئي بين بعض المناطق سوف نشير إليه إجمالاً.

وتكاد تكون هذه الوفيات والشهادات موزعة على مختلف شهور السنة، باستثناء شهر شعبان<sup>(٢)</sup>، بحيث تؤلف هذه الاحتفالات دورة سنوية، مما يؤكد فكرة أن هذا العمل كان مخططاً تخطيطاً دقيقاً في أوساط الجماعة الصالحة؛ ليكون أحد شعارات الجماعة الصالحة ذات المضامين المتعددة الثقافية والروحية والاجتماعية ومنسجماً مع ظروفها الاجتماعية.

وفي هذه الاجتماعات يتم بحث حياة المعصوم وإبراز مظلوميته، مضافاً إلى تناول الأحداث التاريخية ذات العلاقة به بالتحليل، وكذلك تناول بعض الموضوعات العقائدية الإسلامية أو المذهبية، أو تناول بعض الوصايا والمواظبات الأخلاقية ذات الصلة بالإمام صاحب الذكرى، ويتم ختم المجلس والاجتماع عادة بذكر مصيبة الإمام الخالص وكذلك مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

(١) يحار الأنوار ١-٢: ٢٢، ج ٢.

(٢) شهر شعبان شهر المواليد والانراح كما سوف يتبين من العنوان الثالث.

وتكاد تكون هذه المجالس صورة أخرى من المجالس الحسينية التي تحدثنا عنها آنفاً، ولكن مع عناية خاصة بحياة الإمام صاحب الذكرى.

وهناك اهتمام خاص في أوساط الجماعة عامة بذكرى النبي ﷺ والإمام علي ﷺ والزهراء البتول ﷺ من بين المعصومين، مضافاً إلى ذكرى الإمام الحسين ﷺ كما سبق، ولكن في بعض الأوساط يوجد اهتمام خاص ببعض الأئمة الآخرين، ولا سيما الأوساط القريبة من المشهد الذي نفن فيه الإمام صاحب الذكرى. فمثلاً في الكاظمية يوجد اهتمام خاص بشهادة الإمام الكاظم، بحيث تصبح المراسيم والشعائر ذات صفة عامة وشاملة وتعطى فيها الأسواق وتخرج المواكب، وكذلك الأمر في شهادة الإمام الرضا ﷺ في خراسان، بل في عموم إيران، وكذلك وفاة الإمام الهادي ﷺ في سامراء<sup>(١)</sup>.

ونذكر هنا قائمة تحتوي الأيام المعروفة التي أُرخت فيها وفيات وشهادات هؤلاء المعصومين ﷺ كما هو معروف في أوساط الجماعة الصالحة:

١ - وفاة النبي الأعظم: ٢٨ صفر.

٢ - شهادة الإمام علي ﷺ: ١٩ - ٢١ رمضان، حيث جرح في التسع عشر من رمضان واستشهد في الواحد والعشرين منه.

٣ - شهادة الصديقة فاطمة الزهراء: ٨ ربيع الثاني و ١٥ جمادى الأولى و ٣ جمادى الثانية، حيث إن هناك روايات عديدة مختلفة في يوم وفاتها، وتقام للمجالس عادة في التاريخين الأخيرين، وتمتد المجالس أحياناً بينهما لفترة عشرين يوماً. وفي العراق تقام بعض المجالس في التاريخ الأول.

(١) كانت تقام للمواكب وتقمده الناس في العراق من مناطق مختلفة، وقد قام المجرمون بحكام البيت العفاقي بالتضييق على مجمل هذه النشاطات ومنعها؛ انطلاقاً من موقف العداء لأهل البيت ﷺ ولتباعهم. منه قلنس سره.

- ٤ - وفاة الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام): ٧ صفر في العراق، و ٢٨ صفر في إيران حيث تكون مع مناسبة وفاة النبي.
- ٥ - شهادة الإمام الحسين (عليه السلام): ١٠ محرم، وقد سبق للصديق عنها.
- ٦ - شهادة الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): ٢٥ محرم الحرام، وقد تقام في الثاني عشر من محرم.
- ٧ - شهادة الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): ٧ ذي الحجة الحرام.
- ٨ - شهادة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): ٢٥ شوال.
- ٩ - شهادة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام): ٢٥ رجب.
- ١٠ - شهادة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): ١٧ صفر في العراق، وآخر صفر في إيران.
- ١١ - شهادة الإمام محمد بن علي الجواد النقي (عليه السلام): آخر ذي القعدة.
- ١٢ - شهادة الإمام علي بن محمد الهادي النقي (عليه السلام): ٣ رجب.
- ١٣ - شهادة الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام): ٨ ربيع الأول.

## ٢ - إحياء مواليدهم وإفراحهم

وأما الصنف الثاني فهو الاحتفاء بمواليد المعصومين إلى جانب إحياء ذكرى وفياتهم وشهاداتهم، وبذلك توجد بعض الموازنة بين الاهتمام بالبالغ بالأحزان والآلام والاهتمام بالإفراح والمناسبات السرور.

ويتم الاحتفاء وإحياء ذكرى المواليد بطريقة مختلفة بعض الشيء عن إحياء الوفيات والشهادات:

فأولاً: تحتل مظاهر الزينة محل مظاهر الحزن والعزاء.

وثانياً: يكون الأداء والحديث هو ذكر فضائل أهل البيت (عليه السلام) ومقاماتهم

عن طريق إلقاء الخطب، وكذلك الشعر والمدائح والأناشيد، ومشاركة الحاضرين بإظهار البهجة والسرور.

وثالثاً: يكون الطابع العام لذكرات المواليد هو الطابع الأنبي والمشارعي، حيث تعقد الاحتفالات والمهرجانات التي يشارك فيها الشعراء والأدباء والخطباء المعتدبون، وإن كان يقتصر في بعض الأحيان بالأحاديث الثقافية والعقائدية خصوصاً في ميلاد بقية الله في الأرض الإمام الحجة (عج)، حيث إن فرصة الحديث خاصة تكون بمناسبة ميلاده الشريف، ومن ثم فهي تجمع بين نوعي الحديث المطلوب.

وفي مجال مواليد المعصومين عليه السلام نجد أنَّ الاحتفال العام يكون عادة مختصاً ببعض المعصومين، بخلاف الوفيات والشهادات فإنها تشمل جميع المعصومين المستشهدين كما ذكرنا، ولعل للسبب في ذلك هو وجود الاتجاه العام لدى الجماعة الصالحة بإبراز الظلامة والآلام والمحن التي تعرض لها أهل البيت عليه السلام؛ لأنها هي الظاهرة الواقعية البارزة في تاريخهم من نكبة، وتاريخ اتباعهم من نكبة أخرى.

مضافاً إلى أنَّ هذا الاهتمام يعد أبناء الجماعة الصالحة بمقومات الصبر والصمود، وبالوضوح في رؤية الأحداث وفهمها، وكذلك رؤية ستن التاريخ وحركته، وللتأسي بأهل البيت عليه السلام.

ولعل هذا الاتجاه يعتمد على مثل ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام من قوله: «ونحن أعياننا ملكتنا»<sup>(١)</sup>، ومن قوله عليه السلام: «القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة»<sup>(٢)</sup>.

(١) منقلب آل أبي طالب ٣: ٢٩٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١١٨.

وإنَّ للفهم الصحيح للأعياد والأيام هو استغلالها في العبادة ومعرفة الله وخدمة الناس، وانتظار الجائزة من الله تعالى على ما سوف نشير إليه في (الأيام).  
ويلاحظ من خلال تقسيم هذه المواليد أنها تختلط من حيث الزمان إلى حد ما بذكريات الشهادات والوفيات، باستثناء شهري محرم وصفر للمختصين بالعزاء، وشهر شعبان الخاص بالمواليد. هذا على مستوى الإحياء، وأمَّا على مستوى تاريخ مواليد الأئمة فهو أوسع من ذلك.

وبذلك تتحقق الموازنة بصورة أفضل وأوسع مع ترجيح لجانب الأحرار. وإليك قائمة بالمواليد التي يتم الاهتمام بها في اوساط الجماعة الصالحة:

١ - ميلاد النبي الأعظم ﷺ: ١٧ ربيع الأول، وهو في الوقت نفسه يوم ميلاد الإمام الصادق عليه السلام.

وبالرغم من وجود روايات تذكر أنَّ ميلاد النبي ﷺ كان في الثاني عشر من ربيع الأول كما هو معروف لدى جمهور المسلمين، اعتاد أهل البيت أنَّ يتخذوا للسابح عشر من ربيع الأول يوم ذكرى ميلاد النبي<sup>(١)</sup>.

٢ - مولد الإمام علي عليه السلام: ١٣ رجب المرجب.

٣ - مولد الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٠ جمادى الآخرة.

٤ - مولد الإمام السبط المجتبي الحسن بن علي عليه السلام: ١٥ رمضان.

٥ - مولد الإمام السبط للشهيد الحسين بن علي عليه السلام: ٣ شعبان.

٦ - مولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ٥ شعبان.

(١) لقد اهتمت الجمهورية الإسلامية بهذين التاريخين، وجمعت بينهما ضمن أسبوع ولقد سمته أسبوع الوحدة بين المسلمين: تعبيراً عن رمزية رسول الله ﷺ لهذه الوحدة المباركة. وسوف يأتي في بحث الأيام مزيد من التفصيل حول هذا اليوم. منه قدس سره.

٧ - مولد الإمام الرضا عليه السلام: ١١ ذي القعدة.

٨ - مولد الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام: ١٥ شعبان.

وقد يثار هذا السؤال: لماذا اختص هؤلاء المعصومون دون غيرهم بهذا الاهتمام في جانب المواليد؟

وعنا لا بد أن نؤكد أنه على مستوى الذكرى قد تقام بشكل محدود بعض المراسيم لبقية مواليد الأئمة عليهم السلام، ولكن على مستوى الجمهور اختصت هذه المواليد بالاهتمام، باعتبار وجود خصوصيات تاريخية ومعنوية ترتبط بهؤلاء الأئمة تحظى باهتمام الجماعة الصالحة، فالنبي الأعظم رسول الإنسانية، وحفيده الإمام الصادق عليه السلام يمثل العنوان المذهبي الفقهي للجماعة الصالحة، والإمام علي عليه السلام يمثل العنوان المذهبي العقائدي؛ لأنه أول الأئمة والوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام الحسن هو السبط الأول لرسول الله صلى الله عليه وآله، الذي يمثل بداية امتداد نريته، والإمام الحسين هو السبط الشهيد الذي اقترنت ولانته بالبكاء والحزن، والإمام علي بن الحسين عليه السلام يمثل في الاحتفال الامتداد للاحتفال بالإمام الحسين، حيث يحتفل أتباع أهل البيت مدة ثلاثة أيام، هي: الثالث والرابع والخامس من شعبان، فالיום الأول يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام، والثاني يوم ولادة العباس بن علي عليه السلام، والثالث يوم ولادة الإمام زين العابدين، وتجمعهم جميعاً مأساة كربلاء.

وأما الإمام الرضا فيحتفل بميلاده احتفالاً واسعاً في إيران؛ باعتبار خصوصية مرحلته التاريخية ووجوده في إيران رمزاً لولاء الشعب الإيراني المسلم لأهل البيت عليهم السلام.

وأما الإمام الحجة عليه السلام فهو يمثل البقية الباقية للولاية للخاتمة في هذه الأمة.

### ج - الزيارة لقبورهم ومقاماتهم

تعتبر زيارة قبور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت، وكذلك قبور الأنبياء والصالحين وثراري الأئمة عليهم السلام من أبرز الشعائر التي اكدها أهل البيت عليهم السلام، ولتزمتم بها الجماعة الصالحة، وتعدّ الزيارة ظاهرة واسعة وكبيرة ومهمة في حياة الجماعة الصالحة.

ويعتبر هذا الشعار من الشعائر الإسلامية العامة باعتباره يمثل بمضمونه وشكله نوعاً من أنواع الحج، حيث جاء في الروايات - كما سوف نعرف - أنّ للزيارة من إتمام الحج.

ومع ذلك يوجد من يذهب إلى كرامة أو حرمة قصد هذه القبور بالسفر والزيارة أو بناء الأبنية والقباب عليها، كما ذهب إلى ذلك محمد بن عبد الوهاب وأتباعه المعروفون بالوهابيين، إلّا أنّ الروايات الكثيرة المتواترة عن أهل البيت عليهم السلام، وكذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه الكرام تؤكد لاستحباب هذا العمل.

### مشروعية الزيارة

ونشير هنا إلى بعض الروايات التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد أنّ هذا العمل من الأعمال المستحبة، والشعائر المهمة التي اهتم بها أهل البيت عليهم السلام في بناء للجماعة الصالحة.

فقد روى الكليني والصدوق في عيون أخبار الرضا وعلل الأحكام، وكذلك ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات بطريق معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد



وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان ثلثتهم شفعاءهم يوم القيامة،<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى معتبرة عن زيد الشحام قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار واحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية ثالثة معتبرة عن الصادق عليه السلام يقول: «ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي ﷺ فسلموا عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسن بن علي عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا دنت الشمس للغروب انصرفوا إلى قبر رسول الله ﷺ فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسن عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر بإسناد متعدد عن أبي عامر الثباني وأخطأ أهل الحجاز قال: «أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقلت له: يا بن رسول الله، ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين عليه السلام - وعمر تربته؟ قال: يا أبا عامر، حدثني أبي عن أبيه، عن جده الحسين بن علي عليه السلام، عن علي عليه السلام أن رسول

(١) علل الشرائع ٢: ٤٥٩، ح ٣.

(٢) بحار الأنوار ٩٧: ١١٧، ح ٥.

(٣) بحار الأنوار ٩٧: ١١٧، ح ٨.

الله ﷺ قال له: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها. قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن، إن الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعروسة من عرصاتنا، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحتمل المذلة والاذى، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، للواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنة.

يا علي، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما اعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل تلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من نوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولقته أمه، فلبشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الرّانية بزناها، أولئك شرار امتي لا إنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي<sup>(١)</sup>.

وقد جاء التأكيد بشكل خاص في الروايات على زيارة قبر النبي ﷺ وزيارة قبر الإمام الحسين ﷺ كما تقدم ذلك<sup>(٢)</sup>، وكذلك قبر الإمام علي ﷺ بنسبة أقل؛ باعتبار وجود الخصوصية في هذه الزيارات؛ لأن النبي ﷺ وهذين الإمامين لهمالين يمثلون الرموز والشعار بالنسبة للجماعة الصالحة، مضافاً إلى الأثر للخاصة في الترتيب الثقافية والروحية والسيسية لهذه الزيارات.

(١) بحار الأنوار ١٢٠:٩٧، ح ٢٢، ويؤكد سنكه مثله ح ٢٢، ح ٢٤، ح ٢٥.  
(٢) في بحث المؤسسات الثقافية عندما تحدثنا عن الشعائر الحسينية، وزيارة الإمام الحسين.

كما نلاحظ في الزيارات أنَّ التأكيد على الزيارة بشكل عام جاء في زيارة النبي ﷺ، وألحقت بزيارته الشريفة زيارة الأئمة الطاهرين. وأمَّا الزيارات الخاصة فقد وردت بشكل مؤكد للإمامين علي بن أبي طالب والحسين بن علي ﷺ.

### المضمون الثقافي للزيارة

قد تناولنا في بحث المؤسسات الثقافية الآثار الروحية والسياسية والاجتماعية للزيارة من خلال بحث زيارة الإمام الحسين ﷺ، ونضيف هنا أنَّ الزيارة تمثل تجسيدا عمليا وروحيا للرابطة بين أبناء الجماعة الصالحة والأئمة المعصومين ﷺ، حيث يعتقد الزائر أنَّه يرد على بيت الإمام الذي هو من بيوت الله، التي أن الله أن ترفع وينكر فيها اسمه، وأنه يتحدث في هذه الزيارة مع الإمام الذي يسمع كلامه ويفهمه ويرد جوابه.

ولعل النص الذي يقوله الزائر في مقام الاستئذان في كل المشاهد والعتبات المقدسة للمعصومين يعبر عن هذه الحقيقة: «اللهم إني وقفت على باب من أبواب بيوت نبيك صلواتك عليه وآله، وقد منعت الناس أن يدخلوا إلا بإذنك، فقلت:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي لَا تَدْخُلُا بَيْتَكَ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. اللهم

إني اعتقد حرمة صاحب هذا المشهد الشريف في غيبته، كما اعتقدها في حضرته، وأعلم أنَّ رسلك وخلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يرزقون، يرون مقامي ويسمعون كلامي ويرثون سلامي، وأنت حجب عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلنيز مناجاتهم، وإني استأذنك يا ربِّ لولاء، واستأذن رسلك ﷺ ثانياً، وأستأذن خليفتك الإمام المفروض علي طاعته (ينكر لسم الإمام) والملائكة الموكلين بهذه البقعة المباركة ثالثاً. أَدْخِلْ يا رسول الله؟ الدخُل

يا حجة الله؟ أدخل يا ملائكة الله المقربين المقيعين في هذا المشهد الشريف؟  
فأذن لي يا مولاي في الدخول أفضل ما أذنت لأحد من أوليائك، فإن لم أكن أهلاً  
لذلك فانت أهل لذلك»<sup>(١)</sup>.

كما أن المضامين المشتركة التي تتضمنها مجمل مراسيم زيارات  
المعصومين (عليهم السلام) لها أبعاد عقائدية توحيدية إسلامية وروحية، مثل التكبير مائة  
مرة، والشهانتين، والسلام على الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وعدّهم واحداً بعد آخر،  
وغير ذلك من مراسيم الشكر لله تعالى على التوفيق والحمد والتقديس، الأمر  
الذي يمثل بربساً عقائدية وأخلاقية وروحية مبشرة.

وقد تناولت الموسوعات الحديثية هذا الموضوع بشكل واسع، بحيث  
تميّزت بها موسوعات الحديث لدى أتباع أهل البيت والجماعة الصالحة، كما ألفت  
الكتب الخاصة بالزيارة والدعاء منذ القرون الأولى، مثل كتاب كامل الزيارات لابن  
قولويه، ومصباح المتجهّد للشيخ الطوسي، والإقبال للسيد ابن طلوس، والمزار  
الكبير للشيخ محمد المشهدي، وكذلك المزار للشهيد، والمصباح للكفعمي<sup>(٢)</sup>  
وغيرها، الأمر الذي يدل على وجود اهتمام بالغ وخاص بهذا الموضوع  
لشعائري العبادي.

(١) مفاتيح الجنان: ٣١١ - ٣١٢، عن الكفعمي.

(٢) ولعل أفضل وأشهر كتاب جامع مختار ومختصر نسبياً هو الكتاب المشهور (مفاتيح  
الجنان)، الذي ألفه المرجوم المعقّد المحدث الشيخ عباس القمي بالفارسية في هذا  
العصر، والذي أخذ فيه من المصادر المختلفة، وقد طبع منه حتى الآن ملايين النسخ،  
وانتشر في جميع الأوساط والبلدان، وترجم إلى العربية والأوردية وغيرهما من اللغات  
الأخرى. ويمكن من خلال مراجعته التعرف على تفاصيل الزيارات وأدائها ووقاتها  
والادعية الواردة فيها.

## الأقسام العامة للزيارات

وهنا نشير بشكل إجمالي إلى الأقسام العامة للزيارات، وكذلك إلى بعض أوقاتها المهمة التي يهتم بها إبناء الجماعة الصالحة، ونترك التفاصيل إلى كتب الزيارات الموسعة، ونعتمد بشكل أساسي في هذا الموضوع على الكتاب المشهور (مفاتيح الجنان).

وتوجد للزيارة آداب ومراسيم عامة يحسن بالإنسان المؤمن الالتزام بها، وهي تعادل جانباً من هذا الشعور المبارك، وأهمها: الطهارة المعنوية بالغسل والوضوء، والتنظافة المادية للبدن والثياب من النجاسات والأوساخ، والذكر لله تعالى من التسبيح والحمد والشكر له على هذا التوفيق، وغيرها من الآداب.

كما أن السفر بشكل عام نجد له آداباً ومراسيم خاصة به، ودعية وأوقاتها معينة؛ باعتبار أنه يكون مقبلة للزيارة عادة، ويذكر أصحاب كتب الحديث والزيارات هذه الآداب في مقدمات كتب الحج والزيارة<sup>(١)</sup>.

## الأول: زيارة خير النبي ﷺ والأئمة في البقيع

لقد جاء في روايات كثيرة متظافرة تأكيد ثواب زيارة النبي ﷺ، بل إن بعض هذه الروايات توجب زيارته في الحج لمن يقدر عليها، وتنص على أن الإعراض عن زيارته يكون جفاءً لرسول الله ﷺ وهو محرم، كما أن الكثير منها يؤكد أنها سبب لدخول الجنة، ومن هذه الروايات ما عن الصادق عليه السلام: «إذا حج أحدكم فليحتم حجه بزيارتنا؛ لأن ذلك من تعلم الحج».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «اتموا برسول الله ﷺ حجكم إذا خرجتم إلى

(١) راجع في آداب السفر مفاتيح الجنان: ٢٠٢ - ٢٠٦، وآداب الزيارة: ٢٠٦ - ٢١١، فإنه ذكرها ملخصاً.

بيت الله؛ فإن تركه جفاء وبذلك أُمِرْتُمْ، واتموا بالقبور التي الرّمكم الله عز وجل زيارتها وحققها، واطلبوا الرزق عندها.

وعن الباقر عليه السلام: «إن النبي صلى الله عليه وآله قال: من زارني حياً أو ميتاً كنت له شقيقاً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن بن علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا ابتاه، ما جزاء من زارك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بُنَيَّ من زارني حياً أو ميتاً أو زار فاك أو أخاك أو زارك، كان حقاً علي أن أزوره يوم القيامة فأخلصه من نوبه»<sup>(٢)</sup>.

وفي نص آخر بطريق معتبر عن الحسين بن علي عليه السلام: «يا بُنَيَّ، من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وفي نص آخر عن الإمام الرضا عليه السلام: «قال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى»<sup>(٤)</sup>.

وعن زيد قال: «قلت لأبي عبد الله الصديق عليه السلام: ما لمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: كمن زار الله في عرشه»<sup>(٥)</sup>.

وقد سئل الإمام الصديق عليه السلام: «هل يزار والدك؟ فقال: نعم. قال: فما لمن زاره؟ قال: الجنة إن كان ياتم به. قال: فما لمن تركه رغبة عنه؟ قال: الحسرة يوم الحسرة»<sup>(٦)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٩٧: ١٣٩، ج ٢، ٣.

(٢) بحار الأنوار ٩٧: ١٤٠، ج ٧.

(٣) كامل الزيارات: ٣٦، ج ٩.

(٤) بحار الأنوار ٩٧: ١٣٩، ج ٤.

(٥) كامل الزيارات: ٤٨، ج ٢١.

(٦) كامل الزيارات: ٣٥٧، ج ٧.

ودوي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من زارني عُفرت له ذنوبه ولم يمت فقيراً»<sup>(١)</sup>.

وقد كان هذا التأكيد لزيارة النبي صلى الله عليه وآله لأنها هي الأفضل، وهي المقياس والمثال لبقية الزيارات.

ولا شك أن زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من نريته عليه السلام هي من أفضل الأعمال والشعائر التي يلتزم بها أبناء الجماعة للصالحية، وتهتم بها اهتماماً خاصاً في مواسم الحج والعمرة، وتحتمل من أجلها مختلف ألوان المعاناة والأذى، ولا سيما في هذه الأيام التي يضيق فيها القائمون على هذه المشاهد الشريفة والمتولون لأمرها بالزوار، ويتهمونهم بالتهمة الباطلة.

#### الثاني: زيارات الإمام الحسين عليه السلام

تستحب استحباباً مؤكداً زيارة الإمام الحسين عليه السلام في كل الأوقات، سواء من قرب<sup>(٢)</sup> بالحضور في حرمة الشريف، أم من بُعد في أي مكان يوجد فيه الإنسان بعيداً عن حرمة، وإن كانت زيارته في مرقده الشريف، أو في مرقده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أو مراقدة بقية الأئمة الأطهار، أو في الأماكن المقدسة الأخرى يكون شوبها أكثر بلا ريب، كما نصت على ذلك بعض الروايات، ولا سيما بعض هذه الأماكن المقدسة.

(١) بحار الأنوار ٩٧، ١٤٥، ج ٣٤.

(٢) جاء في بعض الروايات أن زيارته من قرب واجبة للمستطيع، كما سبق في بحث (الشعائر الحسينية)، وهذا الأمر وإن لم نعرف من يفتي به من الفقهاء، ولكن لا يبعد أن يكون هذا الوجوب إما ولايةً بحسب ضرورات تلك المرحلة التي صدر فيها النص، أو يكون المراد منه وجوباً في الحب والولاء والارتباط بأهل البيت عليه السلام، وعلى أي حال فهذه النصوص تدل - على الأقل - على شدة استحباب هذا العمل ومطلوبيته، كما في صلاة الجماعة مثلاً التي ورد تأكيد استحبابها، وعهد النبي صلى الله عليه وآله من لا يحضرها يهدم نارده، منه قدس سره

كما ورد في بعض الروايات السابقة أنَّ فضل زيارة أي واحد من الأئمة هو فضل زيارة الخبيبي عليه السلام، وورد «من زار واحداً منا كان كمن زار الحسين عليه السلام»<sup>(١)</sup> وإنَّ زيارة قبورهم تشترك في الفضل كما سبق.

ولعل أشهر نص يزار به جميع أئمة أهل البيت الأحد عشر المستشهدين، هو الزيارة المعروفة بزيارة أمين الله (السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته على عباده)، وقد قال عنها العلامة المجلسي رحمته الله إنها لحسن الزيارات متناً وسنناً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات العقبة.

وقد روي بإسناد معتبر عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه زار بها الإمام زين العابدين عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام <sup>(٢)</sup>.

ومع كل ذلك نجد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام من الناحية العملية يختص بعدد أكبر من الروايات في مقام التأكيد لزيارته، والثواب العظيم المترتب عليها، بحيث بلغت حد التواتر، وقد جاء في بعضها أنها الفضل من زيارة بقية الأئمة لمتأخرين عنه، وكذلك بأوقات مخصوصة وتصوص مروية بأسانيد متعددة لهذه الزيارات المخصوصة، وكذلك للزيارات المطلقة العامة التي يمكن أن يزور بها في كل وقت.

وقد جاء في المجاميع الخاصة بالزيارات الأوقات المخصوصة لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، حسب التسلسل الزمني لها في السنة القمرية الهجرية:

- (١) بهار الأنوار ٩٧: ١١٨، ج ١٠.
- (٢) مفاتيح الجنان: ٢٥٠، حيث نكرها في الزيارات المطلقة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم نبهنا بكلام الإمام الباقر: «ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعةنا عند قبر أمير المؤمنين أو عند قبر أحد من الأئمة، إلا رفع الله دعاءه في دُرج من نور، وطيح عليه بخاتم محمد عليه السلام، وكان محفوظاً حتى يسلم إلى قائم آل محمد عليه السلام، فيلقني صاحبه بالبشرى والتمية والكرمة إن شاء الله».



١ - زيارة عاشوراء في اليوم العاشر من محرم الصرام، ولها نص أو نصوص خاصة بها<sup>(١)</sup>.

٢ - زيارة الأربعين في اليوم العشرين من شهر صفر، ولها نص أو نصوص خاصة بها.

٣ - زيارة الأول من رجب، ولها نص خاص بها تشترك فيه مع زيارة النصف من شعبان.

٤ - زيارة النصف من رجب في ليلته ويومه، ولها نص خاص يشترك مع زيارة الأول من رجب.

٥ - زيارته وللصلاة عليه في يوم مولده الشريف الثالث من شعبان، ولها نص خاص.

٦ - زيارة ليلة النصف من شعبان ويومه، ونصها هو زيارة الأول من رجب.

٧ - زيارة ليالي القدر (١٩ و ٢١ و ٢٣) من رمضان، ولها نص خاص بها.

٨ - زيارة ليلتي العيدين للفطر والأضحى، ولها نص خاص بها.

٩ - زيارة يومي العيدين الفطر والأضحى، ولها نص خاص بها.

١٠ - زيارة يوم عرفة وهو التاسع من ذي الحجة، ولها نص خاص بها.

وتختص من بين هذه الزيارات زيارتا ليلة النصف من شعبان ويوم عرفة بأهمية خاصة من حيث الثواب والأجر الذي وردت فيه النصوص المتعددة، وكذلك من حيث الاهتمام من قبل أبناء الجماعة الصالحة، وقد وردت النصوص فيهما أنهما أفضل من الحج والعمرة المستحبة، وأن الله سبحانه وتعالى ينظر بالرحمة

---

(١) يمكن مراجعة النصوص الخاصة بهذه الزيارات في كتاب مفاتيح الجنان: ٤٢٨ - ٤٦٩، وقد ذكرها متسلسلة ولكن بدأ بزيارة الأول من رجب، كما أن العلامة المجلسي قد وضع فصلاً واسعاً من كتابه بحار الأنوار يتضمن مجموع ما ورد في زيارته ~~تلك~~ يضمها الجزء ٩٨ من طبعة دار إحياء التراث العربي.

والمغفرة إلى زوار الإمام الحسين قبل أن ينظر إلى الواقفين في عرفات. وكذلك زيارتا عاشوراء والأربعين من حيث الاهتمام بمراسم العزاء فيهما من قبل أبناء الجماعة الصالحة، حيث تقام مجالس العزاء الكبيرة وتخرج الموكب المنظمة الكثيرة. ويضاف إلى هذه الزيارات المخصوصة نصوص للزيارات المطلقة التي يزار بها الإمام الحسين في الأوقات المختلفة عن قرب أو بُعد، وقد ذكر العلامة القمي في مفاتيح الجنان سبعة نصوص لها، أشهرها زيارة وارث المعروفة<sup>(١)</sup>.

وتوجد آداب عامة ومفصلة لزيارة الإمام الحسين، وأعمال يؤديها الزائر في حرمة الشريف، أهمها أن يكون الإنسان على طهارة معنوية وهي للوضوء، وطهارة بدنه وثيابه من النجاسات، وكذلك الدعاء والاجتهاد في الإقبال على الله فيه والذكر والحمد والشكر له تعالى، والالتزام بجميع الآداب التي لا بد للإنسان أن يلتزم بها في حضور الإمام وحياته، وهي آداب عامة لزيارة النبي وبقية الأئمة<sup>(٢)</sup>.

### الثالث: زيارات الإمام علي

قد عرفنا في الروايات السابقة التي أوردها في زيارة النبي الثواب

(١) مفاتيح الجنان: ٤٢٢ - ٤٢٠.

(٢) مفاتيح الجنان: ٤١١ - ٤٢٢، وبحار الأنوار ٩٧: ١٣٤ - ١٣٨.

(٣) إنما ذكرنا زيارة الإمام علي بعد زيارة الإمام الحسين - بالرغم من أن زيارات الأئمة في نفسها متساوية في الفضل، أو يتبع فضلها فضل المعصوم الذي يزار - لأن زيارة الإمام الحسين جاء الاهتمام بها في الروايات أكثر من جميع الزيارات؛ بسبب طبيعة الحصاب والظروف السياسية والروحية التي لحظت بهذه الزيارة كما ذكرنا ذلك من قبل، وكذلك نجد الاهتمام الخاص من أبناء الجماعة الصالحة بزيارة الإمام الحسين بسبب هذا للتوجيه للخلص من الأئمة إليها، مع كثرة عدد الزيارات المخصوصة لها نسبياً. منه قس سره.

العظيم، والآثار المهمة التي تترتب على زيارة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وهناك روايات أخرى تحدثت عن فضل زيارته، منها ما رواه الكليني، عن أبي وهب القصري قال: «دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام. قال: بنس ما صنعت، لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك! ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون؟ قلت: جعلت فداك، ما علمت ذلك. قال: فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل عند الله من الأئمة كلهم، وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فضلوا»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك فيلقون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلموا عليه، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلموا عليه، ثم عرجوا، وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة.

وقال عليه السلام: من زار أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويُعطى من الآمنين، وهُوْن عليه الحساب، واستقبله الملائكة، فإذا انصرف شيعته إلى منزله، قرأَ مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره.

قال: ومن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة، وألف عمرة مقبولة، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٥٨٠، ح ٣.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٦٤، ح ٢٢.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إِنَّ اللهَ عَرَضَ وَلايْتَنَا عَلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا إِلَّا أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَإِنْ لِي جَانِبُهَا قَبْراً لَا يَأْتِيهِ مَكْرُوبٌ فَيُصَلِّي عَنْهُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ إِلَّا رَجَعَهُ اللهُ مَسْرُوراً بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وعن الصادق (عليه السلام) وقد ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «يَا بَنَ مَارِدَ، مَنْ زَارَ جَدِّي عَارِفاً بِحَقِّهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حُكَّةً مَقْبُولَةٌ وَعِمْرَةٌ مَبْرُورَةٌ. يَا بَنَ مَارِدَ، وَاللهُ مَا يَطْعَمُ اللهُ الْفَارَ قَدْماً تَغْبُرَتْ فِي زِيَارَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) مَا شَيْئاً كَانَ أَوْ رَاكِباً. يَا بَنَ مَارِدَ، اكْتُبْ هَذَا لِلْحَدِيثِ بِمَاءٍ لَذِيبٍ»<sup>(٢)</sup>.

وتنقسم زياراته صلوات الله وسلامه عليه إلى قسمين:

**الأول: الزيارات المطلقة،** وقد عدَّ الشيخ القمي سبع زيارات منها للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في مفاتيح الجنان، أوسعها الزيارة الأولى التي نسبها إلى الشيخ المفيد والشيخ الشهيد والسيد ابن طاووس وغيرهم، وأهمها هي الزيارة الثانية المعروفة باسمين الله التي سبقت الإشارة إليها.

وفي الزيارة الأولى تفاصيل يبدأ بها الزائر منذ خروجه من منزله إلى وصوله الكوفة، ثم يمضي إلى قبره في النجف الأشرف إلى وداعه (عليه السلام)، وفيها زيارة لأكرم ونوح (عليه السلام)، ورسول الله (صلى الله عليه وآله)، وللإمام الحسين (عليه السلام)<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر في البحار عدداً أكبر من الزيارات المطلقة<sup>(٤)</sup>.

**الثاني: الزيارات المخصوصة بأيام معينة،** وهي أربع زيارات معروفة:

**الأولى: زيارة يوم التدير،** وهي أوسع الزيارات وتشتمل على مجمل

(١) كامل الزيارات: ٣١٣، ح ٤.

(٢) بحار الأنوار: ٩٧: ٢٦٠، ح ٩٠.

(٣) مفاتيح الجنان: ٢٢٩ - ٢٦١.

(٤) بحار الأنوار: ٩٧: ٢٦٣ - ٣٥٤.

المفاهيم والفضائل ذات العلاقة بأمير المؤمنين، وقد تم في هذا اليوم الشريف تنصيب الإمام علي أمير المؤمنين للإمامة والخلافة والولاية في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، حيث جمع النبي ﷺ الججاج في مغترب الطريق عند (غدير خم) وأعلن لهم تلك الحديث المعروف بحديث الغدير.

وقد رويت هذه الزيارة بأسانيد معتبرة، كما يقول الشيخ القمي<sup>(١)</sup>، عن الإمام علي بن محمد الهادي النقي<sup>(٢)</sup>، حيث زار بها جده الإمام علياً<sup>(٣)</sup> في مثل هذا اليوم، عندما اشخصه المعتصم العباسي إلى بغداد، كما رواها الشيخ المفيد رسالة عن الإمام أبي محمد العسكري، عن أبيه<sup>(٤)</sup>.

وقد روي في فضل زيارة الغدير عن الرضا<sup>(٥)</sup> أنه قال لا ين أبي نصر (أحمد): «يا بني نصر، أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين<sup>(٦)</sup>؛ فإن الله تعالى يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة لنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما اعتق في شهر رمضان وفي ليلة القدر وليلة الفطر»<sup>(٧)</sup>.

وقد أورد العلامة المجلسي في البحار، والعلامة القمي في المفاتيح نصوصاً أخرى لزيارة يوم الغدير، ومنها نص زيارة (أمين الله).

الثانية: زيارة يوم ميلاد النبي ﷺ، وهو اليوم السابع عشر من ربيع الأول، وقد روى الشيخ المفيد والشهيد في مزاره والسيد ابن طاووس في الإقبال أن الإمام الصادق<sup>(٨)</sup> زار أمير المؤمنين في هذا اليوم بنص خاص للزيارة، وعلمها الثقة الجليل محمد بن مسلم الثقفي، وقد أورد النص كل من

(١) مفاتيح الجنان: ٣٦٢.

(٢) بحار الأنوار ٩٧: ٢٥٩، ج ٦.

(٣) بحار الأنوار ٩٧: ٢٥٨، ج ٦.

العلامة المجلسي في البحار والعلامة القمي في المفاتيح<sup>(١)</sup>، وهي تشتمل على مخاطبة الإمام علي (عليه السلام) بصفات الفضيلة والعلم والجهاد، والولاء له والبراءة من أعدائه والشهادة له بحقه.

**الثالثة: زيارة ليلة المبعث الشريف** ويومہ لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو اليوم السابع والعشرون من شهر رجب على ما هو مشهور لدى أبناء الجماعة الصالحة، بل المتفق عليه لديهم<sup>(٢)</sup>، وقد نكر نصها الشيخ المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس، ودواها عنهم العلامة المجلسي، ولكنه علق على الزيارة بعد ذكرها بأنه لم يطلع على سندها ولا على اختصاص هذا اليوم بزيارة مخصوصة، وإن كان ذلك من المشهورات لدى الشيعة<sup>(٣)</sup>، كما أن العلامة القمي ذكر ثلاثة نصوص لهذه الزيارة.

- (١) بحار الأنوار ٩٧: ٣٧٣، ومفاتيح الجنان: ٣٧٤.
- (٢) من المعروف تاريخياً أن المبعث الشريف اثنان بنزول القرآن، ولا شك أن نزول القرآن كان في شهر رمضان بدلالة قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وكان في ليلة القدر أيضاً بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ولذا يثار التساؤل حول تاريخ المبعث الشريف، ولكن يمكن أن يقال: إن بدء نزول القرآن نجوماً كان في اليوم السابع والعشرين من رجب، ونزول القرآن جملة كان في شهر رمضان، إذ إن للقرآن نزولين بلا شك:
- أحدهما: النزول التدريجي التفصيلي على شكل نجوم، وكان هذا في ضمن ثلاث وعشرين سنة طيلة فترة الرسالة منذ البعثة حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
- والآخر: نزوله جملة واحدة وهي مرحلة الأحكام، وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر: ﴿كَيْتُ أَتَيْتُكُمْ بِإِيمَانٍ ثُمَّ فُتِنْتُكُمْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيبٍ﴾، والله سبحانه العالم.
- (٣) بحار الأنوار ٩٧: ٢٨٢، وقد اثار العلامة القمي سؤالا حول هاتين الزيارتين (الميلاد والمبعث)، وحاصله: أنه لما كانت الزيارة خلعة بأمر المؤمنين دون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولجأ: بأن علياً (عليه السلام) هو نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وزيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) زيارته (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه أريد من هذا الاختصاص التأكيد على فضل علي (عليه السلام) لمظلوميته. وقد نكر حديثين يؤكدان هذه المفاهيم. راجع مفاتيح الجنان: ٣٧٨ .. ٣٧٩. منه قدس سره.

الرابعة: زيارته يوم شهادته، وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر رمضان المبارك، وقد روى الكليني في الكافي والصدوق في الأمالي أنه «لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتجّ الموضع بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض النبي صلى الله عليه وآله، وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أول القوم إسلاماً... وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى، وبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم طلبوه فلم يصابفوه». ويعتقد أن هذا الرجل كان هو الخضر عليه السلام<sup>(١)</sup>.

#### الرابع، زيارات أئمة أهل البيت عليه السلام

يضاف إلى الاهتمام الخاص لأهل البيت عليه السلام بتأكيد زيارات النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام، تأكيدهم عليه السلام أيضاً لزيارات قبور الأئمة عليه السلام عامة، كما لاحظنا ذلك في الروايات السابقة التي ذكرناها في أول هذا الفصل تحت عنوان (الزيارات لقبورهم)، مع روايات كثيرة متظافرة تؤكد هذا المعنى، ونشير هنا أيضاً إلى بعضها.

روي عن زيد الشحام قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام؟ قال: كمن زار الله في عرشه. قال: قلت: فما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>.

وعن عيسى بن راشد قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام وصلى عنده ركعتين؟ قال: كتبت له حجة وعمرة.

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٣٥٥ - ٣٥٦. وقد لاحظ العلامة القمي أن نص هذه الزيارة يشبه كثيراً بعض ما ورد في نص زيارة المبعث الشريف.

(٢) كمل الزيارات: ٢٨٢، ح ٤.

قال: قلت له: جعلت فداك، وكذلك كلُّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته؟ قال: وكذلك كلُّ من أتى قبر إمام مفترض طاعته»<sup>(١)</sup>.

ومن عبد الرحمن بن مسلم قال: «دخلت على الكاظم (عليه السلام) فقلت له: أيما أفضل، زيارة الحسين بن علي أو أمير المؤمنين (عليه السلام) أو لقان أو فلان، وسعيت الأئمة واحداً واحداً؟ فقال لي: يا عبد الرحمن، من زار أولنا فقد زار آخرنا، ومن زار آخرنا فقد زار أولنا، ومن تولى أولنا فقد تولى آخرنا، ومن تولى آخرنا فقد تولى أولنا، ومن قضى حاجة لأحد من أوليانا فكأنما قضاهما لأجمعنا.

يا عبد الرحمن، احببنا واحبب من يحبنا واحبب فينا واحبب لنا وتولنا وتول من يتولنا، وبغض من يبغضنا. ألا وإن لراد علينا كالراد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) جئنا، ومن ردَّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد ردَّ على الله. ألا يا عبد الرحمن ومن لبغضنا فقد لبغض محمداً، ومن لبغض محمداً فقد لبغض الله، ومن لبغض الله عزَّ وجلَّ كان حقاً على الله أن يصلبه النار وما له من نصير»<sup>(٢)</sup>.

يضاف إلى ذلك ورود نصوص كثيرة في فضل زيارة كل واحد من الأئمة الأطهار، وقد ذكرنا في زيارة رسول الله بعض النصوص ذات العلاقة بئسمة البقيع سلام الله عليهم، ونشير هنا إلى بعض النصوص الأخرى.

روى محمد بن أحمد بن داود، عن ابن سنان قال: «قلت للرضا (عليه السلام): ما لمن زار أباك؟ قال: الجنة، فزوره»<sup>(٣)</sup>.

(١) كمل الزيارات: ٣٠١، ح ١٤.

(٢) كمل الزيارات: ٥٥٢، ح ١٤.

(٣) المعز: ١٩٦، ح ٢.



وفي رواية أخرى عن زكريا بن آدم القمي، عن الرضا عليه السلام قال: «إنَّ الله نجا بغداد لمكان قبور الحسينيين فيها»<sup>(١)</sup>.

كما ورد في عدة روايات أنَّ زيارة قبر الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام مثل زيارة قبر الحسين عليه السلام.

وفي رواية أخرى أنَّ زيارته مثل زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وزيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام، إلَّا أنَّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين فضلها<sup>(٢)</sup>.

كما وردت روايات متظافرة كثيرة بعضها معتبر في فضل زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، نذكر منها الأمثلة التالية:

عن جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه، عن الصادق، عن آبائه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستدفن بضعة مني بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلَّا أوجب الله عز وجل له الجنة، وحرم جسده على النار»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى عن الرضا عليه السلام يقول: «والله ما منَّا إلَّا مقتول شهيد. فقل له: فمن يقتلك يا بن رسول الله؟ قال: شر خلق الله في زماني، يقتلني بالسم، ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة، إلَّا فمن زارني في غريتي كتب الله عز وجل له أجر مائة ألف شهيد، ومائة ألف صديق، ومائة ألف حاج ومعتمر، ومائة ألف مجاهد، وخشروني زمري، وجعل في الدرجات العلى من الجنة رفيقنا»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستدفن

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٨٢، ح ٥.

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ٨١، ح ٢.

(٣) أمالي الصدوق: ١١٩، ح ١.

(٤) أمالي الصدوق: ١٢٠، ح ٨.

بضعة مني بخراسان، ما زارها مكروب إلا تقس الله كربته، ولا مذنّب إلا غفر الله توبه»<sup>(١)</sup>.

وأما بقية الأئمة (عليهم السلام) فإنه وإن لم ترد نصوص خاصة في فضل زيارتهم غير النصوص العامة التي أشرنا إليها، أو بعض النصوص النادرة مثل ما ورد في زيارة الإمام الحسن بن علي العسكري من قوله (عليه السلام): «قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين»، أو النص الذي يذكر فيه الإمام الهادي (عليه السلام) دعاء يقطع له أحد أصعابه ويقول فيه: «وقد سألت الله عز وجل ألا يخيب من دعا به في مشهدي»، أو التوقيع الذي خرج إلى محمد الحميري عن الإمام الحجة (عج) الذي يذكر فيه كيفية زيارته والسلام عليه، وأمثال هذه الأخبار والنوادر، إلا أنه يبدو أن الاعتماد في ذلك كان على وضوح هذا الموضوع من خلال هذا القبر الكبير من النصوص، والتأكيدات العامة والخاصة، ولعل هذا هو الذي يفسر لنا ما نجده من تصدي كتب المزار منذ العصور القريبة من عهد الأئمة (عليهم السلام) - كما هو في كامل الزيارات لابن قولويه، ومزار الفقيه للصديق، ومزار الشيخ المفيد فنس الله أرواحهم الشريفة - إلى ذكر زيارات مفصلة ومتعددة أحياناً لقبور كل واحد من هؤلاء الأئمة (عليهم السلام)، مضافاً إلى نصوص مختصرة مروية عن الأئمة (عليهم السلام) أنفسهم، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن هذا المنهج كان قد ثبته أئمة الهدى (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، وعلموها إياه وسارت عليه منذ الأيام الأولى<sup>(٢)</sup>.

(١) لمالي المصنوع: ١٨١، ج ٢.

(٢) يمكن مراجعة هذه النصوص في كتاب مفاتيح الجنان، وكذلك في كتاب المزار من بحار الأنوار في الأجزاء ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ من الطبعة الجديدة.

## ملاحظتان مهمتان

ويحسن بنا أن نختم هذا الحديث عن زيارة قبور الأئمة عليهم السلام بملاحظتين مهمتين وردتا في الأخبار، نشير إليهما مختصراً على أن يكون تفصيل البحث فيهما في (الكتاب العقائدي) من هذه السلسلة.

**الملاحظة الأولى:** لا بد أن يتجنب الزائر في زيارته لقبور الأئمة عليهم السلام القيام بأي عمل يكون فيه ما يوهم بالشرك بالله تعالى، أو العبادة لمصاحب القبر، لذا نجد أن أئمة الهدى عليهم السلام - كما ورد في الخبر المروي بسند معتبر عن الإمام الباقر عليه السلام - ينهون عن مثل هذه الممارسات، فعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له: الصلاة بين القبور؟ قال: صل في خالها، ولا تتخذ شيئاً منها قبلة ولا مسجداً، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وقال: ولا تتخذوا قبوري قبلة ولا مسجداً؛ فإن الله تعالى لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>.

كما ورد في رواية أخرى معتبرة النهي الإرشادي عن الطواف بالقبر، فعن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تشرب وأنت قائم، ولا تطف بقبر، ولا قبل في ماء نقيع، فإنه من فعل ذلك فاصابه شيء فلا يلوم من إلا نفسه...»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن المراد من النهي عن اتخاذ القبور قبلة ومساجد أو الطواف بها، هو النهي عن جعلها بنفسها قبلة ومسجداً، فلا يصح السجود عليها أو

(١) علل الشرائع ١: ٣٥٨، ح ١.

(٢) علل الشرائع ١: ٢٨٣، ح ١، وقد احتمل فيه العلامة المجلسي أن يكون المراد من الطواف التقطع على القبر، وتكرره شاهداً من اللغة والحديث وهو قريب؛ لأن هذا المعنى يناسب الجدل في النقيع والشرب عن قيام وتوقع الإصابة المادية. والله أعلم. منه قدس سره.

استقبالها في الصلاة، لا مجرد أن تكون في موضع تجاه قبلة المصلي أو إقامة المساجد والأبنية عند القبور. وإنما أن هذا النهي - كما يفهم من مناسبة الحكم والموضوع - اجتناباً وتنزيهاً للعبادة.

ويؤكد هذه الملاحظة ما ورد في الزيارات من تأكيد توحيد الله تعالى فيها بالتكبير والحمد لله على التوفيق والشكر على النعمة، والعلاقة بالنبي والأئمة؛ لأنهم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وجاعدوا في الله حق جهاده، وبلغوا رسالات الله إلى غير ذلك من المضامين التوحيدية الحققة.

**الملاحظة الثانية:** الالتفات إلى أن زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام في هذه الأماكن، إنما هي باعتبار تشرف هذه الأماكن والمواضع بنفثهم فيها، ولأنهم «أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»<sup>(١)</sup>، فهم يسمعون الكلام ويردون السلام والجواب، فيحسن بالإنسان الزائر أن يستوحي بزيارتهم جميع المعاني التي يمكن أن تتحقق له عند زيارتهم أحياء، من الولاء لهم والتعظيم عن مودتهم والإحساس بالقرب منهم والتكريم والاحترام والطاعة لهم والافتداء بهم، لا أن تتحول هذه الزيارة إلى مجرد ممارسة مادية جامدة تعبر عن تقديس الأموات والعظام، وغير ذلك من المضامين ذات الطابع المادي الوثني المجرد عن الإيمان بالله تعالى، أو الحياة الأخرى الأبدية الحقيقية الخالدة لهذه الذوات المقدسة، بل الزيارة في الحقيقة إنما هي لذلك الوجود الباقي المستمر الحي بما له من مضمون إلهي، وعلاقة بالله تعالى واستجابة للأمر الإلهي بولائهم ومتابعتهم ومناصرتهم واحترامهم.

وقد ورد في بعض الروايات المروية بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام

(١) آل عمران: ١٦٩.

أنه قال: «ما من نبي ولا وصي نبي يبقى في الأرض بأكثر من ثلاثة أيام، ثم ترفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغونهم من بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب»<sup>(١)</sup>.

#### الخامس: زيارات أولاد الأئمة والصالحين

ومن خلال الاستعراض السابق للنصوص وعلى الزيارة وآثارها، وما ورد في عموم زيارة الأئمة عليهم السلام من نصوص علمية، وجد اتجاه عام عند أبناء الجماعة الصالحة يرتبط بزيارة القبور وإعمارها بالبناء والزيارة والتردد، حتى إن الكثير من المنين في أوساط اتباع أهل البيت كان البدء بتأسيسها هو وجود مشهد أو قبر فيها، سواء كان لأحد الأئمة أو أولادهم، كما هو في مدينة النجف الأشرف وكربلاء والقاسم والحمة وعلي الشرقي وعلي الغربي وغيرها كثير في العراق وإيران. حتى إننا نلاحظ مئات المراقد المشيدة في العراق لأولاد الأئمة الصليبيين أو المنتسبين لهم، وكذلك للكثير من العلماء والصالحين.

وهناك الآلاف من هذه المراقد في إيران والعشرات في مختلف البلاد الإسلامية الأخرى، ولعل أشهرها - بعد مراقد الأئمة عليهم السلام - هو مرقد العباس ابن أمير المؤمنين، ومسلم بن عقيل، والقاسم بن موسى بن جعفر، وفي إيران مرقد السيدة المعصومة فاطمة بنت موسى بن جعفر في قم المقدسة<sup>(٢)</sup>، والسيد أحمد

---

(١) كامل الزيارات: ٥٤٤، ج ٣. ومع قطع النظر من معنى هذا الرفع، الذي عالجته العلامة المجلسي في البحار، فإنّ المهم في الحديث هو المقطع الأخير الذي أريد تأكيده من قبل الأئمة عليهم السلام.

(٢) وردت بعض الروايات عن الإمام الرضا عليه السلام في استحباب زيارتها خلسة، ومنه قوله: «من زارها فله الجنة». كما روي ذلك في كامل الزيارات وثوب الاعمال وعيون أخبار الرضا. بطر الأنوار ٩٩: ٢٦٥، ج ١.

بن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في شيراز، والسيد عبد العظيم الحسيني في مدينة ري<sup>(١)</sup>، وفي دمشق قبر السيدة زينب على رواية، وكذلك قبرها على رواية أخرى وموضع رأس الإمام الحسين (عليه السلام) في القاهرة<sup>(٢)</sup>.

وتزار هذه القبور وغيرها عادةً من قبل أبناء للجماعة الصالحة الذين تكون سكناهم في المناطق القريبة منها، ويجتمعون - عادةً - فيها في ليالي أو أيام مخصوصة، كما أن بعضها يقصد من قبل الزائرين من أماكن بعيدة أو بلاد أخرى.

وبذلك يمكن أن نقول: إن ممارسة الزيارة لاتباع أهل البيت (عليهم السلام) عامة تكون في كثير من الأحيان ممارسة أسبوعية، إن لم تكن يومية بالنسبة إلى بعض الأوساط القريبة.

### الأوقات العامة للزيارة

وزيارة قبور النبي (صلى الله عليه وآله) والمعصومين من ذريته وكذلك أولادهم، وإن كانت من حيث الزمان ليست محدودة بزمان خاص، ولكن مع ذلك توجد أوقات تحظى باهتمام خاص واجتماع كبير، وذلك إما بسبب خصوصية مباركة في تلك الأوقات، أو باعتبار وجود الفرصة المناسبة لدى الناس فيها.

(١) وردت بعض الروايات المرسلة عن الإمام العسكري أن زيارته كزيارة الحسين. يعار الأنوار ٩٩: ٢٦٨، ج ١.

(٢) يوجد كلام بين المؤرخين في موضع قبر السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (عليها السلام)، حيث ذهب بعضهم إلى أن قبرها في غوطة دمشق، وبعضهم ذهب إلى أن قبرها في القاهرة، وبعضهم ذهب مذهباً آخر، ولكن هذين المشهدين معروفان بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ومحبيهم والمسلمين جميعاً، وكذلك يوجد حديث آخر في قبر رأس الحسين (عليه السلام) حيث قيل: إنه دفن في دمشق، وراي آخر إنه في القاهرة، والمعروف عند اتباع أهل البيت أنه دفن في كربلاء مع جسده الطاهر عند رجوع السبايا إليها، منه قدس سره.

فالأيام ذات العلاقة بالأئمة وذريتهم كولاتهم أو فلاتهم وشهادتهم، تحظى باهتمام خاص في زيارة ذلك الإمام أو ذريته الصالحة.

وكذلك ليلة الجمعة ويومها يحظيان باهتمام خاص؛ لفضيلتها من ناحية أو وجود العطلة العامة فيها من ناحية أخرى، وخصوصاً زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة لما ورد فيها من الفضل والثواب.

وكذلك الأيام المباركة كالأعياد، فإن وجود هاتين الخصوصيتين فيها يدعو إلى الاهتمام بالزيارة والحضور.

مضافاً إلى ذلك نجد أن العطلة الصيفية للمدارس تكون عاملاً مشجعاً على الزيارة؛ بسبب وجود فرصة أفضل لحركة العوائل وتنقلهم وسفرهم، ولا سيما بالنسبة إلى الأماكن البعيدة. ولذلك نجد بعض المراقدين تشهد في هذه المناسبات حضوراً كبيراً يبلغ أكثر من مليون زائر، كما هو في مشاهد الإمام الرضا والإمام الحسين والإمام أمير المؤمنين<sup>(١)</sup> والسيدة زينب في دمشق.

### الزيارات الجامعة

عرفنا فيما سلف أن هناك زيارة خاصة في أوقات معينة وعامة يزار بها في

(١) يقل عند الزوار نسبياً في بعض هذه المشاهد بسبب الظروف السياسية للبلاد، ولذا نجد نقصاً ملحوظاً في عدد الزائرين في العراق بسبب عنوان نظام حكم البعث المجرم فيه على الزائرين، ومنعهم أو للتضييق عليهم أو على الناس عامة، ومكث ما حصل في إيران بسبب ظروف الحرب العدوانية والحصار الذي فرض على الجمهورية الإسلامية، من قبل بعض الدول التي يوجد فيها أتباع أهل البيت عليه، ولكن مع ذلك نلاحظ أن العدد أخذ بالازدياد بشكل منقطع النظير، كما تذكر الأخبار هذه الأيام أنه اجتمع في زيارة الأربعين للسنة الماضية حوالي خمسة ملايين شخص، وزيارة الغدير حوالي ثلاثة ملايين، فضلاً عن زيارة الإمام الرضا في بعض المناسبات التي بلغت عدة ملايين أيضاً. منه قيس سره.

كل وقت الإمام المخصوص، ويوجد مضافاً إلى هذه الزيارات التي تخص كل إمام زيارات عامة يعبر عنها (بالجماعة)، يزار بها جميع الأئمة من أهل البيت (عليه السلام)، وفي كل مشاهدتهم ومشاهد نريتهم دون استثناء.

وتتضمن هذه الزيارات الجماعة، خصوصاً رابعة من ناحية البناء اللغوي، ومضامين عالية وكلية من حيث محتواها المعنوي.

ولعل أشهر هذه للزيارات الجماعة هي الزيارات الثلاثة:

**الأولى:** الزيارة المعروفة بـ (أمين الله) وهي من أكثر هذه الزيارات اختصاراً، وهي في غاية الاعتبار - كما يقول عنها العلامة القمي - وألفها مضموناً، وهي تجمع - على اختصارها - بين الزيارة والدعاء للنفس والمنجاة لله تعالى. وقد سبقت الإشارة إليها.

**الثانية:** زيارة الجامعة الكبيرة المروية عن مولانا وسيدنا الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، وهي أوسع الزيارات الجامعة وأشهرها، وقد قال عنها العلامة المجلسي إنها لصح الزيارات سنداً، وأعمها مورداً، وأصحها لفظاً، وأبلغها معنى، وأعلها شأناً<sup>(١)</sup>.

وقد تصدى الكثير من العلماء الأعلام لشرحها وتفسيرها وتلويل ما ورد فيها مما يوجب الإيهام، وفكروا معانيها المغلفة نفعاً للاعتراض ورداً للانتقاد، ومنهم العلامة المجلسي الأب والد صاحب البحار، وكذلك السيد محمد بن عبد

(١) بحار الأنوار ٩٩: ١٤٤. وقد جاء ذكر هذه الزيارة فيه مع بعض الشرح لها من ص ١٢٧ - ١٤٤، وكذلك مفتاح الجنان: ٥٤٤.

ومن الملاحظ أنّ هذه الزيارة مع زيارة الخدير النواصرة أيضاً وردت عن الإمام الهادي (عليه السلام) وهما وغيرهما من النصوص مؤشراً واضحاً على طبيعة العمل الذي قام به الإمام الهادي في المرحلة الثالثة من مراحل تاريخ أهل البيت (عليه السلام)، وهذا ما سوف نتناوله إن شاء الله في الكتاب الخامس من هذه الموسوعة عند التوفيق لذلك.



الكريم الطباطبائي البروجردي المعروف، والسيد عبد الله شير، وغيرهم من الأعلام.

الثالثة: الزيارة الجامعة لأئمة المؤمنين التي رواها السيد ابن طاووس في مصباح الزائر عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وذكر لها آداب عند السفر، وهي ذات مضامين عقائدية واجتماعية وسياسية عالية تأتي بالدرجة الثانية بعد الزيارة الجامعة الكبيرة، وقد ذكرها العلامة المجلسي بعنوان الزيارة الخامسة<sup>(١)</sup>.

الرابعة: ما رواه ابن قولويه في كامل للزيارات، والكليني في الكافي، والصدوق في عيون أخبار الرضا، وفي من لا يحضره الفقيه عن الرضا عليه السلام حين سئل عن إتيان مشهد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وزيارته فقال: «صلوا في المساجد حوله، ويجزي في المواضع كلها (أي يجزي في زيارة كل من الأئمة عليهم السلام) أن تقول: السلام على أولياء الله ونصفيائه... الخ ثم قال: هذا يجزي في الزيارات كلها، وتكثر من الصلاة على محمد وآله، وتسمي واحداً واحداً باسمائهم، وتبرأ من أعدائهم، وتخبر ما شئت من الدعاء لنفسك والمؤمنين والمؤمنات وهي زيارة مختصرة وجملة»<sup>(٢)</sup>.

وقد نكر العلامة المجلسي مجموعة أخرى من الزيارات الجامعة (بلغت أربع عشرة) لم ينسب أكثرها إلى الأئمة، ولذا احتمل فيها التاليف. كما ذكر العلامة القمي زيارة أخرى جامعة نسبها السيد ابن طاووس إلى الإمام الصادق عليه السلام في خلال أدعية عرفه، أعرضنا عن نكرها للاختصار ولعدم الاعتبار<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٩٩: ١٦٢، وكذلك مفاتيح الجنان (الملحق): ٥٧٧.

(٢) بحار الأنوار ٩٩: ١٢٦، ومفاتيح الجنان: ٥٤٣.

(٣) بحار الأنوار ٩٩: ١٢٦ - ٢٠٩، وكذلك مفاتيح الجنان: ٥٥٢.

مضافاً إلى هذه الزيارات الجامعة يذكر أصحاب كتب المزار زيارات للأئمة (عليهم السلام) في أيام الأسبوع، حيث تقسم هذه الأيام على النبي والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فالسبت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، والاحد لعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام)، والاثنين للحسن والحسين (عليهما السلام)، والثلاثاء لعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (عليهم السلام)، والأربعاء لموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد (عليهم السلام)، والخميس للحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، والجمعة للإمام الحجة (عليه السلام). وزاد في مصباح الزائر إضافة فاطمة الزهراء مع النبي في إهداء الصلاة لها.

وقد ذكر في البحار حديثاً بهذا المعنى من التقسيم، وتوصفاً للزيارة كل يوم، وكذلك صلوات على المعصومين الأربعة عشر<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار ١٠٢: ٢١٠ - ٢٣٠، ج ١.



## الفصل الثاني

### الشعائر الإسلامية العامّة

- ☐ الأيام والليالي:
- ☐ ١ - ليلة القدر
- ☐ ٢ - عيد الفطر والأضحى
- ☐ ٣ - يوم الجمعة وليلته
- ☐ ٤ - الليالي الأربع
- ☐ ٥ - الأيام الأربعة
- ☐ ٦ - يوم عاشوراء
- ☐ ٧ - يوم عاشوراء والامويون
- ☐ ٨ - ليّام فخرى



## الأيام والليالي

العنوان الثاني من الشعائر هو الأيام والليالي، حيث نلاحظ أنّ الإسلام الحنيف عيّن بعض الأيام الخاصة لإقامة الشعائر الإسلامية، وجعل لها رسوماً وأحكاماً ووظائف معينة.

وقد عُرف على مستوى الأمة الإسلامية من الأيام لليوم الأول من شوال (عيد الفطر)، واليوم العاشر من ذي الحجة (عيد الأضحي)، وكذلك (يوم الجمعة) من كل أسبوع من الشعائر الإسلامية.

حيث يجب في عيدي الفطر والأضحي الإفطار من الصوم، وكذلك تؤدى فيهما صلاة شبيهة بصلاة الجمعة مع تأخير الخطبتين في العيدين وتقديمهما في الجمعة، ووقتها في الجمعة الظهر وفي العيدين في أول النهار.

كما يجب الإنفاق فيهما، حيث تجب زكاة الفطرة في عيد الفطر، والتمتع والذبح في عيد الأضحي للحاج بحج التمتع. ويستحب فيهما الإنفاق استحباباً مؤكداً وخصوصاً الأضحية في عيد الأضحي لغير الحاج. إلى غير ذلك من الأعمال والمراسيم، كالدعاء وتبادل الزيارة بين الإخوان والأرحام، كما جرى عليه المسلمون في جميع العصور.

وأما يوم الجمعة فتجب فيه الصلاة المعروفة التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة الجمعة<sup>(١)</sup> - تعييناً أو تخييراً - بالشروط التي يذكرها الفقهاء في رسائلهم العملية.

كما أنه يوم اتخذهُ المسلمون للعبادة والأعمال الصالحة وتعطيل الأعمال اليومية العادية.

وأما من الليالي فقد عرفت ليلة القدر التي نكراها الله سبحانه بالتكريم والتعظيم، وفضلها على ألف شهر، وأنزل فيها القرآن الكريم، وحُصِّصت من قبله تعالى لتقدير أمور الإنسان والحياة، حيث يفرق فيها كل أمر حكيم، قال تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ خَلْقَ مُطَلِّعَ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ﴿١﴾ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِنْ عَيْنِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد أجمع المسلمون على تعظيم هذه الليلة المباركة التي هي من ليالي شهر رمضان كما يفهم ذلك من القرآن الكريم، وإن اختلفوا في تعيين وتشخيص هذه الليلة كما سوف نشير إلى ذلك.

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ الظُّلُمَةَ الْغَامِضَةَ فَاقْصِرْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ إِنَّكَ تُجِيبُ لِرَبِّكَ الْفَتَىٰ ﴿١﴾ وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِالْقَدَرِ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِالْقَدَرِ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ بِالْقَدَرِ ﴿٥﴾﴾

(٢) القدر: ١ - ٥.

(٣) المخان: ٣ - ٥.

## منهاج أهل البيت في الأيام والليالي

ولكن مضافاً إلى ذلك كله نجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام قد كشفوا عن منهاج إسلامي واسع في هذا المجال لإحكام بناء الجماعة للصالحية، سواء فيما يتعلق بالأيام والليالي المعروفة لدى عامة المسلمين، أم الأيام والليالي الأخرى غير المعروفة في الوسط العام.

وهنا نحاول أن نشير إجمالاً إلى هذا المنهاج الإسلامي الذي رعاه أهل البيت عليهم السلام، وقدموه للأمة من خلال علمهم بالشرعية الإسلامية، الذي تميزوا به عن جميع المسلمين.

### ١ - ليلة القدر

تعتبر ليلة القدر أهم ليلة في السنة من حيث الشرف والأهمية والقدر، وقد تحنّت عنها القرآن الكريم في سورة كاملة هي سورة القدر، كما ورد الحديث عنها في القرآن أنَّها الليلة التي يفرق فيها كلُّ أمر حكيم كما نكرنا. كما وردت روايات كثيرة في فضلها وشرافها وأهميتها والآثار المترتبة عليها<sup>(١)</sup> مثل قوله عليه السلام:

«ولا يحلّ لكوكب أن يرمي به فيها حتى يصبح»<sup>(٢)</sup>.

وقوله عليه السلام: «العمل فيها خير من العمل في ألف شهر»<sup>(٣)</sup>.

ويبدو من القرآن الكريم والروايات في ليلة القدر أنها:

١ - فرصة ونعمة منحها الله تعالى لهذه الأمة، من أجل أن تعبر عن

(١) راجع تفسير الدر المنثور، ونور الثقلين في تفسير سورة القدر.

(٢) الاستبصار ٢: ٤١٧.

(٣) الكافي ٣: ٦٦، ج ٢.



وجودها وتجسّد أهدافها وأمانيتها من خلال العمل الصالح، والتوبة والإنابة إلى الله تعالى؛ وبذلك يتحقق للإنسان عند اختياره للعمل في الوقت المناسب كلّ ما يصبو إليه، ويمنح العمل بهذا الاختيار أبعاداً واسعة وقيمة كبيرة لوسيع وأعظم من الوقت المحدد لحياة الإنسان، وهذه الحقيقة يجدها الإنسان في بعض الأعمال التي يأتي بها في ظروف خاصة، كما ورد في قول النبي ﷺ عندما قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن ود العامري يوم الخندق: «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من عمل امتي إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>؛ لأن هذه الضربة لا يحدها الجهد المبذول وحده، بل قيمتها من وقتها الخاص وظروفها الخاصة.

٢ - الليلة التي يتم فيها التقدير والفصل والقضاء في شؤون الخلق، حيث إنّ القرارات الإلهية تارة تكون من خلال الدورة الكونية المانية والنظام الإلهي الذي يحكم سلسلة الأسباب والمسببات، وأخرى من خلال الأوامر الإلهية التي تتجاوز هذا النظام الكوني، والذي يعبر عنه القرآن الكريم بقوله: «وَمَا أَمْرًا إِلَّا وَجَدَهُ كَآتٍ يَأْتِيهِ»<sup>(٢)</sup> و «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»<sup>(٣)</sup>.

ويبدو - والله أعلم - أنّ موسم شهر رمضان إنّما جاء لتأهيل الإنسان المؤمن كي يصعد في درجات الكمال من خلال العبادة فيه، ويكون مورياً وموضعا لهذه القرارات الإلهية المنسجمة مع الرحمة الإلهية.

(١) شواهد التنزيل ٧: ١٧، تاريخ بغداد ١٢: ١٩، تاريخ مدينة دمشق ٤: ٢٢٢، والحديث من الأحاديث المستفيضة، ونكر بالسنة مختلفة.

(٢) القمر: ٥٠.

(٣) يس: ٨٢.

## وَهْت لَيْلَةُ الْقَدَرِ

اختلفت الروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ في تعيين ليلة القدر بعد اتفاتها لها في شهر رمضان، ويبدو من بعض هذه الروايات أن هذا الإخفاء والتستر عليها كان مقصوداً ومستهدفاً؛ ليستزيد العبد الصالح من الأعمال الصالحة والديعاء والمناجاة والتضرع إلى الله تعالى والإنفاق والصلاة وغيرها؛ حيث سئل الإمام المعصوم ﷺ في بعض الروايات عن ليلة القدر أنها أي ليلة (إحدى وعشرين أو ثلاثة وعشرين)، فلم يعين، بل قال: «ما فيسر ليلتين فيما تطلب»<sup>(١)</sup>، وقال: «ما عليك أن تفعل خيراً في ليلتي»<sup>(٢)</sup>.

والمعروف من الليالي التي تحتل فيها ليلة القدر هي لليلة التاسعة عشرة من رمضان، والحادية والعشرون، والثالثة والعشرون، والأخيرة أشهر هذه الليالي لما ورد فيها من الروايات للكثيرة، وهي معروفة بليلة الجهني؛ وهو أحد المسلمين الذين كانوا يسكنون خارج المدينة، وقد سال رسول الله ﷺ أن يعين له ليلة يتفرغ فيها للعبادة فعين له ليلة الثالث والعشرين.

ولعل ما يشير إلى هذه الحقيقة ما ورد من تفصيل أكثر في أعمال الليلة الثالثة والعشرين<sup>(٣)</sup>.

## أَعْمَالُ لَيْلَةِ الْقَدَرِ

وتكاد أن تكون الأعمال الواردة في هذه الليلة مشتركة بحسب طبيعتها، وإن كانت في التفصيل تنقسم إلى نوعين: أعمال مشتركة، وأعمال مختصة بكل واحدة منها.

(١) الكافي ٤: ١٥٦، ج ٢.

(٢) لمالي الصنوق: ٦٩٠، ج ٢.

(٣) يحتل وجود ارتباط بين هذه الليالي الثلاثة بأن تكون إحداها مقدمة وتهيئة للأخرى، بحيث يتكامل الحال في الليلة الثالثة والعشرين. منه قدس سره.

فقد ورد في الأعمال المشتركة على مستوى التفاصيل:

١ - الغسل.

٢ - صلاة ركعتين مع الاستغفار.

٣ - دعاء سؤال المفق من النار وقضاء الحاجات بشفاة القرآن.

٤ - دعاء طلب الحاجات بالقرآن والمؤمنين، ثم القسم بالله وبالمعصومين الأربعة عشر.

٥ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٦ - الإحياء لهذه الليالي.

٧ - صلاة مائة ركعة، والإكثار من الاستغفار والدعاء بمطالب الدنيا والآخرة للنفس والوالدين والأقارب والإخوان والمؤمنين الأموات والأحياء.

٨ - الإكثار من الصلاة على محمد وآله.

٩ - الإكثار من ذكر الله تعالى والتحميد والتعجيد والتسبيح والتكبير والتلهيل له سبحانه وتعالى.

وقد نكر لذلك بعض النصوص مثل دعاء: «اللهم اني أمسيت لك عبداً دخرأه» الذي كان الإمام زين العابدين يكثر الدعاء به في هذه الليالي على ما رواه الكفعمي، وكذلك دعاء الجوشن الكبير ودعاء الجوشن الصغير؛ فإن هذه الأدعية تتضمن الفقرات الثلاث الأخيرة خاصة. مضافاً إلى ما فيها من الإحياء بالعبادة لهذه الليالي.

١٠ - طلب العلم والمعرفة بالشريعة وأحكامها وأخلاقها ومفاهيمها، فإن أفضل أعمال الإحياء لهذه الليالي القيام بهذا العمل الجليل كما ذكره الشيخ الصدوق<sup>(١)</sup>.

(١) مفاتيح الجنان: ٢٢٥ - ٢٢٦.

وأما الأعمال المخصصة بكل من تلك الليالي الثلاث.

فقد اختصت الليلة التاسعة عشرة بالاستغفار مائة مرة، ولعن قتلة أمير المؤمنين مائة مرة؛ إذ إن هذه الليلة هي الليلة التي أصيب بها الإمام علي عليه السلام بضربة سيف، على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي (لعنه الله).

كما أنه يتأكد فيها دعاءان خالصان يُدعى بهما في ليالي شهر رمضان، وهما دعاء: «اللهم اجعل قيما تقضي وتقدر»<sup>(١)</sup>، ودعاء «يا ذا الذي كان»<sup>(٢)</sup>.  
وأما الليلة الحادية والعشرون فهي إحدى الليلتين المعروفتين بليلة القدر، وهي أشهر وأكثر احتمالا من سابقتها.

ويبدأ فيها بأعمال وأدعية العشر الأواخر من شهر رمضان التي تختص بالمزيد من العبادة والإحياء، حيث كان رسول الله ﷺ يطوي فراشه ويشد منزره للعبادة في العشر الأواخر من الشهر، وكان يلازم المسجد ويعتكف فيه، وقد ضربت له فيه قبة من شعر.

وقد ورد تأكيد إحيائها بالصلاة والدعاء والصلاة على محمد وآله واللعن لظالمي محمد وآله، حيث كانت فيها شهادة الإمام علي عليه السلام ويحسن زيارته في يومها<sup>(٣)</sup>.

وأما الليلة الثالثة والعشرون فهي أفضل الليالي كما ذكرنا، وقد ورد فيها أعمال خاصة، منها قراءة القرآن ولا سيما بعض سورة للخاصة، مثل: العنكبوت والروم والدخان، وسورة القدر ألف مرة، والتأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام خاصة.

(١) مفاتيح الجنان: ٢٢٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢١٥.

(٣) مفاتيح الجنان: ٢٢٧ - ٢٣٤.

وكذلك الدعاء للإمام الحجة عليه السلام: «اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آله في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً وولياً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً»، حيث يحسن تكرار هذا الدعاء في مختلف الأوقات أيضاً.

كما يستحب الإتيان ببعض نصوص الادعية الصغيرة التي وردت في كتب الادعية<sup>(١)</sup>.

وينبغي الالتفات في نهاية الحديث عن ليالي القدر إلى أن يوم القدر له قيمة وأهمية خاصة تشبه قيمة ليلة القدر، كما ورد ذلك في بعض الروايات المعتمدة مفاتيح الجنان: ٢٢٦. وهذا يشبه ما لليلة الجمعة من أهمية تكتسبها من يوم الجمعة نفسه.

## ٢ - عيد الفطر والأضحى

يشارك العيدان - كما عرفنا - في جملة من الأحكام، مثل حرمة صومهما ووجوب الصلاة أو استحبابها فيهما على تفصيل ذكره الفقهاء في رسائلهم العملية، وكذلك وجوب الإنفاق فيهما أو استحبابه والدعاء والزيارة للإخوان.

وقد جاء التأكيد من أهل البيت عليهم السلام لعدة أمور أخرى، فيهما:

الأول: أعمال وتكبيرات وادعية خاصة بهما ولا سيما في عيد الفطر. وقد ورد في الصحيفة السجادية دعاء خالص بهما.

الثاني: الغسل في يومي العيدين.

الثالث: الزينة والطيب وتحسين الثياب والهيئة والنظافة.

الرابع: زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٣٥.

الخامس: مضاعفة الأجر للأعمال المستحبة التي يحسن للإنسان الإتيان بها في سائر الأيام، وذلك لأن هذه الأيام لها فضل خاص ينعكس إيجابياً على الأعمال التي تؤدي فيها.

## ٢ - يوم الجمعة وليلته

يمتاز يوم الجمعة وليلته على سائر الأيام والليالي الأخرى سموً وشفراً، فقد جاء في أحاديث أهل البيت (عليه السلام) وصفه بأنه يوم أزهى يعتق الله في كل ساعة من ساعاته ستمائة ألف عتيق من النار، وفيه يضاعف الله الحسنات ويمحو السيئات ويرفع الدرجات، ويقضي الحاجات ويكشف فيه الكربات ويستجيب الدعاء، وينقر الذنوب ويقبل التوبة وينزل الأرزاق، وينتقم الله للمظلوم من الظالم. ونشير بهذا الصدد إلى ثلاث روايات معتبرة.

١ - عن الرضا (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن يوم الجمعة سيد الأيام، يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات ويرفع فيه الدرجات، ويستجيب فيه الدعوات ويكشف فيه الكربات ويقضي فيه الحوائج العظام، وهو يوم المزيد، له فيه عتقاء وطلاق من النار. ما دعا فيه أحد من الناس وقد عرف حقه وحرمة إلا كان حقاً على الله عز وجل أن يجعله من عتقائه وطلاقه من النار. فإن مات في يومه وليلته مات شهيداً وبُعث آمناً، وما تستخف أحد بحرمة وضيع حقه إلا كان حقاً على الله عز وجل أن يصلية نار جهنم إلا أن يتوب»<sup>(١)</sup>.

٢ - وعن الباقر (عليه السلام): «ما طلعت الشمس بيوم أفضل من يوم الجمعة، وإن كلام الطير إذا لقي بعضها بعضاً سلام سلام يوم صالح»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ٣: ٤١٤، ح ٥.

(٢) الكافي ٣: ٤١٦، ح ١١٦.

٢ - وعن الصادق عليه السلام قال: «من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشتغلن بشيء غير العبادة، فإن فيه يُغفر للعباد وتنزل عليهم الرحمة»<sup>(١)</sup>.

وتجب الصلاة في يوم الجمعة على تفصيل يذكره الفقهاء، ومضافاً إلى ذلك نجد مجموعة من الأعمال والمستحبات في هذا اليوم وليتة يمكن الاطلاع على تفاصيلها في كتب الأدعية والأعمال، ويأتي في مقدمتها هذه العناوين:

١ - الغسل في يوم الجمعة، حيث يتأكد فيه استحبابه، بل قال بعض العلماء بوجوبه.

٢ - قراءة القرآن الكريم، ولا سيما سورة الرحمن والأحقاف والمؤمنون والواقعة.

٣ - الإنفاق والصدقة والإحسان، ولا سيما بالنسبة إلى الأهل والعائلة.

٤ - الخلق في اللباس وتحسين الهيئة وتطيب الرائحة في يوم الجمعة.

٥ - الصلوات الخاصة مثل صلاة النبي، وعلي، وقاطمة، وجعفر الطيار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وغيرها من صلوات الأئمة الظاهرين، وكذلك الإكثار من الصلاة على محمد وآله.

٦ - الأدعية والالتفات الخاصة الماثورة، مثل دعاء كميل ودعاء «من تهيا وتعبأ»، ودعاء «يا شاهد كل نجوى»، ودعاء الإمام علي بن الحسين يوم الجمعة، ودعاء السمات وغيرها من الأدعية، وكذلك التسبيحات الأربع وغيرها من الالتفات.

٧ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام ليلة الجمعة، وزيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، وزيارة القبور في صبيحة يوم الجمعة وزيارة الإخوان.

٨ - الاهتمام بتعلم الأمور الدينية والأحكام الشرعية.

(١) جمال الأسير: ١٤٧.

#### ٤ - الليالي الأربع

الليالي الأربع هي: ليلة الفطر، والأضحى، والأول من رجب، والنصف من شعبان، وهي ليالٍ تشترك في أهميتها وفضلها وإحيائها لها بالعبادة. وقد ورد عن الصادق عليه السلام، عن أبيه «أن الإمام علياً عليه السلام كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليالٍ في السنة، وهي أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة النحر»<sup>(١)</sup>.

وتتشترك هذه الليالي ببعض الأعمال:

- ١ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهي عمل يحسن الإتيان به في جميع الليالي الشريفة، كما يظهر من متابعة مفرداتها.
- ٢ - الغسل باستثناء ليلة الأضحى الذي لم يرد فيها نكر له.
- ٣ - كما تشترك ليلتا العيدين بدعاء «يا دائم الفضل على البرية»، الذي يستحب الإتيان به في ليلة الجمعة أيضاً.
- ولكن هذه الليالي يختص بعضها - أيضاً - ببعض التفاصيل التي تعبر عن تهج خاص لإحيائها، وهو أمر مشترك بينها كما عرفنا.
- فقد وردت في فضل العبادة في ليلة الفطر وإحيائها أحاديث متعددة، وروي أنها لا تقل عن ليلة القدر أهمية. ولها عدة أعمال:
- ١ - الغسل.
- ٢ - إحياؤها بالعبادة، كالصلاة والدعاء والاستغفار والبيتوتة في المسجد.
- ٣ - التكبيرات الأربع في أعقاب صلاة المغرب والعشاء والصبح وصلاة العيد.

(١) مصباح المفتهج: ٦٤٨.



٤ - الصلوات بصيغ متعددة وأوقات مختلفة لملء وقت الإحياء.

٥ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٦ - دعاء «يا دائم الفضل على البرية».

وأما ليلة الأضحى فهي ليلة مباركة تفتح فيها أبواب السماء، وقد وردت فيها أدعية خاصة بالمبيت بالمشعر الحرام في الحج، ولكن مع ذلك ورد بعض الأعمال مضافاً إلى الإحياء بالعبادة والصلاة والدعاء:

١ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٢ - دعاء «يا دائم الفضل على البرية»<sup>(١)</sup>.

٣ - صلاة ست ركعات بقرآنة خاصة<sup>(٢)</sup>.

ولا يبعد أن يكون الغسل أحد أعمال هذه الليلة، وإن لم يرد نص بذلك انسجاماً مع هذه الظاهرة، التي تكاد أن تكون ملازمة لأعمال كل يوم شريف أو ليلة شريفة. والله العالم.

ومن اللافت للنظر أنه لم يأت من النصوص شيء مهم في أعمال ليلة عيد الأضحى، كما لم تتعرض كتب الأعمال والدعاء لتفصيل أخرى. ولعل السبب في ذلك هو أن الاهتمام بهذه الليلة جاء في سياق أعمال الحج. والله العالم.

وأما ليلة أول رجب، فقد وردت فيها مجموعة من الأعمال في كتب الأعمال والأدعية:

١ - الغسل، حيث نكر بعض العلماء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه من اغتسل في أول رجب ووسطه وآخره خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

(١) المصباح للكنعمي: ٦٤٧.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٢٢٦، ح ٤. وهذه الرواية وإن كانت وردت في سياق ليلة الفطر، لكنها جاءت مطلقة من حيث التعبير بليلة العيد.

٢ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

٣ - الصلاة بصيغ متعددة.

٤ - الدعاء بصيغ متعددة أيضاً<sup>(١)</sup>.

وأما ليلة النصف من شعبان فهي ليلة بالغة الشرف، حيث وردت الأحاديث عن أهل البيت عليه السلام في إجلالها وإعظامها، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «سئل الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله العباد فضله ويغفر لهم بهن، فاجتهدوا في القربة إلى الله فيها؛ فإنها ليلة ألي الله على نفسه ألا يرد من سأل فيه ما لم يسأله معصية. وإنها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بإزاء ما جعل ليلة القدر لنبيينا عليه السلام، فاجتهدوا في الدعاء والثناء على الله»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في حديث معتبر عن زرارة قال: «قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: ما تقول في ليلة النصف من شعبان؟ قال: يغفر الله عز وجل فيها من خلقه لأكثر من عدد شعر مفرى كلب، وينزل الله عز وجل فيها ملائكة إلى السماء الدنيا وإلى الأرض بمكة»<sup>(٣)</sup>.

ومن عظيم بركاتها أنها كانت مولد الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله فرجه عند السحر من عام مائتين وخمس وخمسين.

١ - الغسل فإنه يوجب تخفيف الذنوب.

٢ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيث وردت روايات عديدة مؤكدة أهمية هذه الزيارة، كما ذكرنا ذلك في بحث الزيارات.

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٠ - ١٤١.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٢٢٨، ح ٣.

(٣) وسائل الشيعة ٥: ٢٢٨، ح ١.

- ٣ - الدعاء بصيغ خاصة بها، ومنها دعاء كميل والدعاء بعد صلاة الشفع في الأسفار، وكذلك الادعية الماثورة في السحر.
- ٤ - الصلاة على رسول الله وآله الأطهار.
- ٥ - الصلاة بصيغ خاصة بهذه الليلة، ومنها صلاة جعفر الطيار.
- ٦ - السجدة الماثورة عن رسول الله ﷺ في هذه الليلة<sup>(١)</sup>.

### ٥ - الأيام الأربعة

الأيام الأربعة هي: يوم المبعث النبوي الشريف، وهو يوم السابع والعشرون من رجب، ويوم المولد النبوي الشريف، وهو يوم السابع عشر من ربيع الأول، ويوم الغدير، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، ويوم نحو الأرض، وهو يوم الخامس والعشرون من ذي القعدة الحرام. ولهذه الأيام فضل كبير، ويحسن التعريف بها كما جاء في النصوص الشريفة عن أهل البيت ﷺ، مع بيان جملة الأعمال التي تحدثت عنها كتب الأعمال والدعاء.

كما أنه ورد الحديث الخاص عن أهل البيت ﷺ في استحباب صيام هذه الأيام، وإن صيامها يعدل ستين شهراً.

فيوم المبعث النبوي هو اليوم الذي بعث فيه رسول الله وأنزلت فيه النبوة عليه ﷺ، وقد أشرنا إلى ذلك في موضوع الزيارات، والأعمال فيه، هي:

- ١ - الغسل.
- ٢ - الصيام - كما ذكرنا -.
- ٣ - الإكثار من الصلاة على محمد وآله الأطهار.

(١) مفاتيح الجنان: ١٦٥ - ١٧٠.

٤ - زيارة النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام. وقد سبق الحديث عنها في بحث الزيارات.

٥ - صلاة خاصة من اثنتي عشرة ركعة لكل ركعتين تسليمة بكيفية خاصة يعقبها قراءة للقرآن ونكر خاص.

٦ - دعاء خاص للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حين انطلق به هارون الرشيد إلى بغداد في السفر الذي قتل فيه، حيث كان اعتقاله في مثل هذا اليوم. وليلة هذا اليوم هي ليلة شريفة أيضاً وفيها أعمال<sup>(١)</sup>.

أما اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، وهو اليوم السابع عشر من ربيع الأول على أشهر الروايات فيه عند الإمامية الاثني عشرية كما ذكرنا. فالاعمال فيه هي كالتالي:

١ - الغسل.

٢ - الصوم - كما نكرنا ..

٣ - زيارة للنبي ﷺ عن قرب أو بعد، وكذلك زيارة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وقد سبق الحديث عنها في بحث الزيارات.

٤ - صلاة خاصة يتلوها دعاء خلاص<sup>(٢)</sup>.

ولما يوم الغدير فهو يعتبر من أهم وأعظم الأيام والأعياد حسب النصوص الواردة عن أهل البيت سلام الله عليهم؛ حيث كان فيه نصب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للولاية والإمامة بعد النبي ﷺ، وأخذ البيعة له من المسلمين بعد الانتهاء من حجة الوداع عندما دعا النبي ﷺ المسلمين للاجتماع في مقرق الطريق، حيث نزل عليه الوحي الإلهي بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٨ و ١٥٢.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢٩٦.

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَفْعِلُكَ مِنْ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>. فصعد رسول الله المنبر الذي صنع له من لحداج الإبل وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه»<sup>(٢)</sup>. وكان ذلك بعد أن أشهدهم على إبلاغه للرسالة وحسن أدائه فيها، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، في قضية يروونها المحدثون والمؤرخون من المسلمين على اختلاف مذاهبهم، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ونزل فيها القرآن أيضاً، وهو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

ويبدو من بعض الروايات الواردة عن أهل البيت أن اتخاذ يوم الغدير عيداً كان لوصية رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام بذلك.

فقد روى الكليني عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبيه قال: «سالت أبا عبد الله عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم، أعظمها حرمة، قلت: وأي عيد هو جعلت فداك؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه... فقلت: وما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟ قال: تذكرون الله عزّ نكره فيه بالصيام والعبادة والتذكر لمحمد وآل محمد؛ فإن رسول الله ﷺ لو وصي أمير المؤمنين أن يتخذ ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء عليه السلام تفعل، كانوا يوصون أوصيائهم بذلك فيتخفونّه عيداً»<sup>(٤)</sup>.

(١) المادة: ٦٧.

(٢) الكافي ١: ٢٩٢، وقريب منه في مسند أحمد ١: ٨٤، وسنن الترمذي ٥: ٢٩٧.

(٣) المادة: ٣.

(٤) الكافي ٤: ١٤٩، ح ٣.

وفي رواية أخرى: «فإن الأنبياء كانت تأسر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً»<sup>(١)</sup>.

كما أن بعض الروايات تشير إلى جذر تاريخي لهذا اليوم فنقول: «إنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام فصام شكراً لله تعالى ذلك اليوم، وإنه اليوم الذي نجى الله تعالى فيه إبراهيم عليه السلام من النار فصام شكراً لله تعالى على ذلك، وإنه اليوم الذي أقام موسى هارون عليه السلام علماً فصام شكراً لله تعالى ذلك اليوم، وإنه اليوم الذي أظهر عيسى وصيه شمعون الصفا، فصام شكراً لله عز وجل ذلك اليوم، وإنه اليوم الذي أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام للناس علماً وأماناً فيه فضله ووصيته.. وإنه ليوم صيام وقيام وإطعام وصلة للإخوان وفيه مرضاة للرحمن، ومرغمة للشيطان»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في كتب الأدعية والأعمال مجموعة من الأعمال في هذا اليوم الشريف:

- ١ - الغسل.
- ٢ - الصوم.
- ٣ - زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، كما تقدم في بحث الزيارات.
- ٤ - الصلاة، وقد ذكرت عدة صلوات فيه.
- ٥ - الدعاء وشكر الله تعالى على النعمة العظيمة، وهي نعمة الولاية، حيث ذكر السيد في الإقبال مجموعة من الأدعية الطويلة في هذا اليوم.

(١) مصباح المتعبد: ٧٢٧.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ٣٢٧، ح ١٢. ومع قطع النظر عن صحة هذه الروايات أو بعض تفاصيلها فإن من المؤكد أن هذا اليوم من الأيام التي أهتم بها أهل البيت عليه السلام اهتماماً خاصاً، واعتبروه عيداً من أعياد الأمة والجماعة الصالحة.

- ٦ - الزينة، مثل الطيب وتحسين الثياب وإظهار السرور والابتهاج.
- ٧ - الإنفاق وقضاء الحوائج، وصلة الأرحام والتوسعة على العيال وإطعام المؤمنين وتقطير الصائمين.
- ٨ - زيارة الإخوان ومصافحتهم ومؤاخذتهم وإرسال الهدايا لهم.
- ٩ - الإكثار من الصلاة على محمد وآله.
- ١٠ - الاهتمام بالعبادة والطاعة<sup>(١)</sup>.

وأما يوم نحو الأرض، الذي هو يوم الخامس والعشرون من ذي القعدة، حيث ورد في حديث معتبر عن الرضا عليه السلام: «ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة ولد فيها إبراهيم عليه السلام وولد فيها عيسى بن مريم عليهما السلام وفيها بحيث الأرض من تحت الكعبة»<sup>(٢)</sup>.

ومضافاً إلى ذلك ورد في هذا اليوم إنزال الكعبة والرحمة من السماء على آدم<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا نعرف أهمية هذا اليوم، فهو يمثل ولادة الأرض ولادة البيت المعمور والرحمة الإلهية. مضافاً إلى ولادة إبراهيم وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل السلام والتحية.

وقد ورد في كتب الأدعية والأعمال مجموعة من الأعمال في هذا اليوم الشريفة:

(١) مفاتيح الجنان: ٢٧٦ - ٢٨١.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ٣٢١، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ٣٢٢، ح ٤.

١ - الصيام.

٢ - الغسل.

٣ - الصلاة، وقد وردت لها صيغة معينة من ركعتين تصلّى عند الضحى بالحمد مرة والشمس خمس مرات مع دعاء خاص بها.

٤ - دعاء خاص بهذا اليوم رواه الشيخ في المصباح.

٥ - زيارة الإمام الرضا عليه السلام كما ذكر السيد الداماد ذلك في رسالته.

٦ - الإكثار من العبادة وذكر الله فيه كما ورد ذلك في ليلته أيضاً<sup>(١)</sup>.

## ٦ - يوم عاشوراء

وهو اليوم العاشر من محرم الحرام الذي قتل فيه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سيطر رسول الله من ابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

وكان استشهاده في حادثة مروعة لا نظير لها في التاريخ الإنساني؛ حيث قتل هو وأهل بيته الثمانية عشر وأصحابه الذين يزيدون على السبعين، وفيهم الشيوخ والعلماء وكبار الصحابة والتابعين، كما كان فيهم الأطفال والنساء والغلمان والفتيان والشباب.

وكان قتلهم بعد محاصرتهم ومنع الماء عنهم حتى قضوا عطشاً بدون نخب إلا أنهم رفضوا بيعه يزيد بن معاوية الطاغية المعروف.

وقد قاتل الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه قتال الأبطال الشجعان، وأبدوا الدرجة العالية من الصبر والصمود، وقوة التحمل والثبات على المبادئ والأخلاق العالية في التعامل مع الأحداث، وإيضاح الحقائق والأهداف التي ضحوا من أجلها، الأمر الذي كان له أثر عظيم في التاريخ الإسلامي والإنساني.

(١) مفتاح الجنان: ٢٤٨ - ٢٥٠.



وقد تحدثنا سابقاً عن آثار هذه القضية والشعائر المرتبطة بها وتفسيرها. ويعتبر هذا اليوم من أهم الأيام عند أتباع أهل البيت والجماعة الصالحة؛ حيث يتخلّونه يوماً للعزاء والحزن تأسيساً بأئمة أهل البيت عليهم السلام، ويشاركون فيه جميعاً، ويعقدون فيه الاجتماعات الواسعة بحيث لا تكاد نجد يوماً يجتمع فيه أبناء الجماعة الصالحة كهذا اليوم.

ولهذا اليوم آداب ومراسيم أهمها:

١ - الزيارة التي سبق الإشارة إليها.

٢ - الجلوس للعزاء والبكاء وقراءة مقتل الحسين عليه السلام وغير تلك من مراسيم العزاء التي سبق الحديث عنها.

٣ - ترك السعي في حوائج الدنيا، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه يجعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقزّت بنا في الجنان عينه، ومن سقى يوم عاشوراء يوم بركة وأخر لعنّله فيه شيئاً لم يبارك له فيما أخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله»<sup>(١)</sup>.

٤ - عزاء المؤمنين بعضهم بعضاً، فيقول أحدهم للآخر: عظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعنا وإياكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام.

٥ - بذل الطعام وسقي الماء للمؤمنين ولأهل العزاء.

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٣٩٤، ج ٧.

- ٦ - التبرؤ من قنطة الحسين ولعنهم، وكذلك من أشياعهم وأتباعهم ومن رضي بفعلهم وسار بسيرتهم إلى يوم القيامة.
- ٧ - قراءة سورة التوحيد والإكثار منها.

### يوم عاشوراء والأمويون

وقد كان بنو أمية يثبركون بهذا اليوم ويعتونه يوم عيد وسرور، ووضعوا روايات في عهدهم على لسان رسول الله كنبأ وزوراً تحدث على صيامه والتبرك به، تنكيلاً بأهل البيت عليه السلام وتضليلاً للمسلمين وإبعادهم عن حقيقة حادثة هذا اليوم وأهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام فيه.

ومن الروايات التي وردت في تأكيد استحباب صوم يوم عاشوراء والتبرك به، ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس: «ما رأيت رسول الله يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر شهر رمضان».

كما روي عن أبي موسى الأشعري قال: «كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً، ويكبسون نساءهم فيه حللهم وشارتهم<sup>(١)</sup>، فقال رسول الله: فصوموه أنتم»<sup>(٢)</sup>.

ويبدو من مجموع الروايات الواردة في هذا الموضوع في كتب العامة وأتباع مذهب أهل البيت عليه السلام، أنّ هذا اليوم كان معروفاً عند المشركين الجاهليين واليهود أيضاً، وأن اليهود كانوا يتخذونه عيداً وأن النبي كان يصومه، ثم لما نزل صوم شهر رمضان ترك الاهتمام بصيامه بشكل خاص.

ولكن بني أمية بعد مقتل الحسين أعاونا هذه السنة مرة أخرى وجعلوه

(١) النشارة: اللباس الحسن.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٢٥٦، وقريب منه في صحيح مسلم ٣: ١٥٠.

يوم عيد وبركة وسرور، ولخذوا يفترون بعض الصحابة بالأموال ليؤكدوا هذا المضمون المتروك والمنسوخ لهذا اليوم تشقياً بأهل البيت عليهم السلام ومحاولة لإخفاء، وستر معالم الجريمة الكبيرة التي ارتكبوها.

فقد روى البخاري ومسلم والترمذي وابن داود عن عائشة قالت: «كان يوم عاشوراء تصومه قريش، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصومه في الجاهلية، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما قرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه»<sup>(١)</sup>.

كما روى الكافي بسند معتبر عن نجية بن الحارث العطار قال: «سألت أبا جعفر عن صوم يوم عاشوراء فقال: صوم متروك يفترون شهر رمضان، والمتروك بدعة. قال نجية: فسألت أبا عبد الله عليه السلام من بعد أبيه عليه السلام عن ذلك فأجابني بمثل جواب أبيه، ثم قال: أما إنّه صوم يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنة إلا سنة آل زياد بمقتل الحسين بن علي عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى حسنة عن الصادق عليه السلام قال: «من صامه كان حفظه من صيام تلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد. قال: قلت: وما كان حفظهم من تلك اليوم؟ قال: النار أعاننا الله من النار ومن عمل يقرب إلى النار»<sup>(٣)</sup>.

وقد روى الصدوق في العلل عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الصادق: «قلت له: يا بن رسول الله، فكيف سمّت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟ فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار ولخّنوا عليه الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له

(١) صحيح البخاري ٢: ١٥٠، صحيح مسلم ٤: ١٤٦، سنن الترمذي ٢: ١٢٧.

(٢) الكافي ٤: ١٤٦، ج ٤.

(٣) الكافي ٤: ١٤٧، ج ٦.

أمر هذا اليوم وقته يوم بركة؛ ليعذل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه. حكم الله بيننا وبينهم<sup>(١)</sup>.

لذا فلا بد للإنسان المسلم الصالح أن ينتبه إلى هذا العمل الإعلامي المنحرف، الذي استهدف تضليل المسلمين وإبعادهم عن الحقائق التاريخية والمقاصد النبيلة لهذا اليوم العظيم.

وقد أوجزنا الحديث في يوم عاشوراء لأننا تناولنا موضوع نهضة الإمام الحسين عليه السلام في عدة مواضع كان آخرها موضوع الشعائر الحسينية والزيارات.

## ٧ - أيام أخرى

ومضافاً إلى هذه الأيام المعروفة توجد أيام أخرى مباركة يهتم بها أبناء الجماعة الصالحة؛ لما ورد عن أئمة أهل البيت من الاهتمام بها أو لوقوع حوادث مهمة فيها، منها يوم المعاهلة<sup>(٢)</sup> وهو اليوم الرابع والعشرون من ذي الحجة الحرام، حيث باهل فيه النبي صلى الله عليه وآله نصارى نجران وفيهم (السيد) و (العاقب)، وأدخل معه في الكساء علياً وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام، وقال: «اللهم إنه كان لكل نبي من الأنبياء أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فهبط جبرائيل عليه السلام بآية التطهير

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٠، وكذلك وسائل الشيعة ٧: ٣٤١، ح ٧ فإنه يؤيد هذا المضمون.  
(٢) المعاهلة: هي الملائكة بأن يتحدى أحد الطرفين الطرف الآخر بصدقه، فيتقيا على أن يجعل الله لعنته على الكاذب منهما، وهكذا كان الأمر حيث كان النبي يقول للنصارى إن عيسى بشر خلقه الله من تراب شانه في ذلك شأن آدم عليه السلام، فلما أنكروا قوله باهلهم كما تحوت القرآن عن ذلك.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

ثم خرج النبي ﷺ بهم ﷺ للمباهلة، فلما بصر بهم النصارى وروا الصدق وشاهدوا أمارات العذاب لم يجرأوا على المباهلة، فطلبوا المصالحة وقبلوا الجزية فنزل القرآن الكريم بذلك: ﴿لَمَنْ حَارَبَكَ فِيهِ مِنْهُمْ مَا جَاءَكَ مِنْ أُولَاهِ فَقُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ وَأَنَّى لَهُمْ بُرْهَانُهُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ ثُمَّ تَنَبَّاهُمْ فَجَاءَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا اليوم آداب وأعمال، منها: الغسل، والصيام، والصلاة، والدعاء<sup>(٣)</sup>، وللصلاة كيفية خاصة رواها الشيخ الطوسي في المصباح<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا اليوم تصلى أمير المؤمنين ﷺ بخاتمه وهو رакع، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا رَزَّاقُكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُكْفُونَهُمْ أَفَلَا تَرَكَوْنَ الْزَكَاةَ وَهُمْ يَرْكَبُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن هذه الأيام اليوم الخامس والعشرون من ذي الحجة حيث نزلت فيه سورة (هل أتى) بشأن أهل البيت ﷺ، الذين كانوا قد صاموا ثلاثة أيام يتصدقون فيها بإفطارهم في الأيام الثلاثة بشكل متوالٍ على المسكين واليتيم والأسير؛ حيث إن من آداب هذا اليوم وليلته التماسي بأهل البيت ﷺ بالصدقات. ومن هذه الأيام - أيضاً - يوم عرفة الذي هو من الأيام المهمة، والذي سنتنوله في بحث العبادات إن شاء الله عندما نتناول موضوع الحج.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) راجع مفاتيح الجنان: ٢٨٢.

(٤) وسائل الشيعة ٥: ٢٢٥، ج ١.

(٥) المائدة: ٥٥.

## النظرية

بعد هذا الاستعراض للأيام والليالي يحسن بنا أن نشير إلى الرؤية النظرية العامة التي يمكن أن نستخلصها من هذا الاستعراض، وهنا تبدو أمامنا عدة قضايا مهمة:

**الأولى:** أن الليالي الشريفة تتميز بالإحياء بالعبادة لما في الليل من خصوصية الخلوة بالله تعالى للمناجات بالدعاء في العبادة له تعالى، كما أن الاتجاه فيها هو الاهتمام بالطهارة المعنوية للمتمثلة بالفسل.

**الثانية:** أن الأيام الشريفة - كالأعياد - تتميز بموضوع النظافة والزينة؛ لذا جاء التأكيد أيضاً للفسل والطيب وحسن الثياب، وكذلك تمييز بالأعمال الاجتماعية العامة، بحيث إن الصلوات فيها تقسم بهذا الطابع أيضاً، كما في صلوات الجمعة والعيدين، وكذلك للتأكيد على أهمية زيارة الإخوان والإتفاق والإحسان وغيرها من المفردات الاجتماعية.

**الثالثة:** التعبير عن الولاء والحب لأهل البيت والارتباط بهم والتأسي بهم، وكذلك التمجيد لأعمالهم والبراءة من أعدائهم.

وعمل هذه الأعمال يمثل ظاهرة عامة في جميع الليالي والأيام الفاضلة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال التأكيد لزيارة الإمام الحسين والإمام علي عليهما السلام فيها، وكذلك الإكثار من الصلوات على النبي وآله، بل ارتباط هذه الأيام بمناسباتهم.

**الرابعة:** أن عبادة الصوم لها خصوصية في الأيام الشريفة، ففي يومي العيدين تحرم هذه العبادة؛ لأن المطلوب فيهما هو التحلل من هذه الالتزامات، ولكنها في الأيام الأخرى مستحبة بدرجة عالية كما في الأيام الأربعة، وأما في

يوم الجمعة فلم يرد تأكيد استحباب صومه إلا في حالات خاصة، مثل طلب الحاجة أو تكميل الصوم للأربعاء والخميس.

الخامسة: تقسيم الأيام والليالي على المواسم العبادية في أكثر أشهر السنة، وهي رجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وربيع الأول، فإذا أضفنا إليها المناسبات الخاصة بأهل البيت عليهم السلام تصبح هذه الأيام على مدار السنة كلها.

السادسة: أن الكثير من التفاصيل في هذه الأيام والليالي والاختلاف فيها إنما كان من أجل ملء محتوى هذه الخطوط العامة التي تمثل اتجاهها في النظرية، حيث كان ذلك ضمن المخطط العام الذي وضعه أئمة أهل البيت للتربية الروحية والأخلاقية، وبناء الإرادة والتكامل النفسي ومعالجة الأمراض النفسية والروحية.

السابعة: أن الملاحظ في الأيام والليالي أنها تمثل بمجمل برامجها وأعمالها امتداداً لأيام الجمعة والعشرين وليلة الجمعة والقدر، بحيث تمثل الأعمال والعبادات في هذه الأيام والليالي الأصل الذي تفرعت عنه بقية الأعمال والعبادات في الأيام والليالي الأخرى؛ وبذلك نعرف أن ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام بشأن هذه الأيام والليالي إنما أن يكون من علمهم الواسع بتفاصيل الشريعة، أو يعبر عن رؤية نظرية أصيلة وواقعية للشريعة وتشريعاتها؛ بحيث يمكن أن ينفث منها كل هذه التفاصيل على أساس ما روي عن الإمام علي عليه السلام من قوله: «علمني رسول الله ألف باب من العلم، ينفتح لي من كل باب ألف باب»<sup>(١)</sup>.

(١) روي الحديث بنصوص مختلفة ويعني واحد. انظر الكافي ١: ٢٩٦، ج ٥، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٧: ٣٩٦.

## الفصل الثالث

### المساجد والأماكن المقدسة نظرية أهل البيت عليه السلام في الأماكن المقدسة

- ☐ أحكام المساجد
- ☐ ١ - البيت الحرام والمسجد الحرام ومكة
- ☐ ٢ - مسجد النبي صلى الله عليه وآله
- ☐ ٣ - المساجد في المدينة المنورة
- ☐ ٤ - الكوفة ومساجدها
- ☐ ٥ - حرم الإمام الحسين عليه السلام (الحائر الحسيني)
- ☐ ٦ - مساجد وأماكن أخرى





## المساجد والأماكن المقدسة

ومن مفردات الشعائر الإسلامية لدى الجماعة الصالحة مفردة المساجد والأماكن المقدسة؛ حيث تحظى هذه المفردة بأهمية خاصة في نظرية أهل البيت عليهم السلام، تتميز بسعتها وشمولها وعمقها، وذلك إلى جانب مفردة (الأيام المباركة) التي تناولناها بالحيث السابق.

ومفردة الأماكن المقدسة من المفردات التي يجمع عليها المسلمون، بل اقترتها جميع الأديان السماوية، والعنوان للعام للمكان المقدس عند المسلمين هو (المسجد) الذي هو مكان العبادة لنبيهم، وقد أشير إليه في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ مَّاءٍ وَالْيَوْرَ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَمَاتَ الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا صُورَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْبَيْنَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعْتَبُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (٣). وكذلك في آيات أخرى.

(١) التوبة: ١٨.

(٢) الأعراف: ٢٩.

(٣) الجن: ١٨. والآية الأولى نص في المسجد بالمعنى الاصطلاحي المعهود، وأما الآيتان الأخريتان فيحتمل أن يكون المراد منها مواضع السجود أو فعله.

## المسجد ودوره

ومصطلح المسجد خاص بالمسلمين في مقابل مصطلحات أخرى لأهل الأديان السابقة، تدعى بها الأماكن المقدسة مثل (الصومعة) للنصارى، و (البيعة) لليهود و (المصلى) لليهود أو للصابئة - كما قيل - حيث وردت هذه المصطلحات في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ سُرُجُ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدَةً فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى عَذَابِي أَوْ تَوَلَّيْتُمْ لَا يَخْلُفْ عَذَابِي﴾ (١).

وقد كان للمسجد دور خاص في الإسلام والشريعة الإسلامية لا يقتصر على العبادة وحدها، بل كان له - إلى جانب ذلك - دور في الثقافة والتعليم والتعبئة السياسية والروحية العامة، كما كان يستفاد منه - أحياناً ولا سيما في الصدر الأول للإسلام - في إدارة شؤون البلاد والقضاء وفصل الخصومات، وبذلك أصبح المسجد مؤسسة عبادة، ثقافية، سياسية، اجتماعية، تمارس دورها الفعال في المجتمعات الإسلامية، وتحظى بقدسية واحترام وتكريم.

ولذلك - أيضاً - نجد هذا القدر الكبير من النصوص التي وردت عن النبي ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ تتناول أحكام المساجد وأدائها وشؤونها، وكيفية التعامل معها في تعظيمها وتقديسها وإعمارها بالبناء والعبادة، وثواب التردد عليها والصلاة فيها أو الاعتكاف والمكث فيها (٢).

(١) الحج: ٤٠.

(٢) لقد تناولت كتب الفقه والحديث هذه الأبعاد في مواضع متعددة، أهمها البحث في مكان المصلى من كتاب الصلاة.

## نظرية أهل البيت في الأماكن المقدسة

وفي أحاديث ونظرية أهل البيت نجد أن هذه القدسية - في بعض أبعادها - تمتد إلى أماكن أخرى، مثل بيوت النبي وأهل بيته ومشاهدهم الشريفة وبعض الأماكن التي ارتبطت تاريخياً بالأنبياء والصالحين من عباد الله بحيث صلى فيها هؤلاء الصالحون لو كان لها علاقة بهم أو بأحداثهم.

هذه النظرية تنطلق من رؤية الإسلام إلى قضية الاهتمام بالمواقع التي ارتبطت تاريخياً بالأنبياء والصالحين، والأحداث التي مرت بها رسالتهم؛ حيث يستفاد من بعض الآيات القرآنية والنصوص الأخرى للتوجه في النظرية القرآنية إلى الاهتمام والمعناية بالمعالم والذكرات التاريخية، التي تجسد حركتهم ومواقفهم وأعمالهم وشكرهم لله تعالى، ولزوم تكريسها وتوظيفها تاريخياً.

ويمكن أن نجد الأساس لهذا الفهم في بعض الحوادث التي اثبتتها القرآن الكريم، وكذلك في بعض الشعائر التي أقرها أو وظفها للقرآن الكريم، أو المفاهيم التي اثبتتها لجزء من معالم الرسالة الإسلامية، وكذلك في السيرة النبوية المباركة.

ونشير هنا إلى بعض هذه المعالم:

الأول: قضية أهل الكهف التي أشار القرآن الكريم فيها إلى أن المؤمنين، الذين غلبوا على أمرهم في ذلك العصر، اتخذوا عليهم مسجداً متجيداً لموقف هؤلاء الصالحين الذين رفضوا الوثنية والطغيان: ﴿وَإِذْ يَتَشَرَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَدُّهُمْ أَعْلَمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَيْهِمْ أَتَمْسُجِدُونَ لَهُمْ؟﴾<sup>(١)</sup>

(١) الكهف: ٢٦.

الثاني: تمجيد مقام إبراهيم عليه السلام، وهو الصخرة التي كان يقف عليها لبناء الكعبة الشريفة، حيث ورد في القرآن الكريم استحباب أو وجوب الصلاة عند المقام بعد الطواف كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ (١)، وهذا مما يجمع عليه المسلمون.

الثالث: ما ورد في إدخال حجر إسماعيل في الطواف، مع أنه ليس من الكعبة الشريفة وكذلك استحباب الصلاة فيه؛ وذلك لأنه مدفن أمه ومجموعة من الأنبياء، وهذا مما يجمع عليه المسلمون.

الرابع: ما ورد في القرآن الكريم من التأكيد للسعي بين الصفا والمروة، وأنه من شعائر الله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَفْتَحَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ إِذْ يُطَوِّكُ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٢).

ويذكر تاريخياً وجود ارتباط بين هذا السعي وسعي هاجر أم إسماعيل عليه السلام لإنقاذ ولدها من العطش، الذي انتهى بعد ذلك إلى حصولها على ماء زمزم.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن إبراهيم عليه السلام لما خلف إسماعيل بمكة عطش الصبي، فكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أمه حتى قامت على الصفا، فقالت: هل بالبوادي من أنيس؟ فلم يجيبها أحد، فعمضت حتى انتهت إلى المروة، فقالت: هل بالبوادي من أنيس؟ فلم تجب، ثم رجعت إلى الصفا وقالت ذلك حتى صنعت ذلك سبعاً، فلجئ إلى الله ذلك سنة...» (٣).

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) الكافي ٤: ٢٠٢، ح ٢.

الخامس: ما ورد في تمجيد وتعظيم المسجد الأقصى؛ لأنه القبلة الأولى ومحل عبادة الأنبياء السابقين، ومسرى ومعراج رسول الله ﷺ، كما أشار إليه القرآن الكريم.

السادس: ما أجمع عليه المسلمون من احترام مسجد قبا؛ حيث كان المسجد الذي بُني على التقوى من أول يوم كما أشار القرآن الكريم، ولأنه كان للموضع الذي صلى فيه رسول الله ﷺ عند قبومه للمدينة ولقام فيه بعض الوقت قبل أن يدخلها، فبني عليه المسلمون مسجداً وسوف يأتي للحديث عنه.

السابع: ما ثبته القرآن الكريم من مفهوم البيوت التي أنشأ الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وهي تلك البيوت التي يسكنها الصالحون من الناس، كما في قوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ الْقُرْآنَ أَنْ هُم بِمَشَاقِدِ الْأَشْوَاعِ يُذَكِّرَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ الْقُرْآنَ أَنْ هُم بِمَشَاقِدِ الْأَشْوَاعِ يُذَكِّرَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُ الْقُرْآنَ أَنْ هُم بِمَشَاقِدِ الْأَشْوَاعِ﴾ (١).

وانطلاقاً من هذا الفهم نجد أن أهل البيت ﷺ - بسبب علمهم الواسع بتاريخ الرسالات الإلهية وفهمهم الدقيق المستوعب للرسالة الإسلامية - قاموا بعمل تميزوا به، وهو إحياء معالم هذا التاريخ الإلهي - سواء في الرسالات السابقة أم الرسالة الإسلامية - والدعوة إلى تقديس هذه الأماكن وإحياء تاريخها.

ويحظى المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة، وكذلك المسجد الأقصى في القدس الشريف بتقديس واحترام خاصين لدى جميع المسلمين.

وقد روى جمهور المسلمين بشأن فضل هذه المساجد الثلاثة أنه لا تشد

(١) النور: ٢٦ - ٢٧.

الرجال إلّا لها<sup>(١)</sup>، وأنها تختص بهذا الاحترام والعمل الشرعي دون غيرها من المساجد الأخرى، كما أنّ هذه المساجد ورد الحديث عنها في القرآن الكريم ولا سيما المسجد الحرام.

ولكن أهل البيت ﷺ أعطوا هذه المفردة تصوراً واسعاً شاملاً من حيث الكم والكيف.

أمّا من حيث الكيف فتجد أنّ الاحترام والتقديس من ناحية، والجنز التاريخي لهذه المساجد من ناحية أخرى والأعمال المرتبطة بهذه الأماكن من ناحية ثالثة جاءت شاملة وواسعة.

وأمّا من حيث الكم فنجد أنّ هناك أماكن أخرى حظيت بهذا التقديس والاحترام إجمالاً على اختلاف بينها في مستويات ودرجات التقديس؛ ومن هذه الأماكن مسجد الكوفة، ومسجد قباء، ومسجد الخيف، ومسجد السهلة أو سهيل، والحائر الحسيني، ووادي السلام في النجف، وحرم أمير المؤمنين عليّ ﷺ، ومسجد پرانشاء، وحرم الإمام الرضا في طوس من خراسان، ومشاهد أئمة أهل البيت ﷺ عامة.

## أحكام المساجد

وقبل الحديث عن تفاصيل أهم هذه المفردات يحسن بنا أن نتحدث قليلاً عن الأحكام العامة للمساجد في عدة نقاط<sup>(٢)</sup>.

(١) التاج الجامع للأصول ١: ٢٢٤، عن الخمسة وهم: البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي والنسائي، وسوف نعرف في أحاديث أهل البيت أنّ هذا النوع من الاحترام لا يختص بهذه المساجد.

(٢) وردت هذه النقاط في العروة الوثقى للسيد الطباطبائي في بحث مكان المصلي (الأماكن المستحبة) و(أحكام المسجد) ١: ٥٩٨ - ٦٠٠ طبعة محمود الكتاتجي ولولاه سنة ١٢٩٩ هـ وقد ذكرناها مع الاختصار ولنصرف غير المخل.

١ - يستحب الصلاة في المساجد وأفضلها المسجد الحرام، فالصلاة فيه تعدل ألف ألف صلاة، ثم مسجد النبي ﷺ والصلاة فيه تعدل عشرة آلاف، ومسجد الكوفة وفيه تعدل ألف صلاة، والمسجد الأقصى وفيه تعدل ألف صلاة أيضاً، ثم للمسجد الجامع وفيه تعدل مائة، ومسجد القبيلة (المحلة) وفيه تعدل خمساً وعشرين، ومسجد السوق وفيه تعدل اثنتي عشرة.

ويستحب أن يجعل في بيته مسجداً، أي مكاناً معداً للصلاة فيه، وإن كان لا يجري عليه أحكام المسجد. والأفضل للنساء الصلاة في بيوتهن وأفضل البيت المخدع.

٢ - يستحب الصلاة في مشاهد الأئمة عليهم السلام، وهي البيوت التي أمر الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه، بل هي أفضل من بعض المساجد.

٣ - يستحب تفريق الصلاة في أماكن متعددة لتشهد له يوم القيامة، ففي الخبر سأل الرازي أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يصلي نوافله في موضع أو يفرقها، قال عليه السلام: «لا، بل يفرقها هنا وهناك؛ فليشهد له يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

٤ - يكره لجار المسجد أن يصلي في غيره لغير علة كالمطر. قال النبي ﷺ: «لا صلاة لجار المسجد إلا في مسجده»<sup>(٢)</sup>، ويستحب ترك مؤكلة من لا يحضر المسجد وترك مشاربته ومشاورته ومنالكته ومجلورته.

٥ - يكره تعطيل المسجد، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٤٥٥، ح ١٨٠.

(٢) وسائل الشريعة ٢: ١٧٨، ح ١.

(٣) الكافي ٢: ٦١٢، ح ٣.



٦ - يستحب كثرة التردد إلى المساجد، فعن النبي ﷺ: «من مشى إلى مسجد من مساجد الله، فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات»<sup>(١)</sup>.

٧ - يستحب بناء المسجد وفيه أجر عظيم، قال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً في الدنيا أعطاه الله بكل شبر منه (أو يكل ذراع منه) مسيرة أربعين ألف عام مدينة من ذهب وفضة ولؤلؤ وزبرجد»<sup>(٢)</sup>، وعن الصادق عليه السلام: «من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»<sup>(٣)</sup>.

٨ - يحرم زخرفة المسجد أي تزيينه بالذهب، والأحوط ترك نقشه بالصور.  
٩ - لا يجوز بيع المسجد ولا بيع الأثر وإن صار المسجد خراباً، ولا إدخاله في الملك.

١٠ - يحرم تنجيس المسجد، وإذا تعرض للنجاسة وجب إزالتها على المكلفين فوراً، ويحرم إدخال ما يوجب هتكه من الأشياء.

١١ - يستحب للإنسان المؤمن أن يسبق للناس في الدخول إلى المسجد، والتأخر عنهم في الخروج منه.

١٢ - يستحب خدمة المسجد كالإسراج فيه، وتنظيفه بالكنس والمسح، والابتداء في الدخول فيه بالرجل اليمنى وفي الخروج بالرجل اليسرى، وأن يلتفت إلى نعله وحذائه لئلا يكون فيه الأوساخ والنجاسات، وأن يستقبل القبلة فيه ويدعو الله ويحمده ويصلي على النبي ﷺ، وأن يكون على طهارة وبوضوء.

١٣ - يستحب صلاة التحية في المسجد بعد الدخول فيه، وهي ركعتان، ويجزي عنها الصلاة الواجبة أو النافلة أو الصلوات المستحبة الأخرى.

(١) بحار الأنوار ٨٣: ٣٦٧، ج ٢٥.

(٢) وسائل الشيعة ٣: ٤٧٨، ج ١.

(٣) الكافي ٣: ٣٦٨، ج ١.

١٤ - يستحب التطيب للمسجد، وأن يلبس الثياب الفاخرة والنظيفة عند التوجه إليه.

١٥ - يكره للإنسان الاستطراق في المساجد بأن يجعلها طريقاً له، إلا أن يصلي فيها ركعتين، وكذا يكره له إلقاء للنخامة والنفخاة أو النوم فيه إلا لضرورة، أو رفع الصوت فيه إلا في الأذان ونحوه، كالوعظ والإرشاد أو لدروس والمحاضرات، ويكره حذف الحصى ورسيها، وقراءة الأشعار غير المواعظ ونحوها من مدائح ومرثي أهل البيت عليه السلام، ويكره البيع والشراء والتكلم في أمور الدنيا الشخصية؛ لأنه محلّ العبادة والفائدة العامة، ويكره إظهار السلاح وجعله إلى القبلة، ويدخل من أكل البصل والثوم ونحوهما مما له رائحة تؤذي الناس والمصلين، ويكره أيضاً تمكين الأطفال أو المجانين من الدخول فيها، أو اتخاذها محلاً لعمل الصنائع، والتعري فيها وكشف العورة حتى مع الأمن من الناظر، أو كشف السرة والفخذ والركبة، وإخراج الريح وغير ذلك من الأعمال التي تعتبر خلافاً للأدب العامة.

#### ١ - البيت الحرام والمسجد الحرام ومكة

البيت الحرام هو الكعبة الشريفة، وهو أول بيت وضع للناس: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ فِيهِ مَكِّنَّا مِنَّا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا... ﴿٢٧﴾﴾ (١).

والمسجد الحرام هو المسجد الذي يحيط بالكعبة، وفيه مقام إبراهيم الذي ورد النص في القرآن الكريم بالصلاة فيه: ﴿وَأَنذَرُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُمَلَّيْنِ﴾ (٢)؛ ولذا فالمسجد الحرام هو أول مسجد عرفته البشرية في تاريخها.

(١) آل عمران: ٩٦ - ٩٧.

(٢) البقرة: ١٢٥.

وقد تحدث عنه القرآن الكريم في مواضع عديدة باسمه الصريح وهو المسجد الحرام، كما أشار إليه عندما تحدث عن الكعبة الشريفة والبيت الحرام وبناتها، وجعلها من قبل الله تعالى مثابة للناس وأماناً وتطهيرها للظالمين والعاكفين والركع السجود، وكذلك عن الحج وقيام الناس والصلاة عنده<sup>(١)</sup>، فإن كل ذلك إنما يمارس في المسجد الحرام.

وسوف يأتي في الحج أن البيت الحرام كان يحج إليه قبل آدم بالفي عام، كما ورد في الروايات أن أول ما خلق الله تعالى من الأرض كان موضع البيت، وأنه قد دحا الأرض من تحته<sup>(٢)</sup>.

كما يبدو من مجموعة أخرى من الروايات أن تصميم البيت والطواف حوله قد بدأ منذ القرار الإلهي بخلق آدم، الذي يتحدث عنه القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾<sup>(٣)</sup>.

وإن الله تعالى جعله في منطقة وعرة (بؤادي غير ذي زرع) كما يعبر القرآن الكريم، من أجل أن يختبر طاعة عباده وانقيادهم له في تعظيمه وزيارته<sup>(٤)</sup>.

ويبدو من بعض الروايات المعتبرة أن حد المسجد الحرام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام كان واسعاً، بحيث كان يشمل ما بين الحزورة<sup>(٥)</sup> إلى المسعى، وفي بعضها جاء التعبير أن حده ما بين الصفا والمروة فيكون أوسع من المسجد الفعلي<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة: ١٢٥ و ١٢٧، المائدة: ٩٧، الحج: ٢٦.

(٢) الكافي ٤: ١٨٩، ح ٣، ٧.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ١٠: ٥، باب ٢ البيت وعلة بنائه وطوافه.

(٤) جامع أحاديث الشيعة ١٠: ١٩، باب ٢.

(٥) الحزورة منطقة مجاورة للمسجد الحرام.

(٦) جامع أحاديث الشيعة ١٠: ٢٣ - ٢٥، ح ١ و ٣ و ٤ و ٥.

كما أنَّ الكعبة الشريفة كانت في زمن إبراهيم تسعة أزرع، ثم زينت في زمن قريش إلى ثمانية عشر ذراعاً، ثم في زمن الحجاج إلى سبعة وعشرين ذراعاً<sup>(١)</sup>.

وحجر إسماعيل ليس من الكعبة وإنما هو مدفن أمه هاجر وجماعة من الأنبياء، وكان إدخاله في الطواف من أجل كراهة وطء هذه القبور<sup>(٢)</sup>.

وتدل بعض النصوص للمعتبرة على أنَّ الحجر الأسود كان من الجنة، وأنَّ الله تعالى وضعه في هذا المكان من الكعبة بعد أنَّ التقم ميثاق الخلق كلهم، وهو شاهد في يوم القيامة على من أدَّى الأمانة والميثاق والموافاة، ومنه جاء الدعاء عند استلام الحجر: «أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وللكعبة فضل عظيم عند الله تعالى وقد أعظم حرمتها مع البيت الحرام، سواء على مستوى الآثار التكوينية أم الشرعية أم الأجر والثواب المترتب على تقديسها، أم الطواف حولها أم الصلاة في المسجد الحرام.

فقد ورد في القرآن الكريم قصة أصحاب الفيل الذين رامهم الله تعالى بحجارة من سجيل، بواسطة الطير الأبابيل؛ لأنهم قصصوا هم للكعبة، وكان قبل ذلك ما أشارت إليه النصوص مما أصاب (تبع) عند نيته لهدمها ثم عدوله عن ذلك وتعظيمه لها<sup>(٤)</sup>.

وهكذا شاء الله تعالى أن يظل عقوبته بكل جبار قصدها بشر، وقد ورد في

(١) انظر الكافي ٤: ٢٠٧، ح ٧، ٨.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ١٠: ٢٥، ح ١٢.

(٣) انظر علل الشرائع ٣: ٤٢٤، ح ١، ٢، ٣.

(٤) جامع أحاديث الشيعة ١٠: ٤١.

الحديث عن أمير المؤمنين أنه قال: «مكة حرم الله والمدينة حرم رسول الله ﷺ، والكوفة حرمي لا يريدونها جبار بحاجة إلا قصمه الله»<sup>(١)</sup>.

وباعتبار هذه الحرمة الخاصة للمبني الحرام كانت مصالحه مقدمة على جميع المصالح الأخرى في مكة، كما يشير إلى ذلك بعض النصوص<sup>(٢)</sup>.

وقد حرّم الله تعالى على المشركين دخول المسجد الحرام، كما نص على ذلك القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

كما ورد في النصوص معتبرة أنّ من أحدث في الكعبة متعمداً استحق القتل<sup>(٤)</sup>. وقد ورد بطريق معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لا ينبغي لأحد أن يرفع بناءً فوق بناء الكعبة»<sup>(٥)</sup>.

وقد ورد في فضل الكعبة روايات كثيرة، منها ما روي بطريق معتبر عن أبي زبارة عن جعفر الباقر عليه السلام: «قال: كنت عنده قاعداً خلف المقام وهو محتب مستقبل القبلة فقال: انظر إليها عبادة وما خلق الله بقعة من الأرض أحب إليه منها - ثم أهوى بيده إلى الكعبة - ولا أكرم عليه منها»<sup>(٦)</sup>.

كما ورد عن رسول الله ﷺ: «إنّ النظر إلى الكعبة حباً لها، يهدم الخطايا هدماً»<sup>(٧)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٥٦٣، ج ١.

(٢) انظر وسائل الشريعة ٩: ٣٣١، ج ١٥.

(٣) الفتوة: ٢٧.

(٤) جامع لأحاديث الشيعة ١٠: ٥٩، باب ١١.

(٥) الكافي ٢: ٣٦، ج ١.

(٦) تفسير الصافي ٢: ٨٨.

(٧) المحاسن ١: ٦٩، ج ١٣٥.

وبطريق معتبر عن الصادق عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى حول الكعبة عشرين ومائة رحمة، منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين»<sup>(١)</sup>.

كما ورد في حديث آخر معتبر عن الصادق عليه السلام قال: «من نظر إلى الكعبة فعرف من حقنا وحرمتنا مثل الذي عرف من حقها وحرمتها، غفر الله له نذوبه وكفاه هم للفتيا والآخرة»<sup>(٢)</sup>.

والصلاة في المسجد الحرام هي أفضل الصلوات، وقد ورد أنها أفضل من الصلاة بمسجد رسول الله؛ حيث تعدل الصلاة في المسجد الحرام ألف صلاة في مسجد رسول الله، والصلاة في مسجد رسول الله تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد غير المسجد الحرام، أو مائة ألف صلاة في غيره<sup>(٣)</sup> من المساجد.

كما ورد في رواية أخرى عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من صلَّى في المسجد الحرام صلاة مكتوبة، قبل الله منه كل صلاة صلاها منذ يوم وجبت عليه للصلاة، وكل صلاة يصليها إلى أن يموت»<sup>(٤)</sup>.

وقد فضل الله تعالى مكة المكرمة لأفضل المسجد الحرام والكعبة؛ حيث ورد أنَّ أفضل البقاع هي مكة وأفضل بقاعها البيت الحرام، وأفضل بقاع المسجد هو ما بين الركن الأسود والمقام وياب الكعبة وهو حطيم إسماعيل عليه السلام<sup>(٥)</sup>.

وقد ورتت في فضلها وأفضل العبادة فيها والعمل الصالح ومجاورتها،

(١) الكافي ٤: ٢٤٠، ح ٢.

(٢) الكافي ٤: ٢٤٠، ح ٦، وهو معتبر برواية ابن أبي عمير، عن علي بن عبد العزيز.

(٣) الكافي ٤: ٥٢٥، ح ٦.

(٤) وسائل الشيعة ٣: ٥٢٦، ح ١ و ٢.

(٥) انظر المحاسن ١: ٩١، ح ٤٢، ٤٤.

والعذاب الأليم لمن ارتكب الإثم فيها، نصوص متعددة، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَرَّ إِلَهَهُ يَرْجُ الْكَافِرَ يُظَلِّمُ لِقَوْمِهِ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

كما أن الله تعالى جعل حرم مكة حراماً آمناً لمن دخله إلى قيام الساعة، ولا يجوز فيه صيد البر ولا قلع الأشجار إلا ما استثنى، ولا ينبغي فيه حمل السلاح ظاهراً وإخافة الناس وغير ذلك من الأحكام.

ولكل من الحرم ومكة والمسجد الحرام والكعبة المشرفة أدب ورسوم وأعمال أشرنا إلى بعضها في الحج، ويحسن الاطلاع عليها من خلال كتب الحج وأحكامه وآدابه ومستحباته.

## ٢ - مسجد النبي ﷺ

ويأتي في الفضل بعد المسجد الحرام مسجد الرسول ﷺ في المدينة، وقد سبق أن فضل الصلاة في مسجد رسول الله تعدل ألف صلاة، وقد ورد في عدة روايات أخرى أن الصلاة فيه تعدل عشرة آلاف صلاة انظر<sup>(٢)</sup>.

وتوجد في مسجد النبي روضة من رياض الجنة، وهي المكان الذي يقع بين بيت رسول الله الذي هو محل قبره الشريف الآن، ومنبره صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن معاوية بن وهب قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل قال رسول الله ﷺ: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة؟ فقال: نعم، وقال: وبين علي وفاطمة رضي الله عنهما ما بين البيت الذي فيه النبي ﷺ إلى الباب الذي يحاذي الزقاق إلى البقيع، قال: فلو دخلت من

(١) الحج: ٢٥.

(٢) وسائل الشريعة ٢: ٥٤٢، ح ٢، ٤، ٤.

ذلك الباب والحائط مكانه أصاب منكبك الأيسر، ثم سَمَى سائر البيوت، وقال: قال رسول الله ﷺ: «للصلاة في مسجدِي تعدل ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام فهو الفضل»<sup>(١)</sup>.

كما ورد في حديث آخر أنَّ قبره الشريف على ترعة من ترع الجنة<sup>(٢)</sup>. وقد ورد في عدة روايات وبعضها بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ الصلاة في بيت فاطمة أفضل من الصلاة في الروضة.

فقد روى الكليني في الكافي عن يونس بن يعقوب قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة أفضل لو في الروضة؟ قال: في بيت فاطمة»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية أخرى أنَّ الصلاة في بيوت النبي - وبيت علي منها - مثل الصلاة في مسجد النبي، بل هو أفضل منها<sup>(٤)</sup>، وبيت علي وفاطمة - كما سبق - هو ما بين البيت الذي فيه النبي ﷺ إلى الباب الذي يحاذي الزقاق إلى البقيع<sup>(٥)</sup>.

وحجود مسجد الرسول على ما جاء في رواية اعتبرها جماعة من كبار العلماء هو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع مكسرة<sup>(٦)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٥٥٥، ح ٨.

(٢) انظر الكافي ٤: ٥٥٢، ح ١.

(٣) الكافي ٤: ٥٥٦، ح ١٢.

(٤) انظر وسائل الشيعة ٣: ٥٤٢، ح ٤.

(٥) وسائل الشيعة ٣: ٥٤٢، ح ١، وقد أزيلت جميع هذه المعالم مع الأسف الشديد؛ لأن المذهب الوهابي لا يهتم بمعالم التاريخ الإسلامي وآثاره، بل يسعى لمحوها. والظاهر أنَّ المقصود من الباب المذكور هو الباب الذي يؤدي الآن إلى الجانب الخلفي (الركن الشمالي الشرقي) من الضريح الموجود فعلاً على قبر الرسول ﷺ. منه قدس سره.

(٦) راجع من لا يحضره الفقيه ١: ٢٢٩، ح ٦٨٢.



وقد جاء حد المسجد وحد الروضة في روايتين صحيحتين، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حد الروضة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله إلى طرف الظلال، وحد المسجد إلى الاسطوانتين عن يمين المنبر إلى الطريق مما يلي سوق الليل»<sup>(١)</sup>.

وعن محمد بن مسلم قال: «سأله عن حد مسجد الرسول صلى الله عليه وآله قال: الاسطوانة التي عند رأس القبر إلى الاسطوانتين من وراء المنبر عن يمين القبلة، وكان من وراء المنبر طريق تمر فيه الشاة ويمر الرجل منحرفاً، وكان ساحة المسجد من البلاط إلى الصحن»<sup>(٢)</sup>.

#### مواقع أخرى مباركة في المسجد

مضافاً إلى فضل المسجد والروضة وبيوت النبي وعلي وقائمة توجد في مسجد النبي صلى الله عليه وآله مواقع أخرى لها فضل وفيها بركة، مثل: (منبر النبي صلى الله عليه وآله) و(محرابه) الذي كان يصلي فيه.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن معاوية بن عمار قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فأت المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به فإنه يقال: إنه شفاء للعين، وقم عنده واحمد الله واثن عليه وسل حاجتك؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما بين قبري ومنبري وبيتي روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة، والترعة هي الباب الصغير، ثم تلتي مقام النبي صلى الله عليه وآله فتصلي فيه ما بدا لك»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٥٥٥، ح ٦.

(٢) الكافي ٤: ٥٥٤، ح ٤.

(٣) الكافي ٤: ٥٥٣، ح ١.

ومن هذه المواقع (مقام جبرئيل ﷺ) الذي كان يقف فيه مستأنفاً  
النبي ﷺ عند الدخول عليه.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن معاوية بن عمار قال: «قال أبو  
عبد الله ﷺ: أئتت مقام جبرائيل ﷺ وهو تحت الميزاب، فإنه كان مقامه إذا  
استأذن على رسول الله ﷺ فقل: أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد،  
أسألك أن تصلي على محمد وأهل بيته، وأسألك أن ترد علي نعمتك»<sup>(١)</sup>.

ومن هذه المواقع (الأسطوانة الثلاث)، وهي أسطوانة أبي لبابة<sup>(٢)</sup>  
المعروفة بأسطوانة التوبة، والأسطوانتان اللتان تليانها باتجاه مصلى النبي  
ومقامه ومحرابه، حيث يستحب لزار قبر النبي ومسجده أن يقوم بعمل  
مخصوص عندها.

فقد روى الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب عدة روايات  
بأسانيد معتبرة تذكر هذه المواقع والأعمال التي تؤدي فيها.

عن محمد بن الحسن، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن  
كان لك مقام بالمدينة ثلاثة أيام صمت أول يوم أربعاء، وتصلي ليلة

(١) الكافي ٤: ٥٥٧، ح ١.

(٢) أبو لبابة هو بشير بن عبد المنذر الانصاري أحد الصحابة، كان ممن استخلفه رسول الله  
على المدينة في بدر وضرب له بسهم، ولأسطوانته قصة هي أن يهود بني قريظة عندما  
حاصروهم رسول الله ﷺ طلبوا الصلح، فأبى رسول الله عليهم ذلك وطلب منهم أن  
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فطلبوا أن يستشيروا في ذلك أبا لبابة: إذ كان  
مناصحاً لهم، فأنشأ عليهم بعدم قبول ذلك؛ لأن وراثة النبي، ثم ندم على هذا المعروف  
وأحس بأنه خيانة لرسول الله ﷺ، فتاب ورجع نفسه إلى هذه الأسطوانة وامتنع عن  
تناول الطعام سبعة أيام حتى غشي عليه، فغزل لوحه بتوبة الله عليه، فلما أخبر بذلك  
طلب من رسول الله أن يلك رطله. راجع ترجمته في تنقيح المقال ١: ١٧٥.

الأربعاء عند أسطوانة أبي لبابة، وهي أسطوانة التوبة التي كان ربط نفسه إليها حتى نزل عنه من السماء، وتقع عندها يوم الأربعاء ثم تأتي ليلة الخميس الأسطوانة التي تليها مما يلي مقام النبي ﷺ ليلتك ويومك، وتصوم يوم الخميس، ثم تأتي الأسطوانة التي تلي مقام النبي ﷺ ومصلاه ليلة الجمعة فتصلي عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الجمعة، فإن استطعت ألا تتكلم بشيء في هذه الأيام فافعل إلا ما لا بد لك منه، ولا تخرج من المسجد إلا لحاجة، ولا تنام في ليل ولا نهار فافعل لأن ذلك مما يعد فيه الفضل، ثم الحمد لله في يوم الجمعة وأثن عليه وصل على النبي ﷺ وسل حاجتك، وليكن فيما تقول: اللهم ما كانت لي إليك من حاجة شرعت لنا في طلبها والتماسها أو لم أشرع، سألتكها لو لم أسالكها فإني أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة في قضاء حوائجي صغيرها وكبيرها، فإنك حري أن تقضى لي حاجتك إن شاء الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - المساجد في المدينة المنورة

وتوجد في المدينة المنورة مجموعة من المساجد الشريفة، التي تشرفت بصلاة رسول الله ﷺ في مواضعها، وبُنيت عليها المساجد أو تصدى رسول الله ﷺ لبنائها.

وأهم هذه المساجد وأفضلها هو مسجد (قبا)، الذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَسِيْدُ أَيْمَنَ عَلَى النَّبِيِّ إِنْ أَرَادُوْا يَمُوْذِرَ آتَمَنَ أَنْ تَفُوْثَ فِیْهِ فِیْهِ رِجَالٌ مُّیْتَرُونَ أَنْ يَضَلُّوْا وَأَنْتَ أَتَمُّ الْبَالِغِیْنَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) تهذيب الأحكام ٦: ١٦، ج ١٥.

(٢) التوبة: ١٠٨.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أتى مسجدي مسجد قبا فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة»<sup>(١)</sup>.

وكذا يوجد (مسجد القضيح)، وهو الموقع الذي ربت فيه الشمس لامير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد صلى فيه النبي ﷺ.

و(مسجد الأحزاب) و(الفتح)، وهو المكان الذي دعا فيه النبي بالفتح لعلي عليه السلام عندما برز لقتال عمرو بن عبد ود العامري في معركة الأحزاب، و (مشربة أم إبراهيم) حيث كانت مسكن رسول الله ومصلاه في قبا عند وروده إلى المدينة.

و(مسجد أحد) و(قبور الشهداء) فيه، ومنها قبر حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله وسيد الشهداء.

فقد روى الكليني في الكافي عن معاوية بن عمار قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تدع إتيان المشاهد كلها: مسجد قبا فإنه المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، ومشربة أم إبراهيم، ومسجد القضيح، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب، وهو مسجد الفتح. قال: وبلغنا أنّ النبي ﷺ كان إذا أتى قبور الشهداء قال: السلام عليكم بما صيرتم فنعم عقبى الدار. وليكن فيما تقول عند مسجد الفتح: يا صريح المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين اكشف همّي وغمّي وكربي، كما كشفت عن نبيك همّه وغمّه وكربه وكفيتّه هول عبوّه في هذا المكان»<sup>(٢)</sup>.

وعن عقبة بن خالد قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام: إنّا نأتي المساجد التي حول المدينة فبأيّها أبدأ؟ فقال: أبدأ بقبا فصل فيه وأكثر؛ فإنه أول مسجد

(١) كامل الزيارات: ٦٦، ج ٢.

(٢) الكافي: ٤، ٥٦٠، ج ١.

صلى فيه رسول الله ﷺ في هذه العرصة، ثم لثت مشربة أم إبراهيم فصل فيها؛ فبناها مسكن رسول الله ﷺ ومصلاه، ثم أتاني مسجد الفضيل فتصلي فيه؛ فقد صلى فيه نبيك، فإذا قضيت هذا الجانب أتيت جانب أحد قببات بالمسجد الذي دون الحيرة فصليت فيه، ثم مررت بقبر حمزة بن عبد المطلب فسلمت عليه، ثم مررت بقبور الشهداء فقامت عندهم فقلت: السلام عليكم يا أهل الديار أنتم لنا فرط وإننا بكم لاحقون، ثم أتاني المسجد الذي في المكان الواسع إلى جنب الجبل عن يمينك، حتى أتاني أحدًا فتصلي فيه فعنده خرج النبي ﷺ إلى أحد حين لقي المشركين، فلم يبرحوا حتى حضرت الصلاة فصلى فيه، ثم من أيضاً حتى ترجع فتصلي عند قبور الشهداء ما كتب الله لك، ثم امض على وجهك حتى أتاني مسجد الأحزاب فتصلي فيه وتدعو الله؛ فإن رسول الله ﷺ دعا فيه يوم الأحزاب وقال: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا مغيث المهمومين اكشف همي وكربي وغمي فقد ترى حالي وحال اصحابي»<sup>(١)</sup>.

وعن عمارة بن موسى في حديث، عن أبي عبد الله ﷺ في مسجد الفضيل، أن قصة رد الشمس لأمير المؤمنين ﷺ كانت في هذا المسجد<sup>(٢)</sup>.

وهناك مساجد أخرى معروفة في المدينة، (كمسجد القبلتين) الذي يروى أن آية تغيير القبلة نزلت فيه: ﴿قَدْ رَأَى نَفْلًا وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَاتَّوَلَّى يَدًا رَمَحْنَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكنكك (مسجد الغمامة)، وهو الموضع الذي أظلت فيه الغمامة رسول

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٢٧٦، ج ٢.

(٢) انظر وسائل الشيعة ١٠: ٢٧٧، ج ٢.

(٣) البقرة: ١٤٤.

الله ﷺ من حرّ الشمس، والمساجد الخمسة المنسوبة إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة، ومسجد المباهلة وهو المكان الذي باهل فيه النبي نصارى نجران، وأشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ مَا لَنَا نَدْعُ إِلَهًا تَا وَابْنًا تَدْعُ إِلَهًا تَا وَرِسَالَةً تَا وَأَنْفُسَكُمْ تَا وَأَنْفُسَكُمْ تَا نَبْتَهِّلُ فَتَجْعَلُ لَمْنَتَ اللَّهِ عَلَ الْكَتَبِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ومسجد سلمان الفارسي<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الأماكن الشريفة في المدينة (معزّس رسول الله ﷺ)، وهو المكان الذي أقام فيه رسول الله عند رجوعه من مكة إلى المدينة وكان يصلي فيه، فقد روى الكليني في الكافي مجموعة من الروايات منها هذه الرواية المعتبرة عن معاوية بن عمار قال: «قال أبو عبد الله ﷺ: إذا انصرفتم من مكة إلى المدينة وانتهيت إلى ذي الحليفة وأنت راجع إلى المدينة من مكة، فاتّ معزّس النبي ﷺ، فإن كنت في وقت صلاة مكتوبة أو نافلة فصلّ فيه، وإن كان في غير وقت صلاة مكتوبة فانزل فيه قليلاً، فإن رسول الله ﷺ قد كان يعزّس فيه ويصلي»<sup>(٣)</sup>.

وفي الطريق بين مكة والمدينة يوجد (مسجد الغدير)، وهو الموضع الذي أقام فيه رسول الله في غدير خم، ونصب فيه علياً ﷺ للإمامة والولاية.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: «سألت أبا إبراهيم ﷺ عن الصلاة في مسجد غدير خم بالنهار وأنا مسافر، فقال: صلّ فيه فإن فيه فضلاً، وقد كان أبي يأمر بذلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) آل عمران: ٦٦.

(٢) مفاتيح الجنان: ٣٣٤ - ٣٣٥، ركتب الحج والزيرة.

(٣) الكافي ٤: ٥٦٥، ح ١.

(٤) الكافي ٤: ٥٦٦، ح ١.

وهذا العرض للأماكن المقدسة والمساجد في المدينة، وما يأتي بعده من استعراض للأماكن المقدسة الأخرى، يؤكد ما ذكرناه في بداية البحث من أن رؤية أهل البيت إلى الأماكن المقدسة تنطلق من فكرة ضرورة المحافظة على الآثار الإسلامية ذات العلاقة بتاريخ الرسالة ومواقفها المقدسة، وأن هذه المواقف تكسب أماكنها ومواقعها قدسية خاصة يتعبد فيها الله تعالى شكراً له وتقديساً لأمره ونهيه.

#### ٤ - الكوفة ومساجدها

للکوفة في نظر أهل البيت عليهم السلام منزلة خاصة، سواء في البعد التاريخي، وارتباطها بالرسالات الإلهية والأنبياء السابقين، أم في البعد السياسي وموقفها الموالي لأهل البيت عليهم السلام، أم في البعد الثقافي ونورها في حمل رسالة وثقافة أهل البيت عليهم السلام، أم في بعدها المستقبلي والأنوار التي يمكن أن تقوم بها حتى ظهور مهدي آل البيت عليهم السلام.

وقد وردت روايات كثيرة تبلغ حد الاستفاضة - إن لم نقل للتواتر - عن أهل البيت تؤكد هذه المنزلة الخاصة لها إجمالاً، وبقطع النظر عن بعض التفاصيل التي لا يمكن إثباتها بالطرق العلمية.

ويؤكد هذه الحقائق التي رواها الرواة عن أهل البيت عليهم السلام نتائج بعض الدراسات العلمية (الآثارية)، وكذلك بعض النصوص القديمة الأصلية للمكتب الدينية كالتوراة والزيور<sup>(١)</sup>.

فعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قلت له: أي البقاع

(١) هناك بعض الدراسات قام بها بعض الأخوة في هذا المجال قد يوفق لنشرها في المستقبل.

أفضل بعد حرم الله وحرم رسوله؟ قال: الكوفة يا أبا بكر، هي الزكية الظاهرة، فيها قبور النبيين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصالحين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه، وفيها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين»<sup>(١)</sup>.

وعن سليم مولى طربال وغيره قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: نفقة درهم بالكوفة تحسب بمائة درهم فيما سواها، وركعتان فيها تحسب بمائة ركعة»<sup>(٢)</sup>.

وعن عاصم بن عبد الواحد المدني قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مكة حرم الله، والمدينة حرم محمد عليه السلام، والكوفة حرم علي بن أبي طالب عليه السلام. إن علياً حرم من الكوفة ما حرم إبراهيم من مكة وما حرم محمد عليه السلام من المدينة»<sup>(٣)</sup>.

وعن إسحاق بن يزداد قال: «أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إني قد ضريت على كل شيء لي ذهباً وفضة وبعث ضياعي فقلت: أنزل مكة؟ فقال: لا تفعل فإن أهل مكة يكفرون بالله جهرة، فقلت: ففي حرم رسول الله؟ قال: هم شر منهم، قلت: فأين أنزل؟ قال: عليك بالعراق للكوفة؛ فإن البركة منها علي اثني عشر ميلاً هكذا وهكذا، وإلى جانبها قبر ما أتاه مكروب قط ولا ملهوف إلا فرج الله عنه»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٢٨٢، ج ٢.

(٢) كامل الزيارات: ٧٠، ج ٢.

(٣) أمالي الطوسي: ٦٧٢، ج ٢٣.

(٤) كامل الزيارات: ٦١٥، ج ٢، وقد يكون المنظور في هذه الأرواح والنواهي الإرشادية الزمان الذي صدرت فيه هذه الرواية، ولكن الرواية تدل في الوقت نفسه على خصوصية الكوفة ثابتة كما هو واضح. منه قدس سره.



وعن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعت يقول: للكوفة روضة من رياض الجنة، فيها قبر نوح وإبراهيم عليه السلام، وقبر ثلاثمائة نبي وسبعين نبياً وستمائة وصي، وقبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

إلى جانب هذه الأبعاد نجد مجموعة من الأماكن المقدسة في الكوفة تزيدها أهمية وفضلاً وقسية.

### ١ - المسجد الأعظم في الكوفة

ويأتي المسجد الأعظم في الكوفة في مقدمة هذه الأماكن المقدسة؛ إذ ورثت في قدسيته وفضل الصلاة والعبادة فيه روايات كثيرة عن أهل البيت عليه السلام نذكر بعضها.

فقد روى الكليني في الكافي، والصدوق في الأمالي، والبرقي في المحاسن، والشيخ الطوسي في التهذيب بسند عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لي: يا هارون بن خارجة، كم بيتك وبين مسجد الكوفة، يكون ميلاً؟ قلت: لا، قال: فتصلي فيه الصلوات كلها؟ قلت: لا، قال: أما لو كنت بحضرته لرجوت ألا تفوتني فيه صلاة، وتدري ما فضل ذلك الموضع؟ ما من عبد صالح ولا نبي إلا وقد صلى في مسجد كوفان، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسرى الله به قال له جبرئيل: لتدري أين أنت يا رسول الله الساعة؟ أنت مقبل مسجد كوفان. قال: فاستأن لي ربي حتى آتني فأصلي فيه ركعتين، فاستأن الله عز وجل فاذن له، وإن ميمنته لروضة من

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٤٠٤، ح ٦١.

رياض الجنة، وإنَّ وسطه لروضة من رياض الجنة، وإنَّ مؤخره لروضة من رياض الجنة، وإنَّ الصلاة المكتوبة فيه لتعدل ألف صلاة، وإنَّ النافلة فيه لتعدل خمسمائة صلاة، وإنَّ الجلوس فيه بغير تلاوة ولا نكر لعبادة، ولو علم الناس ما فيه لأتوه ولو حبواً»<sup>(١)</sup>.

كما روى الشيخ العلوسي في التهذيب والصنوق في من لا يحضره الفقيه عن علي بن مهزيار بإسناده له قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: حد مسجد الكوفة آخر السراطين خطه آدم، ولنا أكره أن أدخله راكباً، قال: قلت: فمن غيره عن خطته؟ قال: أما أول ذلك فالطوفان في زمان نوح عليه السلام، ثم غيره أصحاب كسرى والنعمان، ثم غيره زياد بن أبي سفيان لعنة الله عليه»<sup>(٢)</sup>.

وعن نجم بن حطيم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدوا له الزاد والرواحل من مكان بعيد؛ إنَّ صلاة فريضة فيه تعدل حجة، وصلاة نافلة تعدل عمرة»<sup>(٣)</sup>.

كما روى الصنوق في الفقيه بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لا تشدَّ الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة»<sup>(٤)</sup>.

وعن الأصمعي بن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يا أهل الكوفة، لقد حباكم الله عزَّ وجل بما لم يحب به أحدًا، من فضل مصلاكم بيت آدم وبيت نوح وبيت إدريس، ومصلى إبراهيم الخليل، ومصلى أخي القحضر

(١) إكليلي ٣: ٤٩٠، ج ١.

(٢) تهذيب الأحكام ٣: ٢٥٥، ج ٢٤.

(٣) قمعار: ٧، ج ١.

(٤) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣١، ج ٦٩٦.

ومصلّي، وإنّ مسجدكم هذا لأحد المسجدين الأربعة التي اختارها الله عزّ وجل لأهلها، وكأنّي به قد أتى به يوم القيامة في نوبين أبيضين يتشبه بالمحرم ويشفع لأهله وللمن يصلّي فيه فلا ترد شفاعة، ولا تذهب الأيام والليالي حتى ينصب الحجر الأسود فيه، وليأتين عليه زمان يكون مصلّي المهدي من ولدي، ومصلّي كل مؤمن، ولا يبقى على الأرض مؤمن إلّا كان به لوحن قلبه إليه، فلا تهجروه وتفرّجوا إلى الله عزّ وجل بالصلاة فيه، وارغبوا إليه في قضاء حاجتكم، فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لاتوه من أقطار الأرض ونحو حبوّاً على الثلج»<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في بعض الروايات ترجيحه على المسجد الأقصى في الفضل والثواب.

فعن محمد بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فردّ عليه، فقال: جعلت فداك إنّي أردت للمسجد الأقصى فأردت أن أسلم عليك وأودّعك، فقال له وأيّ شيء أردت بذلك؟ قال: الفضل جعلت فداك، قال: فبع رحلتك وكلّ زانك وصلّ في هذا المسجد؛ فإنّ الصلاة المكتوبة فيه حجة مبرورة، والنافلة عمرة مبرورة والبركة منه على اثني عشر ميلاً يمينه يمن ويساره مكر، وفي وسطه عين من دهن وعين من لبن وعين من ماء شراب للمؤمنين، وعين من ماء طاهر للمؤمنين، منه سارت سفينة نوح، وكان فيه (نسر) و(يغوث) و(يعوق)<sup>(٢)</sup>، وصلّي فيه سبعون

(١) وسائل الشريعة ٣: ٥٢٦، ح ١٨.

(٢) انضمام إشار إليها القرآن الكريم في سورة نوح آية ٢٢ ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَكَا وَلَا يَتُوكَ وَيَتُوكَ وَيَتُوكَ وَيَتُوكَ﴾.

نبياً وسبعون وصياً أنا أحدهم - وقال بيده في صدره - ما دعا فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج إلا أجابه الله وفرج عنه كربته»<sup>(١)</sup>.

وفي مسجد الكوفة مقامات الأنبياء وأئمة أهل البيت كما أشير إلى ذلك في الروايات، ففيها أن من معالم المسجد مقام أمير المؤمنين عليه السلام عند الأستوانة السابعة، ومقام الحسن عليه السلام عند الأستوانة الخامسة، ومقام إبراهيم عند الأستوانة الثالثة، ومقام جبرائيل عند الخامسة مما يلي باب كُنْدَة<sup>(٢)</sup>.

وتوجد لمسجد الكوفة أعمال وصلوات وأدعية ومناجاة وردت في كتب الدعاء والزيارة منها صلاة الحاجة بركعتين يقرأ في كل منها بالحمد والمعوذتين والإخلاص والكافرون والنصر والقدر، ثم يسبح تسبيح الزهراء بعد التسليم ويسأل الله تعالى حاجته فإنها تقضى إن شاء الله ويستجاب دعائه فيها<sup>(٣)</sup>.

### ب - قبر الإمام علي عليه السلام ووادي السلام

وفي الكوفة قبر الإمام علي عليه السلام الذي يوجد في (ظهر الكوفة) عند الربوات البيض، وتسمى هذه المنطقة (بالغري) والنجف، وقد كانت خالية من الزرع وينفخ فيها أموات الكوفة بعد ظهور قبر الإمام علي عليه السلام، وقد تأسست مدينة النجف الأشرف حول قبره حتى أصبحت هي مركز المحافظة والمدينة الأم، وأصبحت مدينة الكوفة (قضاء) تابعة لها.

(١) الكافي ٢: ٤٩١، ج ٢.

(٢) وسائل الشيعية ٣: ٥٣٠، باب استحباب الصلاة عند الأستوانة السابعة والخامسة.

(٣) انظر وسائل الشيعية ٣: ٥٣٢، ومفاتيح الجنان: ٢٨٦ - ٤٠٦ حيث يذكر تفصيل أعمال مسجد الكوفة.

وقد تحدثنا سابقاً<sup>(١)</sup> عن زيارته وقضيلها وأشرنا في ضمن هذا الحديث إلى فضل هذا المكان المقدس.

فعن نصير الدين الطوسي، عن محمد بن محمد بن الفضل ابن بنت دلود الرقي قال: «قال الصادق عليه السلام: أربع بقاع ضجّت إلى الله أيام الطوفان: البيت المعمور فرفعه الله، والفري وكربلا وطوس»<sup>(٢)</sup>.

وعن محمد بن علي بن الحسن العلوي في كتاب فضل الكوفة بإسناد رفعه إلى عتبة بن علقمة أبي الجنوب قال: «اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة في الكوفة، وفي حديث ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة من الذهبين بأربعين ألف درهم، وأشهد على شرائه. قال: فقيل له يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس ينبت حظاً؟ فقال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كوفان كوفان يردّ أولها على آخرها، يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فاشتريت أن يحشروا من ملكي»<sup>(٣)</sup>.

وعن بدر بن خليل الاسدي، عن رجل من أهل الشام قال: «قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أوّل بقعة عبّد الله عليها ظهر الكوفة، لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لأنهم سجدوا على ظهر الكوفة»<sup>(٤)</sup>.

وعن حبة العرنى قال: «خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف (بوادي السلام) كأنه مخاطب لأقوام، فقامت بقيامه حتى أعيتت، ثم جلست حتى

(١) في بحث الشعائر: قسم الزيارات.

(٢) فرحة الفندي: ٩٩، ج ٤٨.

(٣) بحار الأنوار: ٩٧، ٢٣٦، ج ٢١.

(٤) تفسير العياشي: ١، ٢٤، ج ١٨.

مللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت رداي، فقلت: يا أمير المؤمنين، إني قد اشتقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبة، إنَّه هو إلا محابثة مؤمن أو مؤنسته. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وإنهم لكذلك؟ قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقةً محتبين يتحاثنون، فقلت: أجسام أم أرواح؟ فقال: أرواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقني بوادي السلام، وإنها لبقعة من جنة عدن<sup>(١)</sup>.

وعن صفوان الجمال أنه قال: «خرجت مع الصادق عليه السلام من المدينة أريد الكوفة، فلما جزنا بالحيرة قال: يا صفوان، قلت: لبيك يا بن رسول الله، قال: تخرج المضايا إلى القائم وحدك للطريق إلى الغري، قال صفوان: فلما صرنا إلى قائم الغري أخرج رشاء معه دقيقاً قد عمل من الكنيار، ثم أبعده من القائم مغزياً خطأ كثيرة، ثم مد ذلك الرشاء حتى إذا انتهى إلى آخره وقف، ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخرج منها كفاً من تراب فشمه ملياً، ثم أقبل يمشي حتى وقف على موضع القبر الآن، ثم ضرب بيده المباركة إلى التربة فقبض منها قبضة ثم شمها، ثم شفق شهقة حتى ظننت أنه فارق الدنيا، فلما أفاق قال: ههنا والله مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، ثم خط تخطيطاً فقلت: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ما منع الأبرار من أهل البيت من إظهار مشهده؟ قال: حضراً من بني مروان والخوارج أن تحتال في آذاه، قال صفوان: فسألت الصادق أبا عبد الله عليه السلام: كيف تزور أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: يا صفوان، إذا أردت ذلك فاغتسل والبس ثوبين طاهرين غسيلين أو جديدين ونل شيئاً من الطيب، فإن لم تنل أجرك، فإذا

(١) الكليني ٢: ٢٤٢، ج ١.

خرجت من منزلك فقل: اللهم إني خرجت من منزلي، وثمم الزيارة وتركتها لطولها»<sup>(١)</sup>.

### ج — مسجد السهلة

ومن جملة الأماكن المقدسة في الكوفة مسجد السهلة؛ إذ ورد في فضله عن الإمام الصادق عليه السلام أنه «ما من مكروب يأتي مسجد السهلة فيصلّي فيه ركعتين بين العشاءين، ويدعو الله تعالى إلّا وفرج الله كربته»<sup>(٢)</sup>. كما أنّ الروايات تشير إلى أنه من المساجد التي صلى فيها الأنبياء والصالحون منذ إبراهيم عليه السلام، بل قبله.

فقد روى الكليني عن عبد الله بن أبان قال: «دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فسلّمنا: أفیکم أحد عنده علم عني زيد بن علي؟ فقال رجل من القوم: أنا عندي علم من علم عمك، كنّا عنده ذات ليلة في دار معاوية بن إسحاق الأنصاري إذ قال: انطلقوا بنا نصلي في مسجد السهلة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وفعل؟ فقال: لا، جاء أمر فشغلنا عن الذهاب، فقال: أما والله لو أعاذ الله به حولاً لأعاده، أما علمت أنّه موضع بيت إدريس النبي عليه السلام والذي كان يخط فيه، ومنه سار إبراهيم إلى اليمن بالعمالة، ومنه سار داود إلى جالوت، وإنّ فيه لصخرة خضراء فيها مثال كل نبي، ومن تحت تلك للصخرة أخذت طينة كل نبي، وإنّه لمناخ الراكب. قيل: ومن الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك عن صالح بن أبي الأسود قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: وذكر مسجد السهلة فقال: أما إنّه منزل صاحبنا إذا قام بأمله»<sup>(٤)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٢٣٥، ح ٦.

(٢) تهذيب الأحكام ٦: ٢٨، ح ٢٦.

(٣) الكافي ٣: ٤٩٤، ح ١.

(٤) الكافي ٣: ٤٩٥، ح ٢.

وعن عبد الرحمن بن سعيد الخزّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بالكوفة مسجد يقال له مسجد السهلة، لو أنّ عمّي زيداً أتاه فصلّى فيه واستجار الله لأجاره عشرين سنة. فيه مناخ الراكب، وبيت إدريس النّبّي، وما أتاه مكروب قط فصلّى فيه بين العشاءين ودعا الله إلّا فرج الله كربته»<sup>(١)</sup>.

## ٥ - حرم الإمام الحسين

لقد تحدثنا في مبحث الزيارات عن الثواب العظيم والأجر الجزيل، والفضل الكبير لزيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي تحظى بأهمية خاصة ومتميزة من بين الزيارات؛ باعتبار خصوصية واقعة كربلاء ومداليلها الروحية والثقافية والسياسية، الفردية والجماعية.

يضاف إلى ذلك أنّ الحرم الحسيني (الحائر الحسيني) يختص بفضل كبير أيضاً يكاد ألا يضاهيه فضل آخر باعتبار الخصوصيات المشار إليها آنفاً.

وقد جاء في تحديد الحائر الحسيني وفضله روايات، منها ما رواه الكليني والشيخ ابن قولويه والشيخ الطوسي بلسانيد معتبرة عن الصادق عليه السلام: «إنّ لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معروفة من عرفها واستجار بها لأجير، قلت: فصف لي موضعها جعلت فداك، قال: امسح من موضع قبره لليوم خمسة وعشرين ذراعاً من قدمه، وخمسة وعشرين ذراعاً من رأسه وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجله، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وموضع قبره من يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج تعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك في السماء ولا في الأرض إلّا وهم

(١) الكافي ٢: ٤٩٥، ج ٢.



يسألون الله في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج يفرج وفوج يعرج»<sup>(١)</sup>.

وعن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «خلق الله كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقُدّسها وبارك عليها، فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدّسة مباركة ولا تزال كذلك، ويجعلها الله لأفضل في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

وعن محمد بن سنان، عن حمّته، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام يسير بالناس، حتى إذا كان من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين تقدّم بين أيبيهم، حتى إذا صار بمصارع الشهداء قال: قبض قبيها ماننا نبي، وماننا وصي، وماننا سبط شهداء باتباعهم، فطاف بها على بخلته خارجاً رجله من الركاب ولتأش يقول: مناخ ركاب ومصارع شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من كان بعدهم»<sup>(٣)</sup>.

### التربة الحسينية

وقد جعل الله سبحانه وتعالى لهذا الحرم الشريف والبقعة المباركة آثاراً خارجية وضعية مضافاً إلى قدسيّتها والثواب المترتب عليها، ومنها تحقق الشفاء بتناول تربته الشريفة؛ ولذا أفتى الفقهاء بجواز تناول القدر القليل من هذه التربة للاستشفاء بالرغم من فتواهم بحرمة أكل الطين<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب الأحكام ٦: ٧١، ج ٢.

(٢) كامل الزيارات: ٤٥٤، ج ١٤.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٧٣، ج ٧.

(٤) وقد ورد في الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتبركوا به؛ فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي عليه السلام، فإن الله عز وجل جعلها شفاء لشيئتنا وأوليائنا وسائل الشيعة ١٠: ٤٩٤.

وقد وردت روايات عديدة في استحباب الاستشفاء بترابته نذكر بعضها.

روى الكليني، عن يونس بن الربيع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن عند رأس الحسين عليه السلام لترية حمراء فيها شفاء من كل داء إلا السام»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ياخذ الإنسان من طين قبر الحسين عليه السلام فينتفع به ويأخذ غيره ولا ينتفع به، فقال: لا والله للذي لا إله إلا هو لا يأخذه أحد وهو يرى أن الله يدفعه به إلا نفعه به»<sup>(٢)</sup>.

وعن الطوسي، عن زيد الشحام، عن الصادق عليه السلام قال: «إن الله جعل تربة جدي الحسين شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها وليضعها على عينه، وليمرها على سائر جسده، وليقل: اللهم بحق هذه التربة، وبحق من حل بها وثوى فيها وبحق أبيه وأمه وأخيه والأئمة من ولده، وبحق الملائكة الحافين به إلا جعلتها شفاءً من كل داء، وبرءاً من كل مرض، ونجاةً من كل لفة، وحرزاً مما اخاف واحذر، ثم يستعملها. قال أبو أسامة: فإني استعملتها من دمري الأطول كما قال ووصف أبو عبد الله عليه السلام، فما رأيت بحمد الله مكروهاً»<sup>(٣)</sup>.

كما يستحب اتخاذ المسيحة من تربته الشريفة حيث يكون من آثارها أن يكتب له التسبيح حتى لو غفل عنه.

فمن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري قال: «كتبت إلى الفقيه أسأله: هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب وقرأ التوقيع ومنه

(١) الكافي ٤: ٥٨٨، ح ٤.

(٢) الكافي ٤: ٥٨٨، ح ٢.

(٣) لمالي الطوسي: ٣١٨، ح ٩٢.

نسخت: تسبّح به، فما في شيء من السبّح أفضل منه، ومن فضله أن المسبّح ينسى التسبيح ويدير السبحة فيكتب له ذلك التسبيح»<sup>(١)</sup>.

### استجابة الدعاء تحت قبته

ومن هذه الآثار استجابة الدعاء تحت قبته الشريفة.

فعن أحمد بن محمد قال: «روي أن الله عزّ وجلّ الحسين عليه السلام من قتله أربع خصال: جعل الشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبته، والأئمة من نريته، وآل تعد أيام زائريه من أعمارهم»<sup>(٢)</sup>.

وعن شعيب المقرئوف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: من أتى قبر الحسين عليه السلام ما له من الأجر والثواب؟ قال: يا شعيب، ما صلّى عنده أحد ودعا دعوة إلا استجيب عاجلة وأجلة، قلت: زني، قال: ليس ما يقال لزائر الحسين عليه السلام: قد غفر لك فاستأنف اليوم عملاً جديداً»<sup>(٣)</sup>.

وقد ورد - أيضاً - في ثواب الصلاة والعبادة عند قبر الحسين عليه السلام روايات عديدة نذكر بعضها.

فعن جعفر بن محمد بن إبراهيم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال لرجل: يا فلان، ما يمنعك إذا عرضت لك حاجة أن تأتي قبر الحسين عليه السلام فتصلّي عنده أربع ركعات، ثم تسأل حاجتك، فإن الصلاة المفروضة عنده تعدل حجة، والصلاة النافلة عنده تعدل عمرة»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٤٢٠، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ١٠: ٤٢١، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة ١٠: ٤٢٢، ح ٤.

(٤) كامل الزيارات: ٤٣٣، ح ١.

وعن أبي النمير قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: إِنَّ وَلايَتَنَا عَرْضَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا قَبُولَ أَهْلِ الْكُوفَةِ شَيْءٌ، وَذَلِكَ أَنَّ قَبْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِيهِ، وَإِنْ إِلَى لِرُقَّتِهِ لِقَبْرِ آخَرٍ، يَعْنِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَمَا مِنْ آتٍ لَتَاهُ يَصَلِّي عَنْدهُ رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعاً ثُمَّ سَأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ إِلَّا قَضَاهَا لَهُ، وَفِيهِ لِيَحْفَهُ كُلُّ يَوْمٍ مِائَةَ مَلَكٍ»<sup>(١)</sup>.

#### التخيير بين القصر والتمام:

وقد ورد في بعض الروايات أَنَّ الحائِثَ الحِسيني هو أحد الأماكن الأربعة التي يُخَيَّرُ فيها المسافر بين القصر والتمام وهي (مكة أو المسجد الحرام)، و (المدينة أو المسجد النبوي) و (مسجد الكوفة) و (الحائِثَ الحِسيني)، واقتضى بذلك للكثير من العلماء والمجتهدين<sup>(٢)</sup>.

فقد روى حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ مَخُزُونٌ عِلْمَ اللَّهِ الْإِتِمَامَ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ حَرَّمَ اللَّهُ، وَحَرَّمَ رَسُولُهُ عليه السلام، وَحَرَّمَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَحَرَّمَ الْحُسَيْنَ عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك روى زياد القندي قال: «قال لي أبو الحسن عليه السلام: أَحَبُّ لَكَ مَا أَحَبُّ لِنَفْسِي وَأَكْرَهُ لَكَ مَا أَكْرَهُ لِنَفْسِي، إِنْ أَمَّ الصَّلَاةَ فِي الْحَرَمَيْنِ وَبِالْكُوفَةِ وَعِنْدَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ١٠: ٤٠٦، ج ٤.

(٢) منهاج الصالحين للإمام الحكيم ١: ٣٦١ المسألة ٧١، ط: دار المعارف ١٣٩٦، ومنهاج الصالحين للإمام الخوئي ١: ٢٥٥ المسألة ٩٥٢، للطبعة الثامنة والعشرون.

(٣) الاستبصار ٢: ٣٢٤، ج ١.

(٤) المزار: ١٣٧، ج ٢.

## ٦ - مساجد وأماكن أخرى

### أ - بيت المقدس والمسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو المكان الذي أُسرى إليه رسول الله ﷺ وأشار إليه القرآن الكريم في قوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِرَبِّنَا حَوْلَهُ...﴾ (١).

كما يذكر في بعض الروايات أنَّ معراج رسول الله إلى السماء كان من المسجد الأقصى (٢)، وفيه صخرة معروفة بأنها هي موضع المعراج.

وقد وردت في فضله روايات معروفة يكاد يجمع عليها جميع المسلمين، وهي رواية لا تشد الرحال إلا إلى مساجد ثلاث: المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى.

وقد جاءت الروايات عن أهل البيت ﷺ تؤكد هذا الفضل، فقد روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر ﷺ قال: «المساجد الأربعة المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة. يا أبا حمزة، الفريضة فيها تعدل حجة، والناقلة فيها تعدل عمرة» (٣).

وكذلك روى السكوني عن جعفر، عن أبيه، عن علي ﷺ، قال: «صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة، وصلاة في المسجد الأعظم مائة صلاة، وصلاة في مسجد ثقيبية خمس وعشرون صلاة، وصلاة في مسجد الشوق اثنتا عشرة صلاة، وصلاة الرجل في بيته وحده صلاة واحدة» (٤).

(١) الإسراء: ١.

(٢) نور الثقلين ٢: ١٠٢، ح ١٩، من تفسير علي بن إبراهيم.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٢٩، ح ٦٨٤.

(٤) وسائل الشيعة ٣: ٥٥١، ح ٢.

ب — مسجد الخيف

ومن الأماكن المقدسة المعروفة بين المسلمين مسجد الخيف بمنى، وهو المسجد الأعظم فيها؛ وقد وردت في فضله أحاديث عن أهل البيت كما وردت أحاديث أخرى في فضل العبادة فيه وفي كفيته أيضاً.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «صلى في مسجد الخيف وهو مسجد منى، وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهد عبد المنيعة الذي أتى بالهجرة، وفوقها إلى القبلة نحواً من ثلاثين ذراعاً وعن يمينها وعن يسارها وخلفها نحواً من ذلك، فقال: فتحرّ ذلك فإن استطعت أن يكون مصلاك فيه فافعل؛ فإنه قد صلى فيه ألف نبي، وإنما سمي الخيف لأنه مرتفع عن الوادي، وما ارتفع عنه يسمى خيفاً»<sup>(١)</sup>.

كما ورد في الصلاة والعبادة فيه ما رواه الصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «من صَلَّى في مسجد الخيف بمئتي ركعة قبل أن يخرج منه عدلت عبادة سبعين عاماً، ومن سَبَّحَ الله فيه مائة تسبيحة كتب له كاجر عتق رقبة، ومن هَلَّلَ الله فيه مائة تهليله عدلت أجر إحياء نسمة، ومن حمد الله فيه مائة تحميدة عدلت أجر خراج العراقين يتصدق به في سبيل الله عزَّ وجلَّ»<sup>(٢)</sup>.

كما روى الكليني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صل ست ركعات في مسجد  
منى في أصل الصومعة»<sup>(٢)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٥: ٥٢٤، ح ١.

(٢) الكافي ١: ٥٦٩، ح ٤.

(٣) الكافي، ٤: ١٩٠، ج ٦.

## ج — مسجد براءنا

مسجد براءنا من المساجد المعروفة في بغداد، ويقع في الطريق بينها وبين الكاظمية، وقد تحدث عنه الحموي في معجم البلدان، ووردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات في فضله، وقد تناول الحديث عنه وعن فضله بشيء من التفصيل الشيخ القمي في كتابه مفاتيح الجنان<sup>(١)</sup>، ونورد هنا رواية رواها الصدوق في من لا يحضره الفقيه والشيخ في التهذيب عن الصحابي المعروف جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «صلى بنا علي عليه السلام ببراءنا بعد رجوعه من قتال الشراة ونحن زهاء عن مائة ألف رجل، فنزل نصراني من صومعته فقال: من عميد هذا الجيش؟ فقلنا: هذا، فأقبل إليه فسلم عليه ثم فقال: يا سيدي أنت نبي؟ فقال: لا، الفجري سيدي قد مات، قال: فأنت وصي نبي؟ قال: نعم، ثم قال له: اجلس كيف سألت عن هذا؟ قال: أما ينيت هذه الصومعة من أجل هذا الموضع وهو براءنا، وقرأت في الكتب المنزلة أنه لا يصلي في هذا الموضع بهذا الجمع إلا نبي أو وصي نبي، وقد جئت أسلم فأسلم وخرج معنا إلى الكوفة، فقال له علي عليه السلام: فمن صلى ههنا؟ قال: صلى عيسى بن مريم وأمه، فقال له علي عليه السلام: فما أخبرك من صلى ههنا؟ قال: نعم، قال: للخليل عليه السلام»،<sup>(٢)</sup>.

## د — مشهد الإمام الرضا عليه السلام

لقد وردت روايات مستفيضة في فضل وثواب وأهمية زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في أرض خراسان، أشرنا إليها في بحث الزيارات. يضاف إلى ذلك أنه وردت روايات وتصوص تؤكد قدسية هذا المشهد الشريف مضافاً إلى ثواب زيارة مرقده.

(١) مفاتيح الجنان: ٤٨٨ - ٤٩٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٢٢، ح ٦٩٨.

ومن هذه الروايات - ما سبق - عن الصادق عليه السلام قال: «أربع بقاع ضجت إلى الله من الخرق أيام للطوفان: البيت المعمور فرفعه الله إليه والغري، وكريلاء، وطوس»<sup>(١)</sup>.

كما روى الشيخ الصدوق في لفتقيه والمجالس وعيون أخبار الرضا بسند معتبر عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إن بخراسان لبقة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة، ولا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور، فقبل له: يا ابن رسول الله وأبي بقعة هذه؟ قال: هي بارض طوس وهي والله روضة من رياض الجنة، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله، وكتب الله تعالى له ثواب ألف حجة مبرورة، وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وأبائي شفعاء يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وعن الصقر بن لطف قال: «سمعت سيدي علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: من كانت له إلى الله حاجة فليزر قبر جدّي الرضا عليه السلام بطوس وهو علي غسل، وليصلّ عند رأسه ركعتين، وليسال الله تعالى حاجته في قنوته، فإنه يستجيب له ما لم يسأل في مائمه أو قطيعة رحم. وإن موضع قبره لبقة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمن إلا اعتقه الله تعالى من النار، وأحله دار القرار»<sup>(٣)</sup>.

هـ - قم وهجر فاطمة بنت موسى عليهما السلام

لبقة قم في نظر أهل البيت عليهم السلام أهمية خاصة وتور مهم في تاريخ وحياة

(١) وسائل الشريعة ١٠: ٤٤٦، ج ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٢٨٦، ج ٥.

(٣) عيون أخبار الرضا ١: ٢٩٢، ج ٣٢.



الجماعة الصالحة، ويبدو أنها في بُعدها الثقافي تأتي في المرتبة الثانية بعد الكوفة، وقد قُرِنَ اسمها في كثير من الروايات باسم للكوفة<sup>(١)</sup>.

وتعتبر من الناحية العلمية امتداداً لمدرسة الكوفة والموقع الثاني بعدها، حيث هاجر إليها الأشعريون من الكوفة، وتوافد عليها علماء الجماعة الصالحة في مختلف أنوار تاريخهم، وقد تنبأت بعض النصوص أنها سوف يكون لها الدور الأول في حياة الجماعة الصالحة في المستقبل<sup>(٢)</sup>.

وقد تحققت هذه النبوءة بعد الظروف القاسية التي مرت بها مدرسة (لنجف) في هذا العصر، ويعد هذا الفضل الكبير الذي أنعم الله به على إيران

(١) عن محمد بن سهل بن اليسع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا فقد الأمن من العباد وركب الناس على الخيول واعتزلوا النساء والطيب فاهرب الهرب عن جوارهم. فقلت: جعلت فداك، إلى أين؟ قال: إلى الكوفة ونواحيها، أو إلى قم وحواليها؛ فإن البلاء مدفوع عنهما بحر الأنوار ٥٧: ٢١٤، ج ٢٩.

وعن الصادق عليه السلام قال: «أهل خراسان أعلامنا، وأهل قم أنصارتنا، وأهل الكوفة أوتادنا، وأهل هذا السواد منا ونحن منهم بحر الأنوار ٥٧: ٢١٤، ج ٣٠.

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «قم عش آل محمد ومأوى شيعتهم، ولكن سيهلك جماعة من شبليهم بمصيبة آبائهم والاستخفاف والسخرية بكبرائهم ومشايخهم، ومع ذلك يدفع الله عنهم شر الأعادي وكل سوء عن بحر الأنوار ٥٧: ٢١٤، ج ٣١.

(٢) جاء في تاريخ قم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه ذكر كوفة وقال: «ستخلو كوفة من المؤمنين ويكثر عنها العلم كما تكثر الحية في جحرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصبح معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهل قائمنا مقام الحجة، ولولا ذلك لسلبت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجة، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب، فيتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم، ثم يظهر القائم عليه السلام ويمسير سبباً لمنقمة الله وسخطه على العباد؛ لأن الله لا ينتقم من العبد إلا بعد إنكارهم حجة، بحر الأنوار ٥٧: ٢١٣، ج ٢٢.

بقيام دولة الإسلام فيها، وانطلاق العمل البتاء والإنجاز العظيم من مدينة قم  
وبقيادة عالم رباني هو الإمام الخميني (قدس سره)، ومشاركة الحوزة العلمية  
في قم بهذا الدور والعمل بشكل فعال.

وقد أدى ذلك إلى حدوث تطور كبير ومهم في حوزة قم ونورها ومكانتها.  
وقد كان لقبر السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام نور كبير في  
تطور ونمو الحالة العلمية والدينية، كما ورد في زيارتها من روايات عن الإمام  
الرضا عليه السلام، مضافاً إلى أنها كانت مأوى طبقة مهمة وعالية من الرواة في بعض  
الأنوار. وقد أشرنا في الزيارات إلى استحباب زيارة هذا القبر للشریف، وأنه من  
أهم المراقد المعروفة لأولاد الأئمة عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

(١) فقد روى الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال: ٩٩ عن سعد بن سعد، عن الرضا عليه السلام أنه  
قال: «من زارها لله الجنة»، ويسند معتبر آخر عن الإمام الجواد عليه السلام قال: «من زار قبر  
عمتي بقم لله الجنة». ونقل عن المجلسي أن الرضا عليه السلام قال لسعد الأشعري القمي:  
«يا سعد، عندكم لنا قبر، قلت: جعلت فداك، قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام؟ قال:  
بلى، من زارها مارفاً بحقها لله الجنة....»



## **الباب السابع**

**نظام الشعائر والعبادات**

### **القسم الثاني**

**نظام العبادات**

□ الفصل الأول: العبادات المؤقتة

□ الفصل الثاني: العبادات غير المؤقتة



## مقدمة

في البداية يحسن أن نسجل عدة ملاحظات مهمة ذات علاقة ببحث نظام العبادات، وإن كان بعضها له علاقة بالأبحاث الأخرى أيضاً.

الأولى: من الملاحظ أن دائرة الأعمال المستحبة - وخصوصاً في العبادات - واسعة جداً، وأن بعض هذه المستحبات والسنن لم يثبت بطريق معتبر؛ ولذا فلا يمكن إثبات استحبابها ومشروعيتها من قبل الشارع المقدس، فلا بد من الإتيان بها حينئذ برجاء أن تكون مطلوبة من الشارع والذي يعبر عنه للفقهاء به (رجاء للمطلوبة).

وقد وردت عدة روايات صحيحة السند تقول: إن المؤمن إذا بلغه عن رسول الله ثواب على عمل فجاء به رجاء نيل هذا الثواب، كتب الله تعالى له هذا الثواب وإن كان الأمر في الواقع ليس كما بلغه، ويسمى مفاد هذه الروايات (بقاعدة التسامح في أدلة السنن).

وبالرغم من ذلك فإني قد أشير - حسب فرصة البحث - إلى السنن والمستحبات التي وردت فيها رواية معتبرة تؤكد استحبابها ومشروعيتها.

كما أنني أحاول أن أنتخب العصايق من هذه السنن والمستحبات التي تنسجم بشكل عام مع الخط الثابت من السند الوارد عن طريق أهل البيت (عليه السلام).

فتكون مستحبة باعتبارها مصداقاً للخط العام ولأن لم يرد دليل على استحبابها بعنوانها الخاص.

**الثانية:** يلاحظ في المواسم العبادية التنوع والجمع بين أنواع العبادات، مثل الطهارة (الوضوء والغسل) والصلاة والدعاء والذكر والصدقة والصيام ونحوها، وهذا يكشف عن منهج وهدف خالصين بهذه المواسم، وهو أن التكامل الإنساني إنما يمكن أن يتحقق من خلال هذا المزيج من العبادات، وأن الحاجات الروحية والنفسية في الإنسان متنوعة ومتعددة؛ ولذا فلا بد من الاهتمام بهذا التنوع في كل موسم ليتحقق هذا النوع من التكامل، وعدم الاقتصار على لون أو نوع خاص من العبادة.

**الثالثة:** إن المنهاج المكثف للعبادات في المواسم أو في غيرها حتى اليومية قد يوحي بتصور خاطئ، وهو أن الإسلام قد دعا الإنسان إلى أن ينصرف عن أداء مهماته الاجتماعية العامة أو الخاصة إلى ممارسة العبادة، من الصلاة والصيام والدعاء وغيرها من العبادات، ويترتب على ذلك بشكل طبيعي (للهبنة) في الحياة الإنسانية.

ولذا لا بد من الالتفات إلى الأبعاد الاجتماعية التي أكدها الإسلام - والتي أشرنا إليها في أبحاثنا في هذا الكتاب - والتي فضلها وقدمها على اللون العبادة المستحبة، مثل ما ذكرناه في النظام الاقتصادي من أن السعي في كسب المعيشة هو من أفضل العبادات، وأن طلب العلم ساعة يفضل عبادة سبعين سنة، وأن إصلاح ذات البين - الإصلاح في النزاعات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات - أفضل من عامة الصلاة والصيام، وهكذا يقال في الاجتماع بالمؤمنين والوفاء بحقوقهم الاجتماعية إلى غير ذلك مما يؤكد هذا البعد.

وتصبح النظرية الإسلامية في هذا المنهاج المكثف هي فسخ المجال أمام

الإنسان ليحوّل كل أوقاته إلى عبادة لله تعالى، مع إعطائه منهجاً في الأولويات من ناحية والتنوع في ممارسة الطاعات للحصول على التكامل من ناحية ثانية، دون الإخلال بالمعاملة الاجتماعية والحيوية.

### المنهاج العام

عرفنا سابقاً أنّ نظام العبادات يتسم بالشمولية والتنوع باعتبار أهمية العبادة ودورها في حياة الإنسان، حيث إنها تمثل في عموم أبعادها الهدف الأساس من وجود الإنسان وخلقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُنِي﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق جاء منهاج نظام العبادات - الذي وضعه الإسلام وأوضحه وشرحه أهل البيت عليهم السلام - واسعاً وشاملاً سواء من حيث استيعابه للزمان، أم من حيث تعدد أنواع للعبادات وإصنافها.

فأمّا من حيث الزمان فقد جاء هذا المنهاج ضمن خطين رئيسين:

الأول: العبادات المؤقتة بساعات أو أيام أو أي زمان معين، كالعبادات اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية.

الثاني: العبادات غير المؤقتة بزمان معين.

وسوف نتناول كل واحد منهما في فصل من الحديث.

(١) الذاريات: ٥٦.





# الفصل الأول

## العبادات المؤقتة

❑ مقدمة

❑ ١ - العبادات اليومية

❑ ٢ - العبادات الأسبوعية

❑ ٣ - العبادات الشهرية

❑ ٤ - العبادات السنوية



## مقدمة

يمكن تقسيم العبادات المؤقتة إلى أربعة أقسام:

الأول: العبادات اليومية التي يمارسها الإنسان كل يوم.

الثاني: العبادات الأسبوعية التي يؤديها الإنسان كل أسبوع.

الثالث: العبادات الشهرية التي يقوم بها الإنسان كل شهر.

الرابع: العبادات الموسمية أو السنوية التي يؤديها الإنسان في المواسم  
العبادية المخصصة أو في السنة مرة واحدة.

ونلاحظ أنّ هذا المنهاج الذي بينه أهل البيت عليه السلام في استيعاب العبادة لكل  
الأوقات له أصل وجذر في العبادات الواجبة والمستحبة، التي شرعها الإسلام  
في أصل الشريعة وتفرعت عنها المفردات الأخرى.

فالصلاة اليومية ونوافلها، وصلاة الجمعة الأسبوعية، والصوم والحج  
السنوي، وكذلك الصوم المستحب الشهري للأيام الثلاثة تدل على هذا النوع من  
الاستيعاب.

وسوف نلاحظ عند استعراض أنواع العبادة من خلال عناوينها الرئيسية  
وجود هذا التقسيم والاستيعاب للآزمنة، بحيث يصبح واضحاً أنّ الإسلام قد

وضع منهاجاً شاملاً وواسعاً للعبادة يمكنه أن يستوعب جميع الأوقات التي يعيشها الإنسان.

وهذا الاستيعاب في درجة ومستوى منه يكون إلزامياً أو شبه إلزامي، وفي درجة ومستوى آخر يكون مقترحاً أمام الإنسان ليعترك له الفرصة في عبادة ربه، والتكامل من خلالها ضمن خطة حكيمة في التربية والتزكية والتطهير.

وسوف نلاحظ أيضاً عمق ودقة وتكامل هذا المنهاج من خلال رؤية أهل البيت (عليهم السلام)، واهتمامهم ببناء الجماعة الصالحة ضمن نظام العبادات من خلال هذا المنهاج.

وأما من حيث أنواع العبادات فقد اشتمل هذا المنهاج - أيضاً - على مختلف أنواع العبادات، من الصلوات والصيام، والحج بمعناه الشامل (الحج والعمرة والزياره) والجهاد، والدعاء والذكر، وقراءة القرآن، والإنفاق والصلة والإحسان، وطلب العلم، إلى غير ذلك من أنواع العبادات الواجبة والمستحبة.

ونحاول في هذا العرض أن نقصر الحديث على العناوين والمفردات المهمة للبارزة في هذا المنهاج، سواء من حيث الزمان أم أنواع العبادات، ونترك التفصيل للمفردات الأخرى حيث يمكن مراجعتها في الكتب المختصة؛ علماً بأن بعض مفردات العبادة في هذا المنهاج سبق للحديث عنها في الأبحاث والأنظمة السابقة، مثل الزياره، أو الإنفاق، أو طلب العلم، أو العلاقات الاجتماعية (الصلة والإحسان) أو الشعائر والأيام والأماكن المقدسة.

كما أننا سوف نتناول بعض مفردات أنواع العبادات ضمن استعراض الأقسام الأربعة من الخط الأول، ونستعرض أنواع العبادات الرئيسية في الخط الثاني منه.

## الأول: العبادات اليومية

### ١- الصلاة اليومية ورواتها وشؤونها

تجب الصلاة في الشريعة الإسلامية كل يوم خمس مرات في سبع عشرة ركعة، للصبح ركعتان، ولكل من الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، وهذا مما أجمع عليه المسلمون من أهل القبلة، وتقتصر الصلوات الرباعية الثلاث في السفر على تفصيل وشروط يختلف فيها فقهاء المذاهب الإسلامية.

وتمثل هذه الصلاة بخصوصياتها أحد الأركان المهمة التي بُني عليها الإسلام، وتعبير عن وحدة الأمة الإسلامية لاتفاقهم عليها.

كما أنَّ هذه الصلاة هي أفضل العبادات بعد معرفة الله تعالى على الإطلاق - كما دلت على ذلك الروايات - لأنها تعبر عن الصلة والعلاقة بالله تعالى التي لا يجوز أن تنقطع في كل حال، ولعلها لأجل ذلك لا تسقط الصلاة - أيضاً - بأي حال من الأحوال، بل يجب الإتيان بها في الصحة والمرض والأمن والخوف، وبالقدر المستطاع من الكمال حتى لو كان ذلك بالإيماء والإشارة<sup>(١)</sup>.

ومن السنن المستحبة الإتيان بقدر من الركعات قبلها أو بعدها، وتسمى هذه الصلوات والركعات بالرواتب أو النوافل لليومية.

وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنَّ عدد ركعات هذه الرواتب هو ضعف

(١) وقد ورد عن رسول الله ﷺ بطريق معتبرة أنه قال عند موته: «ليس مني من استخف بصلاته ولا يرد عليّ الموحش...».

كما ورد بطريق معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال عند موته: «لا تنال شفاعتنا من استخف بالصلاة» عن وسائل الشيعة ٣: ١٦، ح ٢٠٧.

الصلوات اليومية من حيث عدد الركعات، أي أربع وثلاثون ركعة، ركعتان للفجر قبلها، وثمان ركعات للظهر قبلها، وثمان ركعات للعصر قبلها، وأربع ركعات للمغرب بعدها، وركعتان من جلوس للعشاء بعدها تعدان بركعة واحدة، وثمان ركعات صلاة الليل تؤدي بعد منتصف الليل إلى الفجر، وبعدها الشفع ركعتان والوتر ركعة واحدة<sup>(١)</sup>.

فقد روى الكليني بسند صحيح عن حنان قال: سأل عمرو بن حريث أبا عبد الله عليه السلام وأنا جالس فقال له: جعلت فداك، أخبرني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ثمان ركعات الزوال وأربعاً الأولى، وثمانى بعدها، وأربعاً العصر، وثلاثاً المغرب، وأربعاً بعد المغرب، والعشاء الآخرة أربعاً، وثمانى صلاة الليل، وثلاثاً فوتر، وركعتي الفجر وصلاة الغداة ركعتين<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، وأصحاب الإحدى وخمسين ركعة في اليوم واللييلة، لقائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكّون أموالهم، ويحجّون البيت، ويجتنبون كل محرّم»<sup>(٣)</sup>.

وفي كتاب المصباح للشيخ الطوسي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين،

(١) هذا المنهج بهذا العدد مما يمتاز به أهل البيت عليه السلام عن بقية المذاهب الإسلامية، وهذا ما حفظه أهل البيت عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولتكنوا، ونظرة المصباح (الغداة) ونافذة الليل هما أفضل هذه النوافل، وقد ورد في تكديهما وبيان فضلها وأثرهما روايات كثيرة. منه قمى سره.

(٢) الكافي ٣: ٤١٣، ح ٥.

(٣) وسائل الشيعة ٢: ٤١، ح ٢٦.

وزيارة الأربعين، ولتختتم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم،<sup>(١)</sup>.

### امتيازات أخرى

وبهذا الصدد نلاحظ أنَّ مدرسة أهل البيت عليه السلام أمتازت في موضوع الصلاة وشؤونها على المدارس الأخرى بعدة امتيازات، يحسن الإشارة إليها:  
الأول: الالتزام بالقراءة في الصلاة في الركعتين الأوليين بسورة الفاتحة وسورة أخرى تامة من سور القرآن<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الالتزام بقراءة البسملة في الفاتحة وفي كل سورة؛ لأنها جزء قرآني من الفاتحة ومن كل سورة في نظرهم، وهو ما دل عليه كثير من النصوص والشواهد التي يأتي في مقبعتها الرسم القرآني الذي تداوله المسلمون بأمانته منذ عهد رسول الله حتى يومنا الحاضر<sup>(٣)</sup>.

الثاني: الجهر بالبسملة حتى في الصلوات الإخفائية كالظهر والعصر، وهذا ما أشار إليه الحديث السابق. ويبدو أنَّ هذا الموضوع تحول إلى قضية سياسية في عهد معاوية تميز بها المسلمون الصالحون عن جماعة الأمويين، حيث أسقط معاوية الجهر فيها، كما يشير إلى ذلك بعض النصوص التاريخية.

الثالث: الالتزام بالسجود على الأرض وما أنبتت غير المأكول منه والملبوس، استناداً إلى ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من قول الصادق عليه السلام:  
«لا يجوز السجود إلا على الأرض، أو ما تنبتت الأرض إلا ما أكل أو

(١) مسباح المتهجد: ٧٨٨.

(٢) هذا هو المشهور المعروف عند فقهاء مذهب أهل البيت، وإنَّ وجد من بينهم من يقول بعدم وجوب السورة التامة.

(٣) لقد عالجت هذا الموضوع كاملاً في تفسيرنا لسورة الفاتحة، وهناك من المذاهب من يقول بذلك أيضاً. منه قدس سره.



لُبْس»<sup>(١)</sup>، كما ورد عن طريقهم النهي عن السجود على القطن والكتان، روى  
 زبارة عن أبي جعفر عليه السلام فقال: «قلت له: فسجد على الزفت - يعني القير -؟  
 قال: لا، ولا على الثوب الكرسف، ولا على الصوف، ولا على شيء من ثمار  
 الأرض، ولا على شيء من الحيوان ولا على شيء من الرياش»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكد ما رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي  
 واحمد بن حنبل من قوله عليه السلام: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(٣)</sup>، وكذلك  
 قوله: «الأرض لك مسجد» الذي رواه البخاري ومسلم والنسائي.

وكذلك ما ورد عن طريق الجمهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تتم  
 صلاة أحدكم حتى يتوضأ كما أمر الله تعالى.... ثم يسجد ممكناً جبهته من  
 الأرض»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ما ورد عن خباب من قوله: «شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حرّ الرمضاء  
 في جباهنا وأتفنا فلم يشكنا»<sup>(٥)</sup>.

وقد خالف في ذلك - بالرغم من وجود هذه النصوص - جميع فقهاء  
 الجمهور فأجازوا السجود على كل شيء.

ومن هنا نجد اتباع أهل البيت عليهم السلام يتقيدون بهذا الحكم، ويستصحون

(١) النهاية للشيخ الطوسي: ١٠٦.

(٢) الخلاف ١: ٣٥٧.

(٣) ذكر الحديث بالفاظ عدة، انظر صحيح البخاري ١: ٨٦، صحيح مسلم ٢: ٦٤، سنن  
 الترمذي ١: ١٩٩، سنن النسائي ١: ٢١٠، مسند أحمد ٢: ٣٠٤.

(٤) كتآب الخلاف ٢: ٤٢٤، عن سنن أبي داود ١: ٢٢٧، ح ٨٥٨.

(٥) الخلاف ٢: ٤٢٤، وقد ذكر في هامشه أن مسلماً أخرجه في صحيحه ١: ٤٢٣، ح ٦١٩.

وسنن ابن ماجه ١: ٢٢٢، ح ٦٧٥، وسنن النسائي ١: ٢١٧، مسند أحمد ٥: ١٠٨ -

١١٠، وسنن البيهقي ٢: ١٠٥.

معهم - أحياناً - قطعة من الطين اليابس أو الحجارة النظيفة لاستخدامها في السجود عليها عندما لا يجتنبون أرضاً يسجدون عليها.

وقد حاول أعداؤهم التشويش عليهم وإثارة الشبهات والانتهاكات ضدهم، بادعاء أنهم يعبدون هذه الحجارة، مع أنهم يسجدون (عليها) وليس (لها) نعوذ بالله<sup>(١)</sup>.

الرابع: الالتزام في كل من الأذان والإقامة بقول «حي على خير العمل» مرتين بعد «حي على الفلاح»؛ وذلك لما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من تأكيد أن ذلك هو جزء من الأذان والإقامة.

وتلتزم (الزيدية)<sup>(٢)</sup> من المذاهب الإسلامية بذلك أيضاً، بحيث أصبح ذلك من معيزات شيعة أهل البيت عليهم السلام على خلاف بقية المذاهب الإسلامية.

ولما الشهادة الثالثة في الأذان العتصنة للشهادة لعل عليها السلام بالولاية فلا شك بين فقهاء الجماعة الصالحة أنها ليست جزءاً من الأذان أو الإقامة، ولا يصح الإتيان بها بنية (الجزئية) فإن ذلك يكون (بدعة) محرمة.

(١) من لملاحظ اهتمام أبناء (الجماعة الصالحة) باستصحاب قطعة من طين مأخوذ من تراب كربلاء للمسجود عليها، وقد تناول هذا الموضوع بالشرح والتفسير العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه «التقية الحسينية». ويحسن بإبناء الجماعة الصالحة أن يسجدوا على الصخور التي تفرش بها المسجد خصوصاً المسجد الحرام، أو على الحصى أو غيره مما يحقق هذا الشرط دون اتخاذ قطع الحجارة في هذه الأماكن، ابتعاداً عن إثارة الشبهات ومراعاة لاجتناب آثار هذه الحرب الإعلامية الظالمة التي يشنها أعداء الإسلام في الجبهة ضدهم. والله ولي التوفيق والسداد والنصر. منه قس سر.

(٢) الزيدية: هم الذين يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بعد أبيه علي بن الحسين، ومن معتقداتهم أنه يشترط في الإمام أن يقوم بالسيف ضد الظلمة، ولهم مدرسة فقهية متأثرة إلى حد كبير بالمدرسة العامة لفقه الجمهور، وهم ينتشرون الآن في اليمن الشمالي. ولأن كان لهم تاريخ في بعض مناطق إيران.

ولكن أتباع أهل البيت عليه السلام اعتادوا على الإتيان بها ضمن الإتيان بالأذان والإقامة، حتى أصبحت شعاراً لهم يعرفون به بين المسلمين، والسبب في ذلك يرجع إلى عاملين رئيسين:

أحدهما: هو التعبير عن ولائهم للإمام علي عليه السلام وللتأكيد لذلك، لأن الإمام علي عليه السلام قد تعرض إلى مختلف ألوان الظلم والأذى، ومن أشد أنواعه ظلم الأمويين والنواصب الذين استنوا سب الإمام علي عليه السلام على مذابر المسلمين وفي خطب صلاة الجمعة، فكان شيعه أهل البيت عليه السلام يحاولون بذلك أن يولجوها هذا اللون من الظلم بتأكيد هذا الولاء، عندما تهلت لهم الفرصة المناسبة لذلك.

ثانيهما: أن شيعه أهل البيت عليه السلام تعرضوا في مختلف الأدوار إلى الاضطهاد والمطاردة بسبب الاتهامات الظالمة لهم، ومنها الاتهام لهم بالغلو في علي وأولاده، فكان أن ألزموا بهذا الشعار من أجل تأكيد أن عقيدتهم في الإمام علي عليه السلام لا تتعدى الولاء له والاعتقاد بإمامته وولايته ومرجعيته الدينية، وأنه الحجة من الله على خلقه، وذلك التزاماً بسنة رسول الله الذي قال في علي عليه السلام يوم الغدير: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وإنّ علياً هو عبد الله وولي من أولياء الله، ولا يتعدى الأمر ذلك.

الخامس: للجمع بين الصلاتين في الظهر والعصر، وفي المغرب والعشاء، من بون وجود عنصر أو حاجة في هذا الجمع؛ وذلك استناداً لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، فقد ورد في كتب الجمهور - التي يعتقدون صحتها - عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله صلى بالمدينة سبعاً وثلاثين، الظهر والعصر والمغرب والعشاء، روى ذلك الضمّة، ولفظ مسلم: «جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر».

وقد قيل لابن عباس: «ما أراد إلى ذلك؟ قال: أراد ألا يخرج أمته»<sup>(١)</sup>.

وقد روى الصدوق في علل الأحكام بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سبب، فقال له عمر - وكان أجراً تقوم عليه -: أصدت في الصلاة شيء؟ قال: لا، ولكن أردت أن أوسع على أمتي»<sup>(٢)</sup>.

ولكن الملاحظ أن أبناء الجماعة الصالحة يكانون يلتزمون بالجمع بين الصلاتين، حيث أخذوا بهذه الرخصة مع أن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليه السلام كانوا يفرقون بين الصلوات بشكل عام، كما تشير إلى ذلك النصوص<sup>(٣)</sup>، وإنما كان للجمع رخصة.

(١) صحيح مسلم ٢: ١٥٦، وسنن الترمذي ١: ١٢١، والخمسة هم البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن داود، والنسائي.

(٢) علل الشرائع ٢: ٣٢١، ج ١.

(٣) هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة، فإنَّ الرخصة لا شك فيها، وعمل النبي والأئمة حلولاً لله وسلامه عليهم العام هو التفريق، فلماذا هذا الالتزام بالجمع؟ ولا شك أن الجمع أبسر ولا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الظروف الاجتماعية المعاصرة وطبيعة الأعمال وتركيبية المدن والمجتمعات، فهل كان الالتزام بهذا البسر يعبر عن منهج أراد منه أهل البيت أن يضعوه لمستقبل الحياة الإنسانية، أم أن هذا الالتزام يعبر عن ظروف اجتماعية وسياسية عاشها أتباع أهل البيت في التاريخ الإسلامي جعلتهم يخفون من أدائهم للصلاة؟ على أن هناك رواية معتبرة السند قد يفهم منها أن المقصود من الجمع هو الإتيان بالصلاتين في وقت الفضيلة لاحتداهما، ولكن بدون نافلة وتطوع بينهما، أما إذا تطوع بينهما فلا جمع: «الجمع بين الصلاتين إذا لم يكن بينهما تطوع، فإذا كان بينهما تطوع فلا جمع». وسائل الشيعة ٣: ١٦٢، ج ٣.

وعند ذلك تكون المعارسة العلمية للثقة من أبناء الجماعة الصالحة هي التفريق؛ لأنهم يتطوعون - عادة - بين الصلاتين خصوصاً في المغرب والعشاء. وعلى أي حال فالمفروض أن يتوجه أبناء الجماعة الصالحة إلى هذه السنة النبوية المستحبة والأدب الرسالي المطلوب. منه قس سر.

**الساس:** الالتزام بمسح الرأس والرجلين معاً في الوضوء للصلاة، على خلاف الالتزام الفقهي العام لجمهور المسلمين الذين يتقيدون بغسل الرجلين عادة، إلا في حالات خاصة وهي المسح على الخفين في رأي بعض المذاهب الإسلامية.

ويستند أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم إلى قوله تعالى في الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(١)</sup> التي تدل بظاهرها على الأمر بمسح الرجلين عطفاً على مسح الرأس. وقد تناول جمهور الناس الآية الكريمة فعمطوا الرجلين على الوجه واليدين في الآية على خلاف ظاهرها، استناداً إلى بعض الروايات<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - التعقيب

ومن العبادات اليومية التعقيب بعد الصلاة، وهو عبارة عن الذكر والدعاء في أعقاب الصلوات. وقد ورد تأكيد في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وهو سنة مؤكدة يلتزم بها جميع المسلمين.

ولكن ما يميز أهل البيت عليهم السلام والجماعة الصالحة هو سعة وشمول التعقيب، وكثرة ما ورد له من أنكار وأدعية في روايات أهل البيت عليهم السلام، واختصاص كل صلاة من الصلوات اليومية الواجبة، بل المستحبة بتعقيبات خاصة بها، مضافاً إلى التعقيبات العامة للصلوات جميعاً.

(١) المائدة: ٦.

(٢) لقد تناول بعض هذه المسائل ومنها مسألة (المسح) و(الجمع) و(البسلة) وغيرها العلامة شرف الدين في كتابه مسائل خلافية، وأثبت بما لا شبهة فيه أن الحق مع أهل البيت عليهم السلام.

ومن أفضل مفردات التعقيب هو التكبير ثلاثاً، والصلاة على النبي وآله ثلاثاً، ودعاء «لا إله إلا الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون، لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين، لا إله إلا الله وحده وحده اتجزل وعده ونصر عيده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد يحيي ويميت ويحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير».

وقراءة التسبيح المعروف عند الجماعة الصالحة بتسبيح الزهراء عليها السلام، وهو أربع وثلاثون تكبيرة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وثلاث وثلاثون تسبيحة<sup>(١)</sup>، وكذلك قراءة آية الكرسي والمعوذتين وقل هو الله أحد، والإتيان بسجدة الشكر وغيرها مما ينكر في كتب الدعاء<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - قراءة القرآن

ومن العبادات اليومية قراءة القرآن الكريم، فقد ورد عن الإمام الصالح عليه السلام بسند معتبر: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمسلم أن ينظر إلى عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية».

وفي رواية أخرى معتبرة عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «ينبغي للرجل إذا أصبح أن يقرأ بعد التعقيب خمسين آية».

وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من قرأ كل يوم مائة آية في

(١) ورد في روايات الجمهور ذكر هذا التسبيح ولكن بترتيب آخر، وهو ثلاث وثلاثون لكل من التسبيح، والتحميد، والتكبير، ويبدأ بالتسبيح ويختم بالتكبير. باستثناء رواية واحدة تذكر التكبير أربعاً وثلاثين.

(٢) راجع مفاتيح الجنان. فقد ذكر التعقيبات العامة وتعقيبات كل واحدة من الفرائض الخمسة.

المصحف يترتيل وخشوع وسكون كتب الله له من الثواب بمقدار ما يعمله جميع أهل الأرض، ومن قرأ مائتي آية كتب الله له من الثواب ما يعمله أهل السماء وأهل الأرض»<sup>(١)</sup>.

ويبدو من خلال الروايات الكثيرة أنه يحسن قراءة القرآن بتدبر وتأمل، ووقوف عند ذكر الجنة والنار وموارد الاعتبار، وأن تكون قراءته بالحنن والخشوع والتبكي، وعدم الإسراع في قراءته المعبر عنها بالروايات (بالهذر)، وألا يقرأ في اليوم أكثر من جزء، أي ألا يختم القرآن بأقل من شهر<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - أوقات الفضيلة في اليوم

ويبدو من الروايات والنصوص أن أفضل لوقات العبادة في اليوم والليلة هما: وقت السحر، وهو الثلث الأخير من الليل - الذي يبدأ من غروب الشمس إلى طلوع الفجر - وكذلك وقت ما بين الطلوعين (طلوع الفجر وطلوع الشمس)، فإن هذين الوقتين يختصان بالصلاة والدعاء والذكر والمناجاة.

وقد تم التأكيد - كما أشرنا - لقيام وقت السحر وإحيائه بالعبادة، وكذلك جاء النهي عن نوم ما بين الطلوعين، وإحيائه بالدعاء والذكر وقراءة القرآن والسعي في طلب الرزق.

ومن جملة هذه الأوقات التي ورد تأكيدها في القرآن الكريم وقت شروق الشمس وغروبها، حيث يستحب نكر الله فيها ﴿وَإِذْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾<sup>(٣)</sup>. ولذلك وردت ادعية وأنكار متعددة للمصباح والمساء أشار إلى بعضها العلامة

(١) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٤٨، ج ١، ٢، ٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٥١، باب ١٣ من أبواب فضائل القرآن.

(٣) الانسان: ٢٥.

القمي في مفتاح الجنان<sup>(١)</sup>، ومن أهمها دعاء العشرات، ودعاء الإمام زين العابدين عند الصباح والمساء.

### التطوع بالصلاة

لقد ورد في الروايات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام الحث على التطوع بالصلاة<sup>(٢)</sup>، مضافاً إلى النوافل والرواتب اليومية التي سبق الحديث عنها. وقد جاء تأكيد هذا التطوع في الليل خاصة.

ومن موارد هذا التطوع المفردات الآتية:

- ١ - التطوع بصلاة عشر ركعات بعد صلاة المغرب.
- ٢ - للتطوع بصلاة اثنتي عشرة ركعة كل يوم.
- ٣ - للتطوع بأربع ركعات بعد صلاة العشاء.
- ٤ - التطوع بأربع ركعات مخصوصة قبل الزوال أو عنده.

٥ - التطوع بركعتين بين المغرب والعشاء تسمى في بعض الروايات بصلاة الوصية، وفي بعضها بصلاة ساعة الغفلة، وهي صلاة (الغفيلة) المعروفة في أواسط أبناء الجماعة الصالحة، ولها أداء مخصوص حيث يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة آية ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُنْجِياً فَلَمْ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَخَرَجْنَاهُ مِنَ الْقَمْرِ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الركعة

(١) مفتاح الجنان: ٢٢ - ٢٣، كذلك راجع جامع لأحاديث الشيعة ١٥: ٤٤٤ - ٤٥٧.

(٢) قد يبدو من بعض النصوص أنَّ بعض هذه الصلوات يتداخل مع الرواتب اليومية والله أعلم. منه قدس سره.

(٣) الأنبياء: ٨٧ - ٨٨.



الثانية بعد الفاتحة آية ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْغُطُ مِنْ رَحْمَةٍ إِلَّا بِمَعْلَمٍ وَلَا حِجَابُ فِي ظِلَّتِ الْأَرْضِ وَلَا رَيْبُ وَلَا كِبَرُ إِلَّا فِي كَنْزٍ مُبِينٍ﴾ (١)، ثم يقنت ويدعو: «اللهم إني أسألك بمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا أنت أن تصلي على محمد وآل محمد، ويذكر حاجته (حواليج الدنيا والآخرة) ثم يقول: «اللهم أنت ولي نعمتي والقادر على طلبتي تعلم حاجتي فأسألك بحق محمد وآل محمد لما قضيتها لي، ويسأل حاجته فقد ورد في الحديث أن الله يقضيها له» (٢).

٦ - التطوع في اليوم واليلة بصلاة ألف ركعة، وقد كان هذا التطوع مما يعمل به أئمة أهل البيت (عليهم السلام) (٣).

## الثاني: العبادات الأسبوعية

### ١ - يوم الجمعة وليلته

مضى الحديث في الأيام عن مجموعة من العبادات الأسبوعية في يوم الجمعة وليلته، ولا نحتاج هنا أن نعيد، ولكن يحسن بنا أن نذكر ملاحظة هي أن هذا اليوم وليلته يمثلان قمة العمل العبادي في الأسبوع، فإنه مضافاً إلى الممارسة العبادية اليومية يكون يوم الجمعة زماناً لتصعيد الحالة العبادية.

وهذا عن منهاج الإسلام في عملية التدرج والتصعيد في الممارسة العبادية، حيث نلاحظ في اليوم أن عملية التصعيد والتكثيف للعمل العبادي تتم في الليل، وفي فترة السمر إلى أداء صلاة الصبح عند طلوع الفجر.

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) هذه الصلوات نكروها في وسائل الشيعة في الجزء الخامس، وهي حسب التسلسل في الصفحات التالية: ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٨٦، ٢٤٧ و ٢٤٩.

(٣) وسائل الشيعة ٣: ٧١، باب استحباب صلاة ألف ركعة في كل يوم وليلة.

وفي الأسبوع تكون عملية التصعيد والتكثيف للعبادة في ليلة الجمعة ويومها.

وفي الشهر تكون عملية التكثيف - على ما سوف نعرف - في منتصف الشهر وفي ليالي التشريق عادة.

وفي السنة تكون عملية التصعيد والتكثيف - كما سوف نعرف - في شهر رمضان، بعد أن يبدأ الاستعداد والتهيؤ منذ بداية رجب.

وفي شهر رمضان تتصاعد العملية العبادية - كما سوف نعرف - في العشر الأواخر منه، ولا سيما في ليالي القدر، وتختتم بليلة عيد الفطر. ولا نحتاج هنا أن نعيد الحديث مرة أخرى عن ذلك.

## ٢ - أدعية الأيام

لقد اختص كل يوم من أيام الأسبوع بدعاء خاص، وقد عرف مجموع ذلك بأدعية أيام الأسبوع، وهي مروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وتشتمل على مضامين عالية، ويذكر في كل واحد منها اسم اليوم المختصة به، وقد تضمنتها بعض نسخ الصحيفة السجانية ملحقاً لها، كما ذكرها العلامة القمي في مفاتيح الجنان في الصفحات ٢٢ - ٢٨.

## ٣ - صلوات الأيام

روى الشيخ الطوسي في (مصباح المتجهد) رسالة عن النبي ﷺ أو عن أنس، عن النبي ﷺ صلوات خاصة بأيام الأسبوع ولياليه باستثناء ليلة الجمعة ويومها، كما روى السيد ابن طاووس في كتاب (جمال الأسبوع) بإسناده عن الإمام أبي الحسن العسكري عليه السلام صلوات مخصوصة لكل يوم من أيام

الأسبوع، كما روى الكفعمي في كتابه المصباح أكثر هذه الصلوات وجملة من الصلوات السابقة<sup>(١)</sup>.

ومضافاً لذلك روى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن أئمة الهدى مرسلات صلوات تهدي إلى النبي وبقية المعصومين عليهم السلام، يختص فيها كل يوم بأحد المعصومين حسب تسلسل الأيام والمعصومين، ويقسمون على أسبوعين<sup>(٢)</sup>.

### الثالث: العبادات الشهرية

يبدو من مراجعة المنهاج العبادي الشهري أنَّ الأعمال العبادية التي تتكرر في كل شهر هي عبادات محدودة. ولعل السبب في ذلك هو الاعتماد على المنهاج اليومي والأسبوعي من ناحية، والمنهاج السنوي لو منهاج الأيام والليالي والمناسبات الموجودة في مختلف الشهور من ناحية أخرى، ومع كل ذلك وردت بعض العبادات الخاصة في دورة الشهر.

#### ١ - صلاة أول الشهر

كان يلتزم بها بعض الفقهاء<sup>(٣)</sup> ويهتم بها خاصة، وهي - كما رواها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد - بسند صححه بعض العلماء كالرحميد البيهقي (قدس سره) عن الإمام الجواد عليه السلام قال: «وكان أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام إذا دخل شهر جنيد يصلي في أول يوم منه ركعتين، يقرأ في أول ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد لكل يوم إلى آخره، وفي الركعة

(١) وسائل الشيعة ٥: ٢٨٩ - ٢٩٤.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٢٨٤.

(٣) كان المرحوم الإمام الحكيم (قدس سره) يواظب على هذه الصلاة.

الأخرى الحمد وثم أنزلناه في ليلة القدر مثل ذلك، ويتصدق بما يتسهل، يشترى به سلامة ذلك الشهر كله،<sup>(١)</sup>.

كما روى ابن طاووس مرسلاً عن الصادق عليه السلام صلاة أخرى من ركعتين يقرأ فيها سورة الأنعام بعد الفاتحة، ويؤتيها في ليلة أول الشهر.

## ٢ - صيام ثلاثة أيام من الشهر

إن صيام ثلاثة أيام من كل شهر، من الأعمال المستحبة المؤكدة التي كان يراغب عليها النبي صلى الله عليه وآله إلى آخر حياته، كما دلت على ذلك النصوص العديدة.

فقد روى الصنوقي في من لا يحضره الفقيه بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «صام رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قيل: ما يفطر، ثم أفطر حتى قيل: ما يصوم، ثم صام صوم داود عليه السلام: يوماً، ويوماً لا، ثم قبض عليه صيام ثلاثة أيام في الشهر وقال: يعدلن صوم الدهر (الشهر)، ويذهبن بوجهر الصبر، وقال حماد الوحر: الوسوسة، فقال حماد: فقلت: وأي الأيام هي؟ قال: أول خميس في الشهر، وأول أربعاء بعد العشر منه، وآخر خميس»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى معتبرة يعلق الإمام الصادق عليه السلام على هذا الموضوع بقوله: «وقد كان أبي صلى الله عليه وآله يقول: ما من أحد أبغض إلى الله تعالى من رجل يقال له: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل كذا وكذا فيقول: لا يعذبني الله على أن أجتهد في الصلاة والصوم، كأنه يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله ترك شيئاً من الفضل عجزاً عنه»<sup>(٣)</sup>.

(١) مصباح المتعبد: ٥٢٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٨٢، ح ١٧٨٦.

(٣) وسائل الشريعة ٧: ٣٠٥، ح ٥٠.

هذه الروايات من النصوص التي يمكن أن يستنبط منها نظرية للموازنة والوسط في أداء العبادات، وعدم صحة التطرف والإجهاذ في أدائها. منه قدس سره.

وقد روى المفيد في (المقنعة) عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت علي أعمال أمتي فوجدت في أكثرها خللاً ونقصاً، فجعلت مع كل فريضة مثليها نافلة؛ ليكون من أتى بذلك قد حصلت له القريضة؛ لأن الله تعالى يستحي أن يعمل له العبد عملاً فلا يقبل منه الثلث. ففرض الله الصلاة في كل يوم وليلة سبع عشرة ركعة، وسن رسول الله ﷺ أربعاً وثلاثين ركعة، وفرض الله صيام شهر رمضان في كل سنة، وسن رسول الله ﷺ صيام ستين يوماً في السنة، ليكمل فرض الصوم، فجعل في كل شهر ثلاثة أيام: خميساً في العشر الأول منه وهو أول خميس في العشر، وأربعاء في العشر الأوسط منه، وهو أقرب إلى النصف من الشهر، وربما كان النصف بعينه، وآخر خميس في الشهر»<sup>(١)</sup>.

وقد وردت نصوص أخرى تؤكد أن المهم هو صوم أيام ثلاثة من كل شهر إذا لم يتمكن من الالتزام بهذه الأيام خاصة، أو كان فيها تعب، وجاءت للرخصة بتأخيرها إلى الشتاء أو غير ذلك من التقديم والتأخير، كما جاءت للنصوص بقضاؤها أيضاً، أو للتعويض عنها بالصيقة بمد من طعام عن كل يوم.

كما ورد في بعض النصوص الحث على صيام الأيام البيض من الشهر، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

## الرابع: العبادات السنوية

تحتل العبادات السنوية مساحة واسعة من نظام العبادات، وذلك ضمن ثلاثة مناهج أساسية:

**المنهج الأول:** منهج الأيام والليالي الذي سبق الحديث عنه، فإنه يدخل في جانب منه في العبادات السنوية، حيث إننا وإن تكرناه ضمن نظام الشعائر فإن

(١) المقنعة: ٣٦٩، كمال الستين بإضافة استحباب صوم شعبان كما أشير إليه في بعض الروايات الأخرى.

محتوى هذه الشعائر، كان هو أنواع من العبادات - كما ذكرنا - جاءت في إطار هذه الشعائر لتصبح بمجموعها تعبيراً عن هذا الشعار.

**المنهج الثاني:** هو منهج الأشهر الثلاثة المباركة رجب وشعبان ورمضان، حيث يترج هذا المنهج والموسم بشهر رمضان المبارك، وحيث تشكل عبادة الصوم القاعدة الأساسية في هذا المنهج، فإنه يستحب فيه صوم شهر رجب ويتأكد فيه استحباب صوم شعبان بما كان يلتزم به رسول الله ﷺ من صومه بكامله، ويجب فيه صوم شهر رمضان بالشروط التي يذكرها الفقهاء في كتبهم الفقهية، وفي مقدمتها الحضور وعدم المرض أو الشيخوخة المانعة من الصوم.

**المنهج الثالث:** هو منهج عبادة الحج وموسم العشر الأوائل من شهر ذي الحجة.

هذه العبادة الفريدة والتمتعزة التي تكاد أن تجمع في محتواها وأدائها مجمل العبادات الإسلامية (الصلاة، والزكاة، والصوم، والجهاد)، مضافاً إلى أبعادها الروحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية العظيمة.

وسوف نحاول أن نتناول المنهجين الآخرين - بعد أن تحدثنا عن الأول - بشيء من الشرح والاختصار.

## منهج الأشهر الثلاثة

### أ - شهر رجب

لقد وردت نصوص كثيرة عن أهل البيت تؤكد فضل شهر رجب، فقد روى الصدوق في المجالس وثواب الأعمال بإسناده عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ألا إن رجباً شهر الله الأصم وهو شهر عظيم، وإنما سمي الأصم لأنه لا يقاربه شهر من الشهور حرمة وفضلاً عند الله، وكان أهل الجاهلية يعظمونه في جاهليتهم، فلما جاء الإسلام لم

يزدد إلا تعظيماً وقضلاً. إلا إن رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر لملي. ألا فمن صام من رجب يوماً إيماناً ولحساباً استوجب رضوان الله الأكبر...» ثم نكر لصيام أي عدد من الأيام ثواباً وأجرأ وآثراً وفوائد<sup>(١)</sup>.

كما روى الصدوق عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنه قال: «رجب نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر»<sup>(٢)</sup>.

وروى عنه أيضاً: «رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات. من صام يوماً من رجب تباعدت عنه النار مسيرة سنة، ومن صام ثلاثة أيام وجبت له الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وقد روي عن أبي عبد الله الصالح عليه السلام بأسانيد متعددة بعضها معتبر أنه قال: «إن نوحاً عليه السلام ركب السفينة أول يوم من رجب، فأمر عليه السلام من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال: من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة، ومن صام سبعة أيام أغلقت عنه أبواب النيران السبعة، ومن صام ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنان الثمانية، ومن صام خمسة عشر يوماً أعطي مسألته، ومن زاد زاده الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.

(١) ثواب الأعمال: ٥٤.

وقد ورد في عدة نصوص أخرى - كما سوف نعرف - أن شهر الله هو شهر رمضان، وهو المعروف بين المسلمين، ولذا فمن المحتمل أن يكون هناك اشتباه في ضبط النص في هذه الرواية فيما يتعلق بهذا الموضوع. منه قدس سره

(٢) ثواب الأعمال: ٥٣.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ٣٥٠، ج ٣، ٤.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ٣٤٨، ج ١ و ٢. وقد نكر الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة، والعلامة القمي في مفاتيح الجنان روايات أخرى في فضل شهر رجب وفضل الاستغفار والعبادة فيه، فراجعها.

## أعمال شهر رجب

وقد قسم العلامة القمي في مفاتيح الجنان أعمال شهر رجب إلى قسمين:  
القسم الأول: الأعمال العامة التي تؤدي في جميع الشهر ولا تخص أياماً  
منه، وهي أمور:

الأول: الدعاء، وقد ذكر عدة مفردات ومصانيق من الأدعية المخصوصة  
ذات مضامين عالية، وعن الإمام زين العابدين عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام والإمام  
الحجة عجل الله فرجه الشريف<sup>(١)</sup>.

الثاني: الزيارة المخصوصة التي يزار بها في جميع مشاهد الأئمة عليهم السلام،  
وهي المعروفة بالزيارة الرجبية<sup>(٢)</sup>.

الثالث: الذكر مثل الاستغفار لله تعالى بصيغ متعددة، ومنها «استغفر الله  
الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأتوب إليه» مائة مرة والتصدق بعدها<sup>(٣)</sup>.

أو التهليل ألف مرة، أو التسبيح مائة مرة «سبحان الإله الجليل، سبحان من  
لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان الأعز الأكرم، سبحان من لبس العز وهو له  
أهل» وقد ورد أن هذا التسبيح يعوض عن الصيام لمن لا يقدر عليه<sup>(٤)</sup>.

الرابع: قراءة القرآن، ومنه قراءة الإخلاص عشرة آلاف مرة<sup>(٥)</sup>، وكذلك يقرأ  
في كل يوم وليلة من رجب وشعبان ورمضان للحمد وآية الكرسي والكافرون  
والمعونتين ثلاث مرات، ثم يقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

(١) مفاتيح الجنان: ١٢٢ - ١٢٧.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٢٦.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ٣٥٩، ج ٣.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ٣٥٨، ج ١.

(٥) وسائل الشيعة ٧: ٣٦١، ج ٦.



ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، ثلاث مرات، و «اللهم صلّ على محمد وآل محمد» ثلاث مرات، و «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات» ثلاث مرات، وأربعمئة مرة «استغفر الله وآتوب إليه»، فقد ورد أنّ هذا العمل يوجب غفران الذنوب مهما كثرت.

وهذا العمل يجمع بين قراءة القرآن والذكر والدعاء.

**الخاص:** الصلاة بصيغ متعددة، ركعتين في ليلة من ليالي رجب يقرأ فيها بعد الفاتحة للتوحيد مائة مرة، أو عشر ركعات يقرأ فيها بعد الفاتحة الكافرون مرة والتوحيد ثلاث مرات، أو صلاة ستين ركعة في كل ليلة ركعتان يقرأ فيها الحمد مرة والكافرون ثلاث مرات والتوحيد مرة ولحده، فإذا سلم رفع يديه إلى السماء وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وإليه المصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وآله»، ويمرر يده على وجهه، فقد ورد لهذه الصلوات ثواب عظيم<sup>(١)</sup>.

**القسم الثاني:** الأعمال الخاصة بليالي وأيام خاصة من رجب، وفي هذا القسم توجد أعمال عديدة نشير إلى أهمها:

**الأول:** أعمال الليلة الأولى واليوم الأول من رجب، وهي عبارة عن صومه والدعاء عند رؤية الهلال في ليلته، وكذلك الغسل وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في اليوم والليلة كما سبق في الزيارات، وصلاة عشرين ركعة بعد صلاة المغرب يقرأ فيها بالفاتحة والترديد.

**والليلة الأولى من رجب هي إحدى الليالي الأربعة التي تُحيا بالعبادة كما**

(١) مفاتيح الجنان: ١٢٨.

نكرونا، وهناك صلاة أخرى من ثلاثين ركعة بالفاتحة والكاغرون مرة والتوحيد ثلاث مرات، وصلاة أخرى بركعتين يقرأ فيها بالفاتحة والاشمراح ثلاث مرات. كما يوجد دعاء خاص بهذه الليلة روي عن الإمام الجواد عليه السلام، وأعمال أخرى<sup>(١)</sup>.

وفي اليوم الأول - مضافاً إلى الصوم - يبدأ بصلاة سلمان الفارسي التي هي ثلاثون ركعة، يؤتى بعشر منها في اليوم الأول، وعشر في منتصف رجب، وعشر في آخره، وهي صلاة جلييلة بعدها ذكر ودعاء وفيها تفصيل<sup>(٢)</sup>.

الثاني: صلاة الرغائب، وهي صلاة في أول ليلة جمعة من رجب بعد صيام يوم الخميس منه، حيث يصلي بين العشاء والعمة اثنتي عشرة ركعة، فإذا فرغ من صلاته صلى على النبي وآله سبعين مرة، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: «سبح قوس رب الملائكة والروح»، ثم يرفع رأسه ويقول: «رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العلي الأعظم»، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها ما قال في الأولى، ثم يسأل حاجته فإنها تقضى إن شاء الله.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الصلاة أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يصلي عبد أو أمة هذه الصلاة إلا غفر له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، ويشفع يوم القيامة في سبعائة من أهل بيته ممن استوجب النار» الحديث<sup>(٣)</sup>.

الثالث: صلاة الليالي البيض في رجب وشعبان ورمضان، وهي صلاة ورد أن من جاء بها حاز فضيلة الأشهر الثلاثة وغفر الله له كل ذنب سوى الشرك بالله.

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٠ - ١٤١.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٤٢.

(٣) وسائل الشيعة ٥: ٢٢٢، ح ١.

وهي ركعتان في الليلة الثالثة عشرة، وأربع في الرابعة عشرة، وست في الخامسة عشرة، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وسورة يس والملك والتوحيد كلاً منها مرة واحدة، ويسبّح بعد كل ركعتين.

وفيها عمل أم داود المعروف الذي يؤتى به في اليوم الخامس عشر بعد الصيام لقضاء الحاجات وكشف الكرب ودفع الظالمين، ويشتمل على قراءة القرآن والدعاء بالإضافة إلى الصيام، وقد جاء تفصيله في المفاتيح<sup>(١)</sup>.

وكذلك صيام أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر منه.

الرابع: أعمال ليلة النصف من رجب، وفيها الغسل وزيارة الإمام الحسين عليه السلام، والإحياء بالعبادة من الصلاة التي تكررت لها مصابيق خاصة إلى الذكر، وهناك صلاة مشتركة بينها وبين ليلة السابع والعشرين من رجب.

وكذلك أعمال يوم النصف من رجب الذي فيه الغسل والزيارة للإمام الحسين عليه السلام، وبقية صلاة سلمان الفارسي، مضافاً إلى صلاة ودعاء خاصين.

الخامس: أعمال الليلة السابعة والعشرين من رجب ويومها الذي تقدم الحديث عنه في الأيام، وهو اليوم الذي كان فيه المبعث النبوي الشريف.

وقد ورد في ثواب العمل في هذه الليلة عن الإمام الجواد عليه السلام «وَأَنَّ لِلْعَامِلِ فِيهَا مِنْ ثِيَابٍ لِحْجِيٍّ عَمَلِ سِتِينَ سَنَةً. قِيلَ: وَمَا لِلْعَمَلِ فِيهَا؟ قَالَ: إِذَا صَلَّيْتَ الْعِشَاءَ ثُمَّ لَخَذْتَ مَضْجَعَكَ ثُمَّ اسْتَيْقَظْتَ أَيَّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ كَانَتْ قَبْلَ مَنْتَصَفِهِ، وَصَلَّيْتَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً كُلَّ رُكْعَةٍ بِالْحَمْدِ وَسُورَةِ خُفَيْفَةٍ مِنَ الْمَفْصَلِ (وَالْمَفْصَلُ مِنْ سُورَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ) وَتَسَلَّمَ بَعْدَ كُلِّ

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٤ - ١٤٨.

ركعتين، فإذا فرغت من الصلاة جلست بعد السلام وقرأت الحمد سبعةً والمعونتين سبعةً وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون سبعةً وإنا أنزلناه وآية الكرسي كل منهما سبعةً، وتقول بعد ذلك كله: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن والكره تكبيرا. اللهم إني أسألك بمعاهد عزك على أركان عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، وبأسمك الأعظم الأعظم الأعظم ونذكرك الأعلى الأعلى الأعلى، وبكلماتك التامات أن تصلي على محمد وآله وأن تفعل بي ما أنت أهله، ثم ادع بما شئت<sup>(١)</sup>.

ويستحب في هذه الليلة الغسل وزيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام، والصلاة التي ورد ذكرها في ليلة النصف من رجب<sup>(٢)</sup>.

وفي اليوم الأخير منه بقية صلاة سلمان الفارسي، كما ورد فيه للغسل والصوم وأنه يوجب غفران الذنوب ما تقم منها وما تأخر<sup>(٣)</sup>.

### ب - شهر شعبان

لقد وردت روايات متظافرة عديدة في فضل شهر شعبان والعبادة فيه، فهو شهر منسوب إلى رسول الله، وكان يلتزم بصيامه - كما أشرنا - ويحث الناس على هذه السنة فيه، ووصل صيامه بصيام شهر رمضان. وقد ذكر العلامة القمي خلاصته لبعض هذه الروايات الشريفة: وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «كان السجاد علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شعبان جمع أصحابه وقال عليه السلام: يا أصحابي، أتدرون ما هذا الشهر؟ هذا شهر شعبان، وكان

(١) مفاتيح الجنان: ١٤٨.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٥٤.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٥٤.

النبي ﷺ يقول: شعبان شهري فصوموا هذا الشهر حباً لنبيكم وتقرباً إلى ربكم. أقسم بمن نفسي بيده لقد سمعت أبي لحسين ﷺ يقول: سمعت أمير المؤمنين ﷺ يقول: من صام شعبان حباً لرسول الله ﷺ وتقرباً إلى الله أحبه الله وقربه إلى كرامته يوم القيامة، وأوجب له الجنة<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى للشيخ الطوسي عن صفوان الجمال قال: «قال لي الصادق ﷺ: حدث من في ناحيتك على صوم شعبان. فقلت: جعلت فداك، ترى فيه شيئاً؟ فقال: نعم، إن رسول الله ﷺ كان إذا رأى هلال شعبان أمر منادياً ينادي في المدينة: يا أهل يثرب، إني رسول رسول الله ﷺ إليكم: ألا إن شعبان شهري فرحم الله من أعانني على شهري. ثم قال: إن أمير المؤمنين ﷺ كان يقول: ما فاتني صوم شعبان منذ سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي في شعبان، ولن يغتني أيام حياتي صوم شعبان إن شاء الله تعالى. ثم كان يقول ﷺ: صوم شهرين متتابعين توبة من الله»<sup>(٢)</sup>.

وروى إسماعيل بن عبد الخالق قال: «كنت عند الصادق ﷺ فمرى ذكر صوم شعبان، فقال الصادق ﷺ: إن في فضل شعبان كذا وكذا، حتى إن الرجل ليرتكب الدم الحرام فيغفر له»<sup>(٣)</sup>.

روى الكليني بسند معتبر عن سماعة قال: «سألت أبا عبد الله ﷺ: هل صام أحد من آبائك شعبان؟ قال: خير آبائي رسول الله ﷺ صامه»<sup>(٤)</sup>.

(١) مفاتيح الجنان: ١٥٤.

(٢) مصباح المتعبد: ٨٢٥.

(٣) مصباح المتعبد: ٨٢٦.

(٤) الكافي ٤: ١٠، ح ٥.

وفي رواية أخرى للكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كن نساء النبي عليه السلام إذا كان عليهن صيام آخرن ذلك إلى شعبان كراهة أن يمتنع رسول الله عليه السلام، فإذا كان شعبان صمن، وكان رسول الله عليه السلام يقول: شعبان شهري»<sup>(١)</sup>.

كما روى الصدوق في الفقيه بسند معتبر عن بعض العلماء وغيره بأسانيد متعددة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «من صام شعبان كان له ظهوراً من كل نلة ووصمة ويادرة. قال أبو حمزة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: ما الوصمة؟ قال: اليمين في المعصية والنذر في المعصية. قلت: فما اليادة؟ قال: اليمين عند الغضب والتوبة منها للنعم عليها»<sup>(٢)</sup>.

وقد روى الصدوق في ثواب الأعمال بسند معتبر عن إسماعيل بن زياد، عن أبي عبد الله قال: «قال رسول الله عليه السلام: شعبان شهري، ورمضان شهر الله وهو ربيع الفقراء، وإنما جعل الأضحي ليشتبع مساكينكم من اللحم فاطعموهم»<sup>(٣)</sup>.

كما ورد في صومه أنه سبب لشفاعة رسول الله في يوم القيامة<sup>(٤)</sup>، وأن إكثار الصوم فيه سبب لإصلاح المعيشة والوقاية من شر الأعداء وبخول الجنة<sup>(٥)</sup>.

(١) الكليني ٤: ٩٠، ح ٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٩٢، ح ١٨٢٣.

(٣) ثواب الأعمال: ٥٩.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ٣٧٣، ح ١٦.

(٥) وسائل الشيعة ٧: ٣٧٥، ح ٢٤.

## أعمال شهر شعبان

وقد قسم العلامة القمي - كعادته - أعمال شهر شعبان إلى قسمين:

القسم الأول: الأعمال العامة التي تؤدي في مختلف أيام الشهر.

القسم الثاني: الأعمال الخاصة بأيام أو ليالٍ خاصة من الشهر.

أمّا أعمال القسم الأول فيمكن تلخيصها في أمور:

الأول: الصيام، وهو أهمها وأكدها، ويكاد أن يتميز به هذا الشهر، كما

فهناه من الروايات السابقة المتظاهرة والصحيحة.

الثاني: الذكر لله تعالى ولا سيما الاستغفار، فقد ورد في عدة روايات للتحث

على الاستغفار سبعين مرة في كل يوم؛ لأن فيه ثواباً عظيماً إذ يحشر يوم

القيامة في زمرة رسول الله ﷺ، وتجب له الكرامة من الله تعالى، وتكتب له

البراءة من النار والجواز على الصراط للجنة وحلول دار القرار، ويغفر الله له

ذنوبه ولو كانت بعدد النجوم، وورد أن الاستغفار فيه سبعون مرة، مثل

الاستغفار في سائر الشهور سبعين ألف مرة، وصيغته: «أستغفر الله وأسأله

التوبة»، أو «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم

واتوب إليه»<sup>(١)</sup>.

ومن الإنكار المروية مرسلة عن النبي ﷺ - كما في الإقبال - «لا إله إلا الله

ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون»، يقولها ألف مرة في

شعبان، فإن فيها ثواباً جزيلاً<sup>(٢)</sup>.

الثالث: الصدقة على الفقراء والمحتاجين كما أشير إليه في الروايات

السابقة من أن شعبان ربيع الفقراء. وقد جاء التأكيد لذلك في عدة روايات، وأن

(١) وسائل الشريعة ٧: ٢٧٨ - ٢٨٠، ج ١، ٢، ٤، ٥، ٦.

(٢) إقبال الأعمال ٢: ٢٩٤.

«من تصدق بصدقة في شعبان رباها الله جل وعزَّ له كما يربي أحدكم فصيله، حتى يوافي يوم القيامة وقد صارت مثل أمه»<sup>(١)</sup>، كما أنَّ التصديق فيه ولو بشق ثمرة يوجب تحريم جسد الإنسان على النار<sup>(٢)</sup>.

**الرابع: الصلاة على رسول الله وكنهه والإكثار منها.**

وقد روى أحمد بن عيسى في (نواره) بسند معتبر عن أبي عبد الله الصائغ عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: رجب شهر الاستغفار لأمتي، أكثروا فيه الاستغفار، فإنه غفور رحيم إلى أن قال وأكثروا في شعبان الصلاة على نبيكم ثم قال: سمي شعبان شهر للشفاعة لأنَّ رسولكم يشفع لكل من يصلِّي عليه فيه»<sup>(٣)</sup> الحديث.

وقد ورد في بعض الروايات صيغة رائعة من الصلاة على رسول الله وأهل بيته، مع دعاء جميل لله تعالى يتوسل فيه الإنسان برسول الله في شعبان<sup>(٤)</sup>.

**الخامس:** الأدعاء والمناجاة لله تعالى، ولم تذكر نصوص خاصة في هذا الموضوع، إلا أنه عرفت في هذا المجال للمناجاة التي رواها ابن خالويه، وتكر أنها مناجاة أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وهي مناجاة رائعة وذات مضامين عرفانية عالية<sup>(٥)</sup>.

**القسم الثاني:** وهو الأعمال الخاصة بالأوقات من الليالي والأيام، فيبدو من خلال كتب الزيارة والأعمال وكذلك ما يستفاد من بعض النصوص أنَّ هناك أوقاتاً خمسة جاء الاهتمام بها خاصة.

(١) وسائل الشيعة ٧: ٢٨٠، ج ٣، ٧.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ٢٧٨، ج ١.

(٣) لنواره: ١٧، ج ٢.

(٤) مفاتيح الجنان: ١٥٦.

(٥) مفاتيح الجنان: ١٥٦ - ١٥٩.



الأول: هو اليوم الأول من شعبان وليلته، حيث جاء تأكيد صيامه، ونكر السيد ابن طاووس في الإقبال صلاة لليلة، بل لليلي الأولى الثلاث منه.

الثاني: يوم الخميس من الشهر الذي ذكر فيه الصلاة بركعتين يقرأ فيها فاتحة الكتاب مرة والتوحيد مائة مرة، ويعقب بعدهما بالصلاة على النبي وآله مائة مرة ليقضى له كل حاجة من أمور دينة ونياه.

الثالث: اليوم الثالث من شعبان الذي هو يوم مولد الإمام الحسين عليه السلام، فقد ورد فيه - كما ذكر الشيخ الطوسي في المصباح - عن الإمام العسكري عليه السلام أنه يستحب صيامه والدعاء فيه بدعاء الله تعالى خاص، فيه توسل بالله بحق الحسين والأئمة من ولده عليه السلام، وهو دعاء يتضمن مضامين عالية ويعبر عن الولاء للحسين والأئمة من ولده عليه السلام، والالتزام بنهجهم.

وكذلك ورد فيه عن الصادق عليه السلام الدعاء بما دعا به الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء عندما رأى كثرة أعدائه <sup>(١)</sup>.

الرابع: ليلة النصف من شعبان، وقد تقدم الحديث عنها في الشعائر عندما تناولنا الأيام والليالي.

الخامس: الأيام الأخيرة من الشهر ومنها آخر ليلة فيه، حيث ورد عن الرضا عليه السلام أنه قال: ومن صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصلها بشهر رمضان كتب الله تعالى له صيام شهرين متتابعين <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الصلت النهروي قال: «دخلت على الإمام الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان فقال لي: يا أبا الصلت، إن شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة فيه فتدارك فيما بقي منه تقصيرك فيما مضى منه، وعليك

(١) مغايب الجنان: ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) فضائل الأشهر الثلاثة: ٥٣، ح ٣١.

بالإقبال على ما يعينك، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتب  
إلى الله من ذنوبك؛ ليقبل شهر الله إليك وأنت مخلص لله عز وجل، ولا تدع  
أمانة في عنقك إلا أبيتها، ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنباً  
أنت مرتكبه إلا قلبت عنه، واتق الله وتوكل عليه في سرٍّ أمرك وعلاقتك،  
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾  
، وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر: اللهم إن لم تكن غفرت لنا  
فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه - فإن الله تبارك وتعالى  
يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار لحزمة شهر رمضان<sup>(١)</sup>.

كما ورد عن الصائغ عليه السلام دعاء يدعى به في آخر ليلة من شعبان وليلة  
من رمضان<sup>(٢)</sup>.

### ج - شهر رمضان

يعتبر شهر رمضان أفضل شهور السنة على الإطلاق كما نصت على ذلك  
الروايات العديدة، كما سيأتي.

وقد علت هذه الأفضلية - في القرآن الكريم - بنزول القرآن فيه: ﴿شَهْرُ  
رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى  
وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(٣)</sup>، ووجود ليلة القدر فيه التي هي خير من ألف شهر، كما أنها ليلة  
مباركة يفرق فيها كل أمر حكيم.

والظاهر أنه لأجل ذلك فرض الله تعالى هذا الواجب الإسلامي المهم - وهو  
الصوم - فيه لأفضله وعلو شأنه وزيادة في الاهتمام به، فهو شهر الصيام

(١) عيون أخبار الرضا ٥٦: ١، ج ١٩٨.

(٢) مفتاح الجنان: ١٧١.

(٣) البقرة: ١٨٥.

والصبر والقيام لوجود النواقل الكثيرة فيه، وهو شهر الاعتكاف بالمسجد، وهو شهر للقرآن الكريم وتعلم الإسلام والشرعية، وشهر الدعاء والمناجاة وشهر الذكر، وشهر الصدقة والإتفاق، وشهر جهاد النفس وجهاد العدو، وشهر التوبة المغفرة والرحمة وشهر العتق من النار والفوز بالجنة.

ولعل من أروع النصوص التي جاءت تتحدث عن شهر رمضان وفضله، خطبة رسول الله التي خطبها في آخر جمعة من شعبان ليعرف فيها بشهر رمضان، فقد رواها للصنوق في كتابيه الأمالي والعيون بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام في السلسلة الذهبية، عن أبيه الإمام موسى بن جعفر، عن أبيه الإمام جعفر بن محمد، عن أبيه الإمام محمد بن علي، عن أبيه الإمام علي بن الحسين، عن أبيه الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء، عن أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأئمة الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَمَلَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: لَيْهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَنِيَامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلِيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَاةِ اللَّهِ، وَجُعِلَتْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللَّهِ. انْقَلَسَكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدَعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بَنِيَّاتٍ صَادِقَةً، وَقُلُوبَ طَاهِرَةً أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لَصِيَامِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ النَّشْقِي مِنْ حَرَمِ غُرَرِ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ.

وانكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصنقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا السننكم، وغمضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم، وعما لا يحل الاستماع إليه سمعكم، وتحننوا على أيتام الناس يُتَحَنَّنْ

على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلاتكم، فإنها أفضل الساعات، ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عبادِهِ، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّيهم إذا نادوه، ويعطيهم إذا سألوه، ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيها الناس، إن أنفُسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أن الله أقسم بعزته ألا يعذب المصلين والساجدين، وآلا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أيها الناس، من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضى من ذنوبه. قيل: يا رسول الله، فليس كلنا نقرر على ذلك. فقال ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة، اتقوا النار ولو بشربة من ماء.

أيها الناس، من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسبه، ومن كف فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يقيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أتى فيه فرضاً كان له ثواب من أتى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة على نفل الله ميزانه يوم تحف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيها الناس، إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة، فاسألوا ربكم ألا

يخلقها عنكم، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم ألا يفتحها عليكم، وللشياطين مغلولة فاسألوا ربكم ألا يسلطها عليكم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقمت فقلت: يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله<sup>(١)</sup> الحديث.

والحديث عن فضل شهر رمضان حديث واسع لما يحظى به من أهمية خاصة، وما ورد فيه من النصوص الكثيرة، ولكن الشيء المهم الذي أكدته النبي صلى الله عليه وآله في خطبته والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام هو:

أولاً: الاستفادة من هذا الشهر الشريف والموسم العظيم الذي تتحول فيه الأوقات والأعمال إلى أوقات وأعمال ذات مداخل خاصة واسعة في الكم والكيف، وتتضاعف فيه السيئات والحسنات، وتنتهي فيه الفرصة لأن يتحول كل عمل للإنسان إلى عمل صالح وإلى أعلى درجات الصلاح.

ثانياً: أن الصوم فيه لا يعني الإمساك عن الطعام والشرب فحسب، بل الورع المطلق عن كل المحارم والسيئات والابتعاد عن كل العيوب والنواقص.

ثالثاً: التنوع في العبادة والممارسة العملية التي تقرب الإنسان من الله تعالى، بحيث يكون شاملاً لكل أنواع العبادة بدون استثناء، كما سوف نلاحظ ذلك في استعراض العبادات والأعمال في هذا الشهر.

رابعاً: وضع منهج عملي مفصل وشامل لتكثيف وتصعيد الممارسة العبادية بحيث يشمل كل الأوقات والأزمنة في هذا الشهر.

خامساً: اتخاذ القرارات المصيرية بشأن الإنسان من قبل الله تعالى في هذا

(١) عيون الخيال الرضا ٢: ٢٦٥، ح ٥٤، أمالي الصوفي: ١٥٢، ح ٤.

الشهر ولا سيما في ليلة القدر، الأمر الذي يراك منه نزول للرحمة الإلهية بشأن الإنسان.

سائماً: التعبئة الروحية والمعنوية والأخلاقية بحيث يكون الإنسان مؤهلاً لاستئناف العمل الجديد بعد عيد الفطر من موقع أعلى ودرجة أكمل. ومن للملاحظ - أيضاً - لئلا الاهتمام بهذا الشهر الشريف مما يُجمع عليه جميع المسلمين، بحيث تحول في مجموعه إلى شعار يتميز به المسلمون عن غيرهم، سواء في الشكل أم المضمون الفريد الذي لا يشبههم فيه أحد من الأمم والجماعات. ولكن المنهاج الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام يبقى - مع كل ذلك - منهجاً متميزاً عن سائر ما يعرفه المسلمون في خصائصه وتفصيله، كما سوف نتبين ذلك إن شاء الله.

### أعمال شهر رمضان

يمكن تقسيم أعمال شهر رمضان إلى صنفين رئيسيين، وسوف نحاول الاختصار على عناوينها مع الإشارة إلى مضمونها، وتترك التفاصيل لكثرتها إلى مراجعة كتب الدعاء والأعمال ومنها مفاتيح الجنان.

### الصنف الأول: الأعمال المشتركة

توجد في الصنف الأول عدة أقسام:

القسم الأول: الأعمال المشتركة بين الليالي والأيام.

القسم الثاني: الأعمال المشتركة لأول الليالي.

القسم الثالث: الأعمال المشتركة لوقت السحر من الليالي.

القسم الرابع: الأعمال المشتركة بين الأيام والنهار.

## ١ — الأعمال المشتركة بين الليالي والأيام

أما القسم الأول وهو الأعمال المشتركة فقد نكر أصحاب كتب الأعمال والدعاء عدة أمور، منها:

الأول: للدعاء بعد الفريضة أو في كل وقت، فقد ذكر العلامة القمي في مفاتيح الجنان أربعة نصوص للأدعية بعد الفرائض، ثلاثة منها بعد الفريضة، والرابع في كل وقت وهو الدعاء المعروف بدعاء الحج<sup>(١)</sup>، وهي أدعية ذات مضامين عالية تشتمل على طلب التوفيق للحج وليلة القدر والعشق من النار ودخول الجنة وتوسعة الرزق، والاهتمام بحل مشاكل المسلمين وتحقيق مصالحهم<sup>(٢)</sup>.

وقد روى الكليني والصدوق بسند معتبر دعاء آخر فيه تفصيل<sup>(٣)</sup>.

الثاني: قراءة القرآن وثلاثوته والإكثار من ذلك والتدبر فيه، فقد ورد في بعض الروايات أن الإنسان يحسن به أن يختم القرآن في الشهر مرة في سائر الشهور والأيام، وأما في شهر رمضان فالأفضل أن يختمه مرة واحدة في كل ثلاثة أيام<sup>(٤)</sup>.

وقد ورد في الكافي بطريق معتبر عن أبي الحسن موسى عليه السلام استحباب ختمه في كل يوم وليلة مرة أو أكثر، وذكر الثواب الجزيل في إهداء الختم إلى رسول الله والأئمة عليهم السلام من بعده، إذ يكون جزاؤه هو أن يحشر معهم في يوم القيامة<sup>(٥)</sup>.

الثالث: الذكر كالاستغفار والتسبيح والتلهيل والتكبير، فقد روي أن الإمام

(١) مصباح الكفعمي: ٦١٧.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٧٦ - ١٧٧.

(٣) الكافي ٤: ٥٧٢، ج ٣.

(٤) انظر الكافي ٢: ٦١٧.

(٥) الكافي: ٦١٨، ج ٤.

زين العابدين عليه السلام كان إذا دخل شهر رمضان لا يتكلم إلا بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير<sup>(١)</sup>.

الرابع: الصلاة حيث أعد في هذا الشهر منهاج للفواقل في الليالي والأيام يحسن بالإنسان أدائه قدر الإمكان.

## ٢ - الأعمال الخاصة بالليالي

وأما القسم الثاني وهو الأعمال المشتركة لأول الليالي فقد ذكر أصحاب كتب الأعمال والدعاء أموراً:

الأول: الإفطار، وهو تناول الطعام والشراب بعد انتهاء للنهار، ويستحب تأخيره عن صلاة العشاء، وله مستحبات، مثل: الإفطار على التمر أو الرطب أو الحلواء، كما أنه يستحب الدعاء عنده مثل قوله: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وعلىك توكلت» أو غيره من الأدعية.

وكذلك أن يقول عند أول لقمة: «بسم الله الرحمن الرحيم يا واسع المغفرة اغفر لي»، فإن في مثل هذه الأعمال أجراً عظيماً كالمغفرة، أو أجر صيام من صام في ذلك اليوم.

وكذلك قراءة سورة القدر عند الإفطار<sup>(٢)</sup>.

الثاني: الصدقة عند الإفطار، ولا سيما بما يفتقر به الصائمون، ولو بعدد من التمر أو شربة من الماء حسب القدرة والاستطاعة واليسر، ولهذا العمل أجر عظيم حيث يكون له أجر ذلك الصائم دون نقصان فجره وأجر ما عمله من خير

(١) الكليني: ٨٩، ح ٨. ولا شك أن المقصود من هذه النصوص هو الإشارة إلى الحالة العامة للإمام عليه السلام، ما لم يراحم هذا العمل عملاً آخر أفضل أو قضاء الحاجات الضرورية للعالية للإنسان، منه قسم سره.

(٢) مفاتيح الجنان: ١٧٨.



بقوة ذلك الطعام، أو أجزع عقق ثلاثين رقبة وتكون دعوته مستجابة<sup>(١)</sup>.

**الثالث:** قراءة سورة معينة من القرآن مثل القدر ألف مرة أو الدخان مائة مرة كل ليلة إن تيسر ذلك<sup>(٢)</sup>.

**الرابع:** الدعاء، وأهم صيغه المعروفة هو دعاء الافتتاح، الذي يحتوي على مضامين عالية وعلى صلاة على النبي وآله، وعلى دعاء خاص للإمام الحجة المهدي المنتظر، وعلى تعبئة روحية وجهادية عالية.

وقد ذكر العلامة القمي نصوصاً ثلاثة أخرى من الدعاء لكل ليلة<sup>(٣)</sup>.

**الخامس:** الصلاة، حيث يستحب له أن يصلي ألف ركعة في جميع ليالي شهر رمضان يقسمها على لياليه، وتسمى بنوافل شهر رمضان، وتوجد في تقسيمها صيغ عديدة اختار العلامة القمي منها الصيغة التي اختارها قبله الشيخ المفيد (قدس سره)، ونسبها أيضاً إلى المشهور، وهي أن يصلي عشرون ركعة في كل ليلة من الليالي العشر الأولى والثانية، يسلم بعد كل ركعتين ويؤتي بثمانية ركعات منها بعد صلاة المغرب والباقي بعد صلاة العشاء، ويؤتي بثلاثين ركعة على النحو السابق في كل ليلة من الليالي العشر الأواخر فيكون المجموع سبعمائة ركعة، ويأتي في كل من الليلة للتاسعة عشرة والحادية والعشرين والثالثة والعشرين بمائة ركعة مضافاً إلى ما سبق، فيكون المجموع ألفاً من الركعات.

كما يستحب أن يأتي في كل ليلة بصلاة ركعتين بالحمد مرة والتوحيد ثلاث

(١) مفاتيح الجنان: ١٧٨.

(٢) مفاتيح الجنان، ولعل قراءة القدر تعادل الإنكار في شهر رمضان، أو تعوض عن قراءة القرآن المطلوبة لمن لا يتيسر له ذلك. والله هو العالم. منه قنس سره.

(٣) مفاتيح الجنان: ١٧٩ - ١٨٣.

مرات، ثم يقول بعد للسلام: «سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو»، ثم يأتي بالتسبيحات الأربع سبع مرات، ثم يقول: «سبحانك سبحانك سبحانك يا عظيم اغفر لي الذنب العظيم»، ثم يصلي على النبي وآله عشر مرات.

فقد ذكر الكفعمي في هامش كتابه البلد الأمين أنه من أتى بهذه الصلاة غفر الله له سبعين ألف سيئة<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الأعمال الخاصة بالأسحار

وأما القسم الثالث وهو الأعمال المشتركة لوقت الأسحار من الليالي، فقد ذكر الشيخ الطوسي وغيره من أصحاب كتب الدعاء والأعمال عدة أمور:

الأول: تناول السحور ولو شيئاً قليلاً من الطعام أو الشراب، وأفضله السويق والتمر، وله آداب منها قراءة سورة القدر عنده.

الثاني: الدعاء والمناجاة لله تعالى، وهما أهم أعمال هذا الوقت، وقد ذكرت مجموعة من الأدعية المهمة يأتي في مقدمتها دعاء (القبهاء) الذي يشتمل على الدعاء بتمجيد الله تعالى والتوسل به بصفاته، وهو دعاء مروي عن الإمام الرضا عليه السلام حيث ذكر أنه دعاء جده الإمام الباقر عليه السلام. وقد ورد بشأنه أنه يستجاب في قضاء الحاجات.

وكذلك الدعاء قرأت العظيم الفريد الذي رواه أبو حمزة الثمالي والمعروف باسمه، والذي قال فيه إن الإمام زين العابدين كان يصلي عامة الليل في شهر رمضان، فإذا كان السحر دعا بهذا الدعاء: «إلهي لا تؤذيني بعقوبتك ولا تمكر بي في حيلتك» إلى آخر الدعاء، وهو من الأدعية الطويلة الممتينة القوية في بيانها

(١) مفتاح الجنان: ١٨٣ - ١٨٤.

وإنشائها، والعالية في مضامينها والمتنوعة في أساليبها والمتعددة في فصولها. وله دور عظيم في التربية والبناء الروحي، وفي تقوية العلاقة بالله تعالى وتعليم مناجاته والثناء عليه وتمجيده.

ويمثل هذا الدعاء وما يقاربه أو يشابهه امتيازاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتأكيداً لعلمهم وإمامتهم وبورهم في الحياة الإسلامية، وتوضيحاً لمنهجهم في بناء الجماعة الصالحة والأهداف السامية لهذا البناء، ومنها إيجاد هذه الجماعة المتكاملة في جانبها الروحي والمعنوي.

ومضافاً إلى هذين الدعاءين وردت أدعية أخرى يمكن الاطلاع عليها من خلال مراجعة مفاتيح الجنان<sup>(١)</sup>.

#### ٤ — الأعمال الخاصة بالأيام

وأما القسم الرابع وهو الأعمال المشتركة بين أيام شهر رمضان، فقد ذكر أصحاب كتب الدعاء والأعمال عدة أمور أيضاً:

الأول: الدعاء، حيث وردت مجموعة من نصوص وصيغ دعائية في أيام شهر رمضان، أهمها ما ذكره الشيخ الطوسي في المصباح والسيد ابن طاووس الذي أوله: «اللهم هذا شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ذكر دعاء آخر تشبه مقدمته دعاء البهاء، ويتضمن بعد ذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته والأنبياء والملائكة، ثم الدعاء لرسول الله صلى الله عليه وآله والثناء عليه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) مفاتيح الجنان ١٨٤ - ٢٠٢، وفي الليل أو في السحر أو ما بعد السجود يجب على الصائم أن يثني صوم غد من أيام شهر رمضان.

(٢) مفاتيح الجنان ٢٠٢.

(٣) مفاتيح الجنان: ٢١٣ - ٢١٤.

الثاني: الذكر لله تعالى وتمجيده وتعداد أسمائه، وقد ذكر نصاً يشتمل على عشر فقرات من التسيبحات في كل فقرة عشر تسيبحات تتناول شرح اسم الله وبصره وخلقه وعلمه وملكه وغير ذلك<sup>(١)</sup>.

الثالث: الصلاة والسلام على النبي وآله، وقد ذكر كل من الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس نصاً رائعاً في الصلاة والسلام والثناء والمدح لرسول الله وآله المعصومين عليهم السلام، يبدأ بقوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** لبيك يا رب العالمين...<sup>(٢)</sup>.

### الصف الثاني: الأعمال المختصة

وينقسم إلى عدة أقسام أيضاً:

القسم الأول: الأعمال الخاصة باستقبال شهر رمضان.

القسم الثاني: الأعمال الخاصة بالليالي البيض.

القسم الثالث: أعمال ليالي القدر.

القسم الرابع: أعمال العشر الأواخر من شهر رمضان والوداع.

القسم الخامس: أعمال الأيام المخصصة

### ١ - أعمال الليلة الأولى ويومها

لقد أعار الإسلام وأهل البيت عليهم السلام الليلة الأولى لشهر رمضان عناية خاصة، وكذلك الحال في اليوم الأول. ويتجسد ذلك في عدة أمور:

الأول: استهلال الشهر واستقباله، حيث نجد الروايات متطابقة على أنَّ

(١) مفاتيح الجنان: ٢٠٧.

(٢) مفاتيح الجنان: ٢١٠.

النبي ﷺ وأهل بيته كانوا يعيرون الاستهلال أهمية خاصة، حتى أصبح من المستحبات المؤكدة<sup>(١)</sup>، وله دعاء جاءت له صيغ متعددة مروية عن رسول الله ﷺ وعن أهل بيته الأئمة المعصومين ﷺ<sup>(٢)</sup>، ولعل من أنواع هذه الصيغ الدعاء الثالث والأربعين من الصحيفة السجادية.

الثاني: للغسل والطهور لا سيما في النهر الجاري، وصب الماء على الرأس ثلاثين كفاً.

الثالث: زيارة الإمام الحسين ﷺ.

الرابع: الصلاة حيث يبدأ بنوافل رمضان ويضيف إليها صلاة ركعتين يقرأ فيها الحمد مرة والأنعام مرة، ويسأل الله أن يقيه المخاوف والأسقام.

الخامس: الدعاء، وقد ذكرت عدة صيغ للأدعية الشريفة في هذه الليلة المباركة، ومنها دعاء الإمام الجواد ﷺ الذي يرويه عنه ابن طاووس: «اللهم يا من عليك التبشير وهو على كل شيء قدير...»، وكذلك دعاء الليلة الأخيرة من شعبان.

وقد ذكر دعاء الجوشن الكبير ودعاء الحج من أدعية هذه الليلة أيضاً.

ويشترك اليوم الأول من حيث النوع في مجمل هذه الأعمال باستثناء الاستهلال وزيارة الإمام الحسين ﷺ، وإن كانت صيغ للصلاة والدعاء مختلفة.

وقد روى الكليني والشيخ الطوسي وغيرهما - على ما نقل عنهما العلامة المجلسي - بسند صحيح عن الإمام موسى الكاظم ﷺ دعاءً خاصاً باليوم

(١) وقد ذكر العلامة القمي أن بعض العلماء أرجبه.

(٢) مفاتيح الجنان ٢٦٥.

الأول من هذا الشهر، يبدأ بقوله: «اللهم إني أسألك باسمك الذي دان له كل شيء...»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الأعمال الخاصة بالليالي البيض

تشتري الليالي البيض ومنها الليلة الخامسة عشرة للأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان بصلاة خُصّة ذكرناها في أعمال شهر رجب.  
ولكن مضافاً إلى ذلك نُكرّ الغسل وبعض الصلوات الأخرى في الليالي البيض لشهر رمضان، واختصت الليلة الخامسة عشرة بعدة أعمال:  
أ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

ب - الصلاة حيث نكرت لها صيغتان: إحداهما: عشر ركعات عند قبر الإمام الحسين عليه السلام من بعد العشاء غير صلاة الليل، يقرأ في كل منهما الفاتحة مرة والتوحيد عشر مرات. وثانيتهما: صلاة مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة التوحيد عشر مرات<sup>(٢)</sup>.

## ٣ - أعمال ليالي القدر

لقد تقدم الحديث عن أعمال ليالي القدر الثلاث العامة والخاصة كل واحدة منها، وكذلك الحديث عن أهمية ليلة القدر، وذلك في بحث الليالي والأيام من نظام الشعائر.

(١) مفاتيح الجنان ٢١٧ - ٢٢١، وقد نكر في دعاء الإمام الكاظم عليه السلام قال: «ادع بهذا الدعاء في شهر رمضان في أول السنة» وقد فهم العلماء من ذلك اليوم الأول لثلاثة الليالي الأولى منه.

(٢) مفاتيح الجنان ٢٢٣.

#### ٤ - أعمال العشر الأواخر من شهر رمضان والوداع

اختصت العشر الأواخر من شهر رمضان بأهمية خاصة كما أشرنا سابقاً، حيث كان رسول الله ﷺ يطوي فرائشه ويشد مئزره للعبادة فيها، ويمثل العمل فيها تصعيداً لصركة العبادة في شهر رمضان، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار وجود الاحتمال الأقوى في وقوع ليلة القدر فيها.

وقد ورد لهذه الليالي بعض الأعمال والأدعية الخاصة.

فعلى مستوى الأدعية وردت أدعية خاصة بكل ليلة من هذه الليالي، كما وردت بعض نصوص الأدعية لكل هذه الليالي العشرة، ومنها دعاء: «اللهم إنك قلت في كتابك المنزل شهر رمضان...».

كما ورد الغسل في الليلة السابعة والعشرين، والدعاء من أول الليل إلى آخره بما روي عن الإمام زين العابدين: «اللهم ارزقني التجاقي عن دار الخرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الفوت».

وقد ورد في الليلة الأخيرة واليوم الأخير مجموعة خاصة من الأعمال تعبر عن وداع هذا الشهر الشريف، ومنها:

أ - الغسل في الليلة الأخيرة.

ب - زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

ج - قراءة سورة الأنعام والكهف ويس.

د - الاستغفار مائة مرة.

هـ - نصوص من الأدعية، ولعل أحسنها الدعاء الخامس والأربعون من الصحيفة المسجدية، وأن يقول ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «اللهم لا

تجعله آخر العهد من صيامي لشهر رمضان، وأعوذ بك أن يطلع فجر هذه الليلة إلا وقد غفرت لي» حيث يفر له.

## ٥ - أعمال الأيام والليالي المخصوصة

فقد ذكر العلامة القمي عن المجلسي رحمهما الله في زاد المعاد صلوات خاصة بكل ليلة من ليالي شهر رمضان، وكذلك أدعية خاصة بكل يوم من أيامه يمكن مراجعة تفاصيلها في المفاتيح<sup>(١)</sup>.

ملاحظة: يبدو من خلال هذا الاستعراض واضحاً ما ذكرناه في البداية من أن هذا الشهر الشريف يمتاز عن بقية الشهور بهذا المنهج العبادي الواسع والمتنوع، والذي أريد فيه للإنسان الصالح أن يتكامل روحياً ومعنوياً، وللمجاعة الصالحة أن تحقق الهدف من وجودها، وهو عبادة الله تعالى على الأرض، وتصبح مثقلة ومعدة إعداداً كاملاً لاتخاذ القرارات المصيرية بشأنها في ليالي القدر، وليلة العيد التي هي ليلة الوفاء بالأجر، كما جاء ذلك في الرواية الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام.

## منهج عبادة الحج والعر والأوائل من ذي الحجة

تعتبر عبادة الحج من أهم العبادات الإسلامية، وتفكر بعض النصوص أنها تأتي بالدرجة الثانية بعد الصلاة في الأهمية والأفضلية، وإنه لحد الجهادين.

فقد روى الكليني بطريق معتبر عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: «سمعت أبا عبد الله يقول ويذكر الحج فقال: قال رسول الله ﷺ: هو أحد الجهادين، هو

(١) مفاتيح الجنان: ٣٢٨ - ٣٤٢، وتامل في ملاحظة العلامة القمي على الأدعية في الصفحة ٢٤٢.



جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء. أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة، وفي الحج ما هنا صلاة وليس في الصلاة قبلكم حج»<sup>(١)</sup>.

كما أنَّ الحج عماد الدين وقوام وجوده، فقد ورد في الحديث: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»<sup>(٢)</sup>.

ولهذه العبادة جذر تاريخي يمتد إلى ما قبل وجود آدم على الأرض، وإن كانت الدعوة إلى الحج فرضاً ولجاً على الناس جميعاً قد بدأت من إبراهيم عليه السلام.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة فقالت: يا آدم، بر حجتك. أما إننا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجه بألفي عام»<sup>(٣)</sup>.

كما روى أيضاً بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء البيت وتم بناؤه، قعد إبراهيم على ركن ثم نادى: هلم الحج، هلم الحج، فلو نادى هلقوا إلى الحج لم يحج إلا من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً، ولكنه نادى: هلم الحج، فلبى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله لبيك داعي الله عز وجل، فمن لبى عشرأ يحج عشرأ، ومن لبى خمسأ يحج خمسأ، ومن لبى أكثر من ذلك فبعدد ذلك، ومن لبى واحداً حج واحداً، ومن لم يلب لم يحج»<sup>(٤)</sup>.

ويجب الحج في العمر مرة واحدة على الإنسان البالغ المستطيع، الذي يملك مصاريف السفر ونفقاته، ويرجع إلى أهله مع وجود ما يكفيهم دون أن

(١) الكافي ٤: ٢٥٣، ح ٧.

(٢) الكافي ٤: ٣٧١، ح ٤- والحديث معتبر السند.

(٣) وسائل الشريعة ٨: ٥، ح ٦.

(٤) الكافي ٤: ٢٠٦، ح ٦.

يؤدي ذلك إلى اضطراب في حياته المعيشية أو حرج في أوضاعه الشخصية. ولكن في الوقت نفسه يستحب للإنسان استجابةً مؤكداً تكراره، فهو أفضل من كثير من العبادات<sup>(١)</sup>.

ولا يجوز تعطيل الكعبة والصح، ويجب على ولي أمر المسلمين إلزام المسلمين أن يقوموا بأداء هذا الواجب، والإنفاق عليه إذا لم يتحقق ذلك بشكل اعتيادي.

وهناك تفاصيل كثيرة ترتبط بهذا الموضوع تناولها الفقهاء في كتاب الحج والرسائل العملية الخاصة به المسماة (مناسك الحج).

## أقسام الحج

ويكاد أن يتفق المسلمون على أنواع الحج الثلاثة وتفاصيل أعماله الأساسية، وهذا من البركات الإلهية بالامة الإسلامية ويعبر عن وحدتها.

فانقسام الحج ثلاثة:

١ - التمتع، وهو أفضلها وأهمها، وهو واجب على الأفراد الذين يسكنون في مناطق تبعد عن مكة أكثر من تسعين كيلو متراً تقريباً، وهم من يعبر عنهم القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يَمُنُّونَ أَهْلُ مَكَّةَ حَاكِمِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، ويصطلح عليهم للفقهاء بأهل الأقاليم.

٢ - الإفراد، وهو أن يحرم بالحج أولاً من الميقات أو من منزله ثم يأتي بعمرة مفردة بعده، ويجب على الأشخاص الذين يكونون قريبين من مكة من

(١) فقد ورد أن الحج أفضل من العتق والصدقة والجهاد - كما سوف نشير - وأنه يستحب تقديمه على حوائج الدنيا، إلى غير ذلك من التفاصيل التي تعطي للحج ينظر أهل البيت قيمة عالية وخصوصية مميزة. راجع جامع لمناقب الشيعة ١٠: ١٤٩ - ٢١٦، أبواب فضائل الحج.

حاضري المسجد الحرام، ويتميز عن حج التمتع بالإضافة إلى موضوع الإحرام بالحج أنه لا هدي ولا أضحية فيه.

٣ - القرآن، وهو كحج الأفراد، ولكن يقرن فيه الحاج إحرامه بوضع شعار على عنقه الذي يسوقه معه منذ بداية الإحرام حتى يذبحه في منى يوم العيد.

### أعمال حج التمتع

وخلاصة حج التمتع هي أن يحرم الحاج بعمره التمتع من أحد العواقيت الخمسة التي وضعها رسول الله لأهل الآفاق، وهي نو الحليفة لأهل المدينة ومن يمر عليها، والجحفة لأهل الشام ومن يمر عليها، ويملم لأهل اليمن ومن يمر في طريقهم، وقرن المنازل لأهل نجد ومن يمر في طريقهم، وادي العقيق لأهل العراق ومن يمر في طريقهم.

والإحرام هو أن يتجرد الإنسان من ملابسه العادية ويلبس ثوبي الإحرام اللذين يكونان على شكل رداء وإزار غير مخيطين، ويلبي بالعمره فيقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إني الحمد والنعمة لك لا شريك لك». ويمتنع بعد ذلك عن مجموعة من المحللات والمحرمات، ومنها النساء والطيب واللباس وتغطية الرأس والفسوق والجذال والصيد الخ.

ثم يأتي مكة فيطوف بالكعبة الشريفة سبعة أشواط مبتعثاً بالركن الذي يقع فيه الحجر الأسود، ويختم به ثم يصلي ركعتي الطواف عند مقام إبراهيم.

ثم يأتي إلى الصفا فيبدأ بالسعي منها إلى العروة، وهما جبلان صغيران يمشي بينهما سبع مرات، أربع مرات من الصفا إلى العروة وثلاث مرات من العروة إلى الصفا حيث يختم السعي بالعروة.

ثم يقصر بلى يأخذ شيئاً من شعره أو أظفاره.

وبعد التقصير يخل من إحرامه ويرجع إلى حاله الطبيعي، ويبقى ينتظر وقت الحج حيث يجب عليه أن يحرم مرة أخرى بالحج من مكة المكرمة يوم الثامن من ذي الحجة، ويخرج إلى عرفات ليمكث فيها من زوال الشمس إلى غروبها يوم التاسع من ذي الحجة، وهو المسمى بالوقوف في عرفات. وبعد غروب الشمس ينفر ويتحرك إلى المشعر الحرام ليبقى فيه إلى طلوع الشمس.

وفي اليوم العاشر يأتي إلى منى ليرمي جمرة العقبة بسبع حصيات صغار يلتقطها من الحرم ومنه المشعر، ثم يذبح هديه من الغنم أو البقر أو الجمال، ثم يحلق رأسه أو يقصر فيتحلل من إحرامه عدا الطيب والنساء. ثم يأتي البيت الحرام مرة أخرى ليطوف حول الكعبة سبعة أشواط ويصلي عند مقام إبراهيم، ويسعى بين الصفا والمروة كذلك سبعة أشواط فيحل له الطيب.

وعليه أن يأتي بطواف آخر لتحل له للنساء، وهو ما يسمى في مصطلحات فقه أهل البيت عليه السلام بطواف النساء، وفي فقه الجمهور بطواف الوداع.

كما على الحاج أن يبيت في منى ليلتي الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة من أول الليل إلى منتصفه، أو من منتصفه إلى آخره على الأقل. وإن كان يستحب له - بل يجب عليه في بعض الحالات - أن يبيت الليلة الثالثة عشرة.

وعليه - أيضاً - أن يرمي الجمرات الثلاث الأولى (الصغرى) والثانية (الوسطى) والثالثة (العقبة) - التي رماها يوم العيد - بسبع حصيات لكل منها، وذلك يوم الحادي عشر والثاني عشر، وكذلك الثالث عشر لمن بات ليلته في منى.

هذه هي خلاصة صورة حج التمتع وواجباته في نظر فقه أهل البيت عليهم السلام.

وهناك تفاصيل وآداب ومستحبات وفروض يتعرض لها الحاج لا مجال لذكرها. وتكاد أن تكون هذه الصورة مطابقة تماماً لما يذهب إليه بقية مذاهب المسلمين، باستثناء بعض التفاصيل للقليلة جداً أو الخيارات أو التقديم والتأخير في الآثار والمترتبات أو المشروع في الأعمال.

## امتيازات الحج

ويمكن أن نشير هنا إلى بعض الميزات التي تتميز بها هذه العبادة عن غيرها من العبادات الأخرى، ونذكر منها ثلاثاً:

**الأولى:** أن هذه العبادة - كما أشرنا - تشتمل على عدة أنواع من العبادات، كالصلاة والصوم والجهاد والزكاة، فالطواف بالبيت صلاة بالإضافة إلى وجود صلاة الطواف، والإحرام مع محرّماته نوع من الصوم، والإمسك عن الطيبات والشهوات، والإنفاق والهدي نوع من الزكاة، والمشقة والسفر والأعمال المضنية نوع من الجهاد، مضافاً إلى العبادات الأخرى كالوقوف والرمي والحلق، فإنها ذات طبيعة مميزة لا نظير لها في العبادات الأخرى.

**الثانية:** الممارسة الجماعية الواسعة لهذه العبادة، حيث يأتي المسلمون الحاج من طبقات الأمة كلها، ومن كل فج عميق، ليؤنّوا هذه الفريضة في أيام معلومات بشكل جماعي، ويلجأوا فيها النداء الإلهي الذي أطلقه إبراهيم عليه السلام، يتحركون به على صعيد واحد وبشكل واحد يعبر عن المساواة الحقيقية بين بني البشر، ويحقق الوحدة الكاملة للأمة بشكل عملي.

**الثالثة:** تنوع الأهداف المنشودة من هذه العبادة، سواء على مستوى الفرد أم الجماعة، أم في جانبها المادي والروحي، أم في أبعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والأخلاقية.

وشرح ذلك وإن كان يحتاج إلى حديث واسع، ولكن يحسن بنا أن نشير فيه إلى بعض نصوص أهل البيت (عليه السلام) التي تناولت بعض الأبعاد الروحية والعبادية، وكذلك الأهداف المقدسة التي استهدفتها هذه العبادة الشريفة.

فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): «وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام. يردونه ورود الأنعام، ويكفون إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإنعائهم لعزته، واختار من خلقه شفاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه. يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته. جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً، وللعالمين حرماً. فرض حقه وأوجب حجه، وكتب عليكم وقادته، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾» (١).

وقد روى المصنوق، عن الفضل بن شاذان - في حديث العلل التي سمعها من الرضا (عليه السلام) - قال: «فإن قيل: فلم أمر بالحج؟ قيل: لعل الوفاة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة، والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، مع ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد وحظر النفس عن اللذات، شاخصاً في الحر والبرد تلك ثابتاً عليه دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، وذلك لطلب الرغبة إلى الله والرهبة منه وترك قساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل وتجديد الحقوق وحظر عن الفساد مع ما في ذلك من المنافع لجميع

(١) نهج البلاغة ١: ٢٧، الخطبة ١.

من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لم يحج من بين تاجر وجائب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين ومكار وفقير، وقضاء حوائج اهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، مع ما فيه من التفقه ونقل اخبار الأنمة ﷺ إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عز وجل: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) لِيَتَفَقَّهُوا مِّنْهُمْ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ .

فإن قيل: فلم أمروا بحجة واحدة لا أكثر من ذلك، قيل: لأن الله تبارك وتعالى وضع الفرائض على أنبي القوم قوة، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا أَسْتَوِرَ مِنْ أُمَّةٍ﴾ يعني شاة ليسع القوي والضعيف، وكذلك سائر الفرائض إنما وضعت على أنبي القوم قوة فكان من تلك الفرائض الحج المفروض واحداً، ثم رغب بعد اهل القوة بقدر طاقتهم» (١).

وروى الصدوق أيضاً عن محمد بن سنان عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله أن علة الحج «الوفادة إلى الله تعالى وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترب، وليكون ثلثاً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن الشهوات واللذات، وللتقرب في العبادة إلى الله عز وجل والخضوع والاستكانة والذل، شاخصاً في الحر والبرد والامن والخوف دليلاً في ذلك دائماً.

وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبة إلى الله سبحانه وتعالى، ومنه ترك مساواة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق وحظر الأنفس عن الفساد،

(١) علل الشرائع: ٢٧٢، ح ٩.

ومتنفعة من في المشرق والمغرب ومن في البر والبحر ومن يحج ممن لا يحج، من تاجر وجالب وبائع ومشترى وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها. كذلك يشهدوا منافع لهم. وعلة فرض الحج مرة واحدة لأن الله تعالى وضع الفرائض على أنبي القوم قوة، فمن تلك الفرائض الحج المفروض واحداً ثم رغب أهل القوة على قدر طاقتهم»<sup>(١)</sup>.

### خصائص نظرية أهل البيت في الحج

ويحسن بنا بعد هذا الاستعراض أن نذكر بشكل مختصر الخصائص التي تميز نظرة أهل البيت عليهم السلام إلى الحج، وفهمهم للدور الذي يمكن أن تقوم به هذه العبادة في حياة الأمة الإسلامية بشكل عام، والجماعة الصالحة بشكل خاص. علماً بأننا أكدنا أن هذه الفريضة العظيمة تحظى باهتمام جميع المسلمين، وتعتبر من الشعائر والعبادات التي يتفق عليها جميع المذاهب الإسلامية، وتتوحد فيها كلمتهم وتعبير عن وحدة وجود الأمة وكيانها.

وهذه الخصائص التي نشير إليها تعبر عن ميزات إضافية إلى هذا الموقف والفهم العام للمسلمين جميعاً.

#### الأول: سعة دائرة الاهتمام

الاهتمام الواسع بالحج على مستوى حديث أهل البيت وتناول جميع الشؤون والتفاصيل، سواء على مستوى التصور العام للحج وتاريخه وفضله وقيمته ودرره وأهدافه، أم على مستوى الأحكام الفقهية لأعمال الحج

(١) علل الشرائع ٢: ٤٠٤، ح ٥.



والقسامه، والفرضيات المختلفة التي يمكن أن يبطل بها أبناء الأمة وكيفية معالجتها.

ويمكن معرفة ذلك بمقارنة بسيطة وسريعة بين ما ورد وأثر عن أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المجال، وما تحدثوا فيه عن رسول الله بشكل مباشر أو غير مباشر، وبين ما ورد عن طريق غيرهم، حيث تشكل المادة التي وردت عن أهل البيت من حيث الكم<sup>(١)</sup> والكيف نسبة مضاعفة عدة مرات بالقياس لما ورد عن طريق غيرهم.

ولعل في هذين النموذجين ما يشير إلى هذه الحقيقة بوضوح:

**الأول:** الرواية التي تذكرها كتب الحديث المعروفة لدى الجمهور عن الإمام الباقر (عليه السلام)، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، والتي تتحدث عن حج رسول الله حجة الوداع بتفاصيل لا نراها في أي رواية أخرى في هذه الكتب، وتمثل بذلك أساساً فقوياً لجميع مدارس الفقه الإسلامية في موضوع الحج<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** ما رواه الصدوق بسند معتبر عن زرارة بن أعين قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلني الله فداك، أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتنني». فقال: يا زرارة، بيت حج إليه قبل آدم (عليه السلام) بألفي عام تريد أن تفني مسائله في أربعين عاماً<sup>(٣)</sup>.

فإن هذا النص يعبر بشكل رائق وواضح عن سعة دائرة الاهتمام عملياً وخارجياً، ويفسرنا بهذا الجانب التاريخي لهذه العبادة الشريفة.

(١) فقد ذكر صاحب جامع أحاديث الشيعة - علي سبيل المثال - في خصوص الروايات التي تتحدث عن تاريخ الحج وفضله وشؤونه العامة ثمانمائة وواحداً وثلاثين حديثاً.

(٢) التاج للجامع للأصول ٢: ١٥٢، عن صحيح مسلم وستن أبي داود.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٥١٩، ح ٣١١١.

## الثانية: سعة المضمون العبادي

اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالمحتوى والمضمون العبادي لجميع أعمال الحج والمناسك، حتى لا يكاد أن يؤدي الحاج أي عمل من أعمال الحج إلا ويكون إلى جانبه شيء من الصلاة أو الدعاء أو الذكر يسبقه أو يلحقه أو يقارنه، بل إن ذلك يصلح للحاج ويبدأ معه منذ عزمه على السفر إلى الحج وحتى رجوعه منه. وهناك مئات النصوص والروايات تناولت هذا الموضوع<sup>(١)</sup>.

وسوف نتناول في الفصل الآتي بعض تفاصيل هذا المضمون العبادي الواسع إن شاء الله.

## الثالثة: زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والمساجد

إكمال الحج بزيارة النبي صلى الله عليه وآله والمسجد النبوي الشريف، وهذا ما يصنعه جميع المسلمين بشكل عام<sup>(٢)</sup>، ولكن أهل البيت سلام الله عليهم أعطوا لهذا الموضوع أهمية خاصة في الكم والكيف.

أما على مستوى الكم فهم يحثون على زيارة أئمة الهدى من آل الرسول صلى الله عليه وآله الذين دفنوا في البقيع، وهم الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، والإمام علي بن الحسين وولده الإمام محمد بن علي بن الحسين وولده الإمام جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام.

(١) راجع وسائل الشريعة ٨: ٢٤٨ - ٢٢٨، أبواب آداب السفر إلى الحج وهي ثمانية وستين باباً.

(٢) باستثناء ما يذهب إليه الوهابيون من تحريم شد الرحال لزيارة النبي صلى الله عليه وآله، وإنما يجوزونها لمن حضر (المدينة)، نعم يجوز شد الرحال - في نظرهم - إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله في المدينة وتكون الزيارة للنبي في فاعل زيارة المسجد الشريف. منه نفس سره.

وكذلك أمهم للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله المدفونة في بيتها<sup>(١)</sup> في جوار المسجد النبوي، وزوجات النبي ﷺ وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين وبقيّة الصحابة الصالحين، وشهداء معركة أحد وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ.

مضافاً إلى ذلك كله نجد الاهتمام البالغ بزيارة مساجد رسول الله ومواقع صلواته ودعائه ومواقفه، وكذلك مواضع الحوادث التاريخية والكرامات الإلهية. وفي مقدمة هذه المواضع مسجد قبا والفتح والقبيلتين، ومسجد أحد، ومسجد علي عليه السلام وسلمان الفارسي وفاطمة الزهراء والغمامة، ومشربة أم إبراهيم وغيرها.

وكذلك زيارة (الأبطح) في مكة الذي فيه قبر خديجة أم المؤمنين وقبر أبي طالب وغيرهما من الصالحين، وشعب أبي طالب، وغار حراء، ودار الأرقم، ودار الندوة وغيرها من الأماكن التاريخية الإسلامية المهمة، التي تذكر المسلمين بعزمهم وشرفهم وتضحياتهم والصعوبات التي واجهتها الرسالة، وتشدهم إلى هذا التاريخ العظيم وتبعث في نفوسهم الهمم والنهضة، وتحيدهم إلى أسباب النصر والاستقلال والكرامة<sup>(٢)</sup>.

وأما على مستوى الكيف فهم يعتبرون زيارة النبي ﷺ والأئمة من أهل

(١) هناك احتمالات متعددة في موضع دفنها أظهرها أنه في بيتها، واحتمال آخر أنه في البقيع والسبب في ذلك هو أنّ الصديقة سلام الله عليها - نظراً لسياسة - لوصت عليها ﷺ أنّ يخفي محل دفنها، وطلبت منه عدم السماح بمشاركة الشيعيين في تشييعها؛ لأنها حالت غاضبة عليهما، كما نصت على ذلك النصوص التي رواها جميع المسلمين.

(٢) إنّ من الملاحظ - مع الأسف - أنّ هناك صراحة لخص هذه الآثار وإلقاء الستار عليها، بحيث لا يتم الاهتمام بها، بل هناك عمل منظم لإبعاد الحجاج عنها.

البيت من إكمال الحج وإتمامه، كما وردت في ذلك النصوص التي أشرنا إلى بعضها في بحث الزيارات ومنها زيارة رسول الله ﷺ.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم. فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعا لهم يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وعن إسماعيل بن مهران، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إذا حج لحكم فليختم حجه بزيارتنا؛ لأن ذلك من تمام الحج»<sup>(٢)</sup>.

وكنذك عن علي عليه السلام (في حديث الأربعمئة) قال: «اتموا برسول الله ﷺ حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام؛ فإن تركه جفاء، وبذلك أمرتكم واتموا بالقبور التي ألزمكم الله عز وجل حقها وزيارتها واطلبوا الرزق عندها»<sup>(٣)</sup>.

وقد روى الكليني في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تمام الحج لقاء الإمام»<sup>(٤)</sup>.

#### الرابعة: تشخيص الموقف السياسي العام

إهتم أهل البيت عليه السلام أن يكون الحج اجتماعاً سنوياً، يعقده المسلمون ليعرفوا فيه موقفهم السياسي العام والمواقف الهامة التي تهم المسلمين جميعاً.

وقد أخذوا ذلك عن رسول الله ﷺ والقرآن الكريم.

ففي السنة الأولى لقتي حج فيها المسلمون بعد الفتح نزلت سورة براءة،

(١) الكافي ٤: ٥٦٧، ح ٢.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ٢٩٢، ح ٢٨.

(٣) الخصال ٦١٦، ح ١٠.

(٤) الكافي ٤: ٥٤٩، ح ٢.

ليعلن فيها القرآن الكريم والنبى ﷺ الموقف السيلسي الهام، وهو البراءة العامة من المشركين.

وفي حجة الوداع تجد أن خطبة النبي ﷺ في منى تتضمن هذه المفاهيم السياسية والاجتماعية.

كما أنه أعلن في نهاية الحج الولاية لعلي ﷺ على المسلمين في موقع غدير خم، وهذا مما رواه جميع المسلمين، حيث قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»<sup>(١)</sup>.

كما أن للنصوص السابقة التي ثبتناها حول الأهداف تشير إلى هذا الهدف والخط العملي في عبادة الحج.

وهذا مما تفرضه طبيعة هذه العبادة الشريفة، وهذا الاجتماع العظيم السنوي الذي يأتي فيه نخبة من أبناء الأمة الإسلامية وذو القدرة والاستطاعة فيها.

### الخامسة: لقاء الإمام والقيادة الإسلامية

الاهتمام بلقاء الإمام في الحج وزيارته في حياته، والتزود بنصائحه وإرشاداته، ومعرفة للمواقف التفصيلية تجاه مختلف القضايا منه، وعرض الأعمال والنشاطات التي يقوم بها المؤمنون عليه، وطرح مشاكلهم وقضاياهم للخاصة والعامة، وغير ذلك من الأمور التي تقتضيها هذه العلاقة المباشرة المهمة في المجتمع الإسلامي وفي بناء الجماعة للصالحية، وهي علاقة الإمام بالمأموم مباشرة.

(١) ورد الحديث بالسنة متعددة، وهو من الأحاديث المتواترة. راجع: مسند أحمد ١: ٨٤، ١١٨، وسنن ابن ماجه ١: ٤٥. وسنن الترمذي ٥: ١١٧، وغيرها لكثير.

فقد روى الكليني والصدوق بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنما أمر الناس أن يلتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يلتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم<sup>(١)</sup>.

وقد جاءت الإشارة إلى هذا الموضوع في عدة روايات أخرى، الأمر الذي يؤكد أهمية هذا الخط والتوجه التنظيمي في الجماعة للصالحية من خلال هذا الموسم الشريف، واعتبار ذلك من العبادات التي يمكن أن يقوم بها الإنسان المؤمن.

وهذا التوجه التنظيمي هو مبدأ إسلامي جسده أهل البيت عليهم السلام في نظام الجماعة الصالحة - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً<sup>(٢)</sup> - حيث إن ارتباط الأمة بالقيادة الإسلامية والالتزام بالمواثيق والعهود تجاهها - سواء على مستوى توجيهاتها وأوامرها أم على مستوى النصرة لها في مواقفها - يمثل أصلاً من أصول الإسلام دعا إليه القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ فُتُورٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

#### السادسة: الحج جهاد الضعفاء

لقد ورد في بعض النصوص عن النبي صلى الله عليه وآله أن الحج جهاد، وقد قال ذلك بشأن النساء اللاتي أسقط الإسلام عنهن فرض الجهاد الابتدائي. فقد روى البخاري عن عائشة قالت: «يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»<sup>(٤)</sup>، وفي لفظ النسائي: «ولكن أحسن الجهاد وأجمله حج البيت»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٥٤٩، ح ١.

(٢) وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في الباب الثالث «النظام العام» في فصل العلاقات فراجع.

(٣) الأنفال: ٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٢: ٢٤.

(٥) سنن النسائي ٥: ١١٤.

ونجد أنّ النسائي يعمم هذا الحكم لكبار السن والصفار والضعفاء والنساء<sup>(١)</sup>.

وبهذا الصدد نجد أنّ أهل البيت سلام الله عليهم يعطون للحج في هذا الجانب بعداً أوسع، بحيث يشمل كل أبناء الجماعة الصالحة التي تواجه ظروفاً استثنائية تمتعها من الجهاد لأسباب شرعية وأخلاقية، كل ذلك حفاظاً من أئمة أهل البيت ﷺ على فكرة الجهاد وروح عبادته وضرورة الممارسة لها في كل الأحوال، استلهاماً من موقف رسول الله ﷺ وفهمه لعضوم هذه العبادة.

فقد واجه شيعة أهل البيت ﷺ وأبناء الجماعة الصالحة الظروف السياسية والاستثنائية، التي كان يشن فيها الحكام للظالمون الجاثرون الحروب بون مبررات لو أهداف إسلامية أو شرعية، وإنما لمجرد التسلط والحصول على المزيد من المكاسب والضرائب العالية، حتى وصل الحال ببعض الحكام الأمويين أنّ يمتنع عن قبول إسلام أبناء النصراني؛ لأنّ إسلامهم يعني سقوط الجزية عنهم، فكان يلزمهم بالجزية ويرفض إسلامهم ويبقيهم على نصرانيتهم<sup>(٢)</sup>.

وكان الموقف الشرعي لأئمة أهل البيت ﷺ هو عدم الإنزاع لأبناء الجماعة الصالحة في المشاركة في مثل هذه الحروب. ولكن هذا الموقف كان له تأثير روحي سلبي على الجماعة، حيث تجرد عملياً من الآثار المعنوية لعبادة الجهاد في سبيل الله.

وقد دعا أهل البيت ﷺ أبناء الجماعة الصالحة إلى عبادة الحج والاستزادة

(١) سنن النسائي ٥: ١١٠.

(٢) هذا الموضوع من القضايا التاريخية التي تناولها في مجال آخر.

منها باعتبارها تعويضاً روحياً وتربوياً وأخلاقياً عن عبادة الجهاد، التي فرضت ظروفهم حرمانهم من ممارستها، استلهاماً لذلك من سنة رسول الله ﷺ.

وقد سبق أن أشرنا في بداية الحديث عن الحج إلى ما ورد في الرواية المعتبرة عن الصادق عليه السلام، عن رسول الله ﷺ قوله: «هو أحد الجاهدين. هو جهاد للضعفاء ونحن للضعفاء»<sup>(١)</sup>.

وفي نص آخر: «وتحن وشيعتنا للضعفاء، ولعل في هذين التفسيرين ما يلقي الضوء على هذا الموقف والفهم من أهل البيت سلام الله عليهم.

ويتضح هذا الفهم من ملاحظة النصوص التالية التي ترتبط بين الموقف من الجهاد والحج.

١ - روى جعفر بن محمد بن قولويه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث قال: «الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض في وقت الجهاد، ولا جهاد إلا مع الإمام...»<sup>(٢)</sup>.

٢ - روى الكليني وغيره بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لقي عباد لبصري علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين، تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه؟ إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشْرَفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْشَأَهُمْ وَأَمْلَأَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَكِنَّهُمْ لَكَاِبُونَ﴾ في مكيل الله...» الآية، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أقم الآية، فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٢٥٣، ح ٧.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٨٢، ح ١٧.

(٣) الكافي ٥: ٢٢، ح ١.



وفي رواية أخرى قال له: «إذا ظهر هؤلاء ثم نؤثر على الجهاد شيئاً»<sup>(١)</sup>. وقد تقدم في بحث الجهاد الإشارة إلى هذا الموقف، ومن ذلك هذه الرواية المعتبرة عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في شيء أمر الله عز وجل؛ فإن مات في ذلك كان معيناً لعدونا في حبس حقوقنا والإشاعة بدمائنا، وميتته ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>.

### منهاج أعمال موسم الحج

يمكن تقسيم أعمال موسم الحج إلى الأقسام الأربعة التالية:

الأول: الأعمال التي تؤدي مقرونة بأعمال الحج.

الثاني: الأعمال الخاصة بيوم عرفة.

الثالث: الأعمال التي تؤدي في العشر الأوائل من ذي الحجة.

الرابع: الأعمال الخاصة بأيام التشريق.

### الأول: الأعمال المقرونة بأعمال الحج

ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية أدباً ومستحبات لأعمال الحج، تتضمن الطهارة والغسل والصلاة والدعاء والذكر وتنظيف وتحسين البدن وللازينة، في تفاصيل واسعة لا يسعها هذا الكتاب ولكن نشير إلى بعض عناوينها.

١ - فالإحرام يستحب فيه تنظيف البدن من الأوساخ وتقليم الأظفار، وإزالة الشعر من الإبطين والعانة وأخذ الشارب قبل الإحرام، وهكذا تسريح شعر الرأس والحية من أول ذي القعدة لمن أراد الحج.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٣٤، ح ٦.

(٢) الفضائل: ٦٢٥.

وكذلك الغسل للإحرام والدعاء عند الغسل بنص مخصوص وعند لبس ثوبي الإحرام.

والصلاة قبل الإحرام إما صلاة فريضة أو ستة ركعات من النوافل أو أقلها ركعتان، والدعاء قبل الإحرام بنص مخصوص.

وأن يضيف إلى التلبية الواجبة مجموعة أخرى من التلبيات تتضمن ثناء على الله وتوسلاً به، وتكرار التلبية في مختلف المواطن والحالات إلى أن يشاهد بيوت مكة.

٢ - وفي الدخول إلى الحرم وهي دائرة واسعة محيطة بمكة المكرمة يستحب للترجل فيها، والغسل وخلع النعلين والدعاء بنص مخصوص.

٣ - وفي دخول مكة والمسجد الحرام يستحب الغسل، وعند باب المسجد يستحب السلام على النبي وعلى إبراهيم والتسمية باسم الله تعالى والثناء عليه بنص مخصوص ويصغى خاصة، والتوجه إلى الكعبة بدعاء مخصوص.

٤ - وعند محاذاة الحجر يستحب الذكر والدعاء، ثم استلام الحجر مع الدعاء والذكر والصلاة على النبي ﷺ ودعاء مخصوص.

٥ - وفي الطواف تستحب أدعية خاصة يقولها بشكل عام، وفي بعض المواضع مثل باب الكعبة والركن اليماني والحجر الأسود وظهر الكعبة وعند المستجار وحجر إسماعيل.

٦ - وبعد صلاة الطواف يستحب حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسول الله وآله. والدعاء في السجود.

٧ - وفي شرب ماء زمزم دعاء، وكذلك في صبه على رأسه وبطنه وظهوره.

٨ - وفي السعي إنكار متعددة وصلاة على الرسول وآله وأدعية مخصوصة، وقراءة لسور خاصة من القرآن على للصفاء والمروة وفي أثناء السعي.

٩ - وفي إحرام الحج نفس مستحبات إحرام العمرة، ولكن بعد الإحرام أدعية خاصة عند التوجه إلى منى في الطريق إلى عرفات، وكذلك في منى يستحب المبيت فيها وإحياؤها بالعبادة وخصوصاً في مسجد الخيف، ودعاء خاص عند التوجه إلى عرفات.

١٠ - وأما أعمال عرفات وأدائها فهي ما نذكره في القسم الثاني إن شاء الله! لأن فيها تفاصيل وأعمالاً مشتركة بينها وبين يوم عرفة في غير الحج.

١١ - وفي المشعر الحرام الدعاء عندما يصل الكتيب الأحمر على يمين الطريق، والاقتصاد والبطء في المسير.

وإحياء ليلة العيد بالعبادة والدعاء، فقد ورد في الحديث: «وإن استطعت أن تحيي تلك الليلة فافعل؛ فإنه بلغنا أن أبواب السماء لا تغلق تلك الليلة لأصوات المؤمنين، لهم نوي كنوي النحل. يقول الله جل ثناؤه: أنا ربكم وأنتم عبادي. أقيم حقي، وحق علي أن استجيب لكم، فيحط الله تلك الليلة ممن أراد أن يحط عنه ذنوبه ويغفر لمن أراد أن يغفر له»<sup>(١)</sup>.

مضافاً إلى ذلك كله يستحب له أن يدعو بالمأثور وهو بعض الأدعية المنصوصة.

كما أنه يستحب له بعد صلاة الصبح أن يحمداً الله عز وجل ويثني عليه ويذكر من آلائه وبلائه ما قدر عليه، ويصلي على النبي وآله ثم يدعو بالمأثور وهو دعاء خاص ورد في هذا الوقت.

كما أنه يستحب له أن يسعى في وادي محسر بمقدار مائة خطوة، ويدعو بدعاء خاص عند هذا السعي.

(١) الكافي ٤: ٤٦٨، ج ١.

١٢ - وفي رمي جمرة العقبة وبقية الجمرات يستحب له أن يكون على طهارة، وأن يدعو بدعاء خاص عند أخذها والتكبير عند الرمي والدعاء الخاص به، ويدعو كذلك عندما يرجع إلى منى منها.

١٣ - وعند الهدي والنبح يستحب له أن يدعو بدعاء خاص، وأن يباشره بنفسه أو يضع السكين بيد الذابح ويقبض على يده.

١٤ - كما أنه يستحب له في الحلق أن يدعو بدعاء خاص.

١٥ - وفي طواف الحج يستحب له ما ذكرناه في طواف العمرة، مضافاً إلى دعاء خاص يدعو به عند قيامه على باب المسجد للإتيان بالطواف.

١٦ - مضافاً إلى ذلك كله توجد أمور مستحبة يؤديها الحاج عند إقامته في مكة المكرمة:

أ - الإكثار من نكر الله تعالى.

ب - الإكثار من قراءة القرآن الكريم وختم للقرآن فيها.

ج - الشرب من ماء زمزم والدعاء الخالص عند الشرب.

د - الإكثار من النظر إلى الكعبة فإِنَّ فيه ثوباً عظيماً.

هـ - الطواف: وهو سبعة أشواط حول الكعبة كل يوم عشر مرات، ثلاثة في أول الليل وثلاثة في آخره وطوافان بعد الفجر وطوافان بعد الظهر.

و - أن يطوف بالبيت أيام إقامته في مكة ثلاثة وستين طوافاً، فإِنَّ لم يتمكن فائتين وخمسين، فإِنَّ لم يتمكن أتى بما قدر عليه.

ز - دخول الكعبة والاغتسال له والدعاء عند الدخول والصلاة، وصلاة ركعتين بصورة مخصوصة، والصلاة في زوايا البيت والدعاء المخصوص بعد للصلاة، ثم التكبير عند الخروج منها والدعاء الخاص بذلك.

ج - طواف الوداع عند إرادة الخروج من مكة، ثم استلام الحجر وحمد الله  
والثناء عليه والصلاة على النبي وآله، ثم الدعاء بدعاء خلص.

ويمكن الرجوع إلى كتب المناسك لمعرفة هذه التفاصيل وغيرها مما  
أوردته كتب الحج المفصلة.

وهذا المنهاج يدل بشكل واضح على ما ذكرناه من سعة مضمون عبادة  
الحج بنظر أهل البيت عليهم السلام، بحيث لا يمكن أن يوازيه نظر آخر في المذاهب  
الإسلامية.

### الثاني: أعمال ليلة ويوم عرفة

إنَّ يوم عرفة له أهمية وقيمة خالصتان في نظر الإسلام، وكذلك ليلته، وهي  
ليلة مباركة تقبل فيها التوبة ويستجاب فيها الدعاء، وللعامل فيها بطاعة الله أجر  
سبعين ومائة سنة.

كما أنَّ يوم عرفة هو يوم دعا الله فيه عباده إلى طاعته وعبادته، وبسط لهم  
مرآة إحسانه وجوده، والشيطان فيه قليل حقير طريد غضبان أكثر من أي وقت  
سواه، وهو يوم دعاء ومسألة<sup>(١)</sup>.

وروي أنَّ الإمام زين العابدين صلوات الله وسلامه عليه: «سمع يوم عرفة  
سائلاً يسأل الناس، فقال له: ويلك! اتسأل غير الله في هذا اليوم، وهو يوم  
يرجى فيه للأجنة في الأرحام أنَّ يعمها فضل الله تعالى فتسعد؟»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا اليوم يوجد منهاج واسع من الأعمال والعبادات، وهي وإنَّ كانت  
قد وردت بالأصل بشأن الموقف يوم عرفة في الحج، فإنَّ بعض النصوص

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢٥٢، ٢٥٨.

(٢) وسائل الشيعة ١٠: ٢٨، ج ١.

وردت تشير إلى استحباب الدعاء والعبادة في هذا اليوم في بقية البلاد والامصار، لا سيما بالنسبة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، حيث ورد فيها أن الله تعالى ينظر إلى زواره قبل أن ينظر إلى الوافقين بعرفات. كما روى طلحة بن زيد، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن علي أنه قال: «لا عرفة إلا بمكة، ولا بأس أن يجتمعوا في الأمصار يوم عرفة يدعون الله»<sup>(١)</sup>.

### أعمال ليلة عرفة:

وقد نكر العلامة القمي منهاجاً لليلة عرفة ويومها نذكر خلاصته هنا:

**الأول:** الدعاء الذي ورد فيه أن من دعا به ليلة عرفة وليالي الجمع غفر الله له ذنوبه، وهو دعاء: «اللهم يا شاهد كل نجوى وموضع كل شكوى» الخ، وهو دعاء يشتمل على مضامين عالية من المدح والثناء والتذكير لآيات الله والتوسل بها إليه، وطلب حوائج الدنيا والآخرة.

**الثاني:** التسبيحات الأربعة ألف مرة.

**الثالث:** زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

### أعمال يوم عرفة

**الأول:** الغسل عند الظهر.

**الثاني:** زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وفيها نصوص مخصوصة بهذا اليوم تقيمت الإشارة إليها في الزيارات.

**الثالث:** الصلاة بعد فريضة العصر قبل البدء بدعوات يوم عرفة، يصلّيها الإنسان تحت السماء، ركعتين بالحمد مرة وبالتوحيد خمسين مرة.

(١) وسائل الشريعة ١٠: ٣٢، ج ٢.

**الرابع:** الصوم لمن لا يضعفه الداء في غير الحج لأنه يكون مسافراً.  
**الخامس:** الذكر، وقد وردت فيه نصوص وصيغ متعددة وكثيرة، منها أن يذكر الله بالحمد والتسبيح والتلهيل والتكبير بكل ما ورد في القرآن.

**السادس:** الدعاء بصيغ عديدة وكثيرة، وأهمها وأجملها دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، الذي يعتبر آية في نصوص الدعاء الوارد عن أئمة الهدى عليه السلام، حيث دعا به في جمع من الناس في أواخر وقت يوم عرفة، ويشتمل على مضامين عالية وهو من الأدعية المعهودة النادرة.

وكذلك دعاء الإمام السجاد علي بن الحسين المذكور في الصحيفة السجادية، وهو الدعاء السليح والأربعون.

**السابع:** الدعاء للإخوان والأرحام ولا سيما الأبوان.  
وتؤكد هذه الأعمال للمخصوصة التي وردت فيها النصوص أن تستغفر في جميع وقت يوم عرفة.

### الثالث: أعمال العشر الأوائل من ذي الحجة

لقد ورد في هذه الأيام الشريفة من أول ذي الحجة إلى يوم عرفة أعمال خاصة بها ومشتركة، وقد ورد فيها عن النبي صلى الله عليه وآله أنه ما من أيام يعمل فيها أحب إلى الله عز وجل من أيام هذه العشرة، أي بإضافة يوم العيد لها، نشير إلى خلاصتها:

**الأول:** صوم الأيام التسعة فإنه يعدل صيام العمر كله.

**الثاني:** الصلاة ركعتين بين فريضتي المغرب والعشاء، يقرأ فيها الحمد والتوحيد مرة وآية: ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى تَلْثَيْكَ كَلِمَةً وَاتَّخَذَهَا يَمِينًا...﴾ (١) الآية.

(١) الاعراف: ١٤٢.

الثالث: الدعاء بما رواه الشيخ الطوسي والسيد ابن طاووس عن الصادق عليه السلام وهو دعاء مخصوص، بالإضافة إلى دعوات أخرى جاء بها جبرئيل هدية إلى عيسى ابن مريم عليه السلام.

الرابع: الذكر بالتهليل الخاص المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام. وقد ذكر لليوم الأول من هذه الأيام أعمال خاصة به أيضاً<sup>(١)</sup>.

### الرابع: أعمال أيام التشريق

أيام للتشريق هي الأيام الثلاثة بعد يوم عيد الأضحى، وهناك أعمال مشتركة بين عيد الأضحى وهذه الأيام، ومن أهم هذه الأعمال في الحج رمي الجمرات كما ذكرنا، ولكن توجد أعمال مستحبة يؤتى بها في هذه الأيام أيضاً:

الأول: الأضحية، وتستحب يوم العيد، ويمكن الإتيان بها في اليومين الحادي عشر والثاني عشر في الأمصار، وكذلك في اليوم الثالث عشر في منى. الثاني: التكبيرات المعروفة، وهي «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلائنا»، حيث يستحب الإتيان بها في الحج ابتداءً من فريضة ظهر العيد إلى الثالث عشر من ذي الحجة بعد الفرائض والنوافل في منى، وأما في سائر الأمصار فيستحب ذلك إلى فجر الثاني عشر من ذي الحجة.

هذا هو مجمل أعمال هذا الموسم الشريف.

(١) مفتاح الجنان.





## الفصل الثاني

### العبادات غير المؤقتة

١ - الصلاة العامة ☐

٢ - الصوم للعام ☐

٣ - الدعاء ☐

٤ - الذكر ☐

٥ - الجهاد ☐



## العبادات غير المؤقتة

إن العبادات غير المؤقتة، هي: تلك العبادات التي لم يحدد زمان معين لأدائها، بل تُترك وقت أدائها إلى المكلف حسب ظروفه الخاصة واختياره الخاص، أو حسب تحقق شروط وجوبها أو استحبابها، كما هو الحال مثلاً في الجهاد الذي هو عبادة واجبة، ولكنها ليست محددة بزمان معين، بل مرتبطة بتحقيق موضوعه وشروطه.

وسوف نقتصر في تناولنا لهذا الصنف على العبادات والعناوين الخمسة التالية، وأمّا بقية العبادات فقد سبق الإشارة إلى بعضها كالصنقة والإتفاق والزكاة والخمس في بحث النظام الاقتصادي، أو الإحسان في المعاملة وحسن الخلق فالذين تحدثنا عنهما في بحث العلاقات.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالذين هما من أهم الفرائض والواجبات الإسلامية، فيمكن معرفة حكمهما من الجهاد ونظرية الإسلام فيه، على أنهما من العبادات التي يكون دورها هو حفظ العبادة والأحكام الشرعية فهما من شؤون الولاية كما أشرنا سابقاً.

كما أنهما في نفسهما يمثلان أحد المبادئ في العلاقات الاجتماعية، حيث تحدثنا عنهما في بُعد تقوية البناء الاجتماعي والبناء الفوقي له.

الأول: الصلاة.

الثاني: الصوم.

الثالث: الدعاء.

الرابع: الذكر.

الخامس: الجهاد.

وقد تحدثنا عن بعض مفردات هذه العناوين المؤقتة في الفصل الأول من العبادات وهي أهم هذه المفردات، وبقي علينا أن نتحدث عن هذه العناوين ومفرداتها غير المؤقتة.

### أولاً: الصلاة

تعتبر الصلاة أهم العبادات الإسلامية على الإطلاق، وقد تمتعت عنها القرآن الكريم كثيراً، وهي عمود الدين التي إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها<sup>(١)</sup>، كما أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. وقد نسب تاركها متعمداً إلى الكفر في بعض الروايات.

وقد ورد في فضلها والمحافظة عليها وأثارها وعلة تشريعها وكيفية أدائها، وغير ذلك مما له علاقة بالصلاة بشكل عام، مئات الروايات والنصوص، كما أن الحديث عن جميع هذه الأبعاد يحتاج إلى كتاب كامل واسع.

وقد أشرنا إلى بعض ذلك في الحديث عن الصلاة اليومية ونشير هنا إلى بعض النصوص المتناسبة.

فقد ورد في فضلها في حديث معتبر عن معاوية بن وهب قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عز وجل ما هو؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة. ألا ترى أن

(١) وسائل الشيعة ٢: ٢٠، ب ٨، ج ٦ و ٦٠ و ١٢.

العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام بشأن الصلاة في حديث يوصي به أصحابه أنه قال: «تعالوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكملوا منها، وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿هِيَ سَعَكُكُمْ فِي سَعَرٍ﴾ قَالَ لَا تَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ». وإنها لتحثّ الذنوب حثّ لورق، وتطلقها إطلاق الزئبق، وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحقة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الذنن، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال. يقول الله سبحانه: ﴿يَبْتَغِي لَأَن تُلْهِيمَهُمْ يَمْرَهُ وَلَا يَجِدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِقْبَارَ الْمَسْكُونَةِ وَبَيِّنَاتٍ أَلْزَمَهُ﴾، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصيباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة، لقول الله سبحانه: ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَسْطَرِ عَلَيْهِ﴾ وكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه<sup>(٢)</sup>.

وبالصلاة شروط وأداب ترتبط بالمصلي ولباسه ومكانه ومسجده، أهمها الطهارة في بدنه ولباسه وفي مسجده من النجاسات، والوضوء، وهو الطهارة المعنوية التي يحصل عليها الإنسان بالوضوء أو الغسل، ولأن يكون مكانه مباحاً غير مفصوب، وآلاً يكون لباسه من الحرير أو الذهب أو من حيوان غير مأكول اللحم أو الميتة، إلى غير ذلك من الأحكام التي يمكن للحصول عليها مفصلة في الرسائل العملية للفقهاء.

(١) الكافي ٣: ٢٦٤، ح ١.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٧٨، الخطبة ١٩٩.

## الصلوة المستحبة غير المؤقتة

أما الصلوات الواجبة فهي اليومية وهي: صلاة الصبح والظهر والحصر والمغرب والعشاء، ومنها صلاة الجمعة التي تكون بدلاً عن صلاة الظهر يوم الجمعة، وصلاة العيدين والآيات<sup>(١)</sup>، والصلوة الواجبة بالنذر أو للعهد أو اليمين أو الاستنحار، وصلاة الطواف. وقد سبق للحديث عن أكثر هذه العناوين في الفصل السابق.

وأما الصلوات المستحبة فهي كثيرة منها المؤقتة التي سبق الحديث عنها في الفصل السابق ومنها الصلاة غير المؤقتة، والتي يمكن أن نجعل أهمها في ستة عناوين:

- ١ - صلاة التطوع.
- ٢ - صلوات المعصومين.
- ٣ - صلاة جعفر الطيار.
- ٤ - صلاة الحاجة.
- ٥ - صلاة الاستخارة.
- ٦ - صلاة الهدية.

---

(١) تجب صلاة العيدين في حضور الإمام المعصوم. وفي حالة غيابه تكون مستحبة، وقد تقدم الحديث عنها، وكذلك الحال في صلاة الجمعة التي تجب تخييراً بينها وبين الظهر في عصر الغيبة على أحد الأقوال المعروفة عند فقهاء مذهب أهل البيت عليه السلام. وأما صلاة الآيات فهي: ركعتان بكيفية مخصوصة تجب عند الظواهر الفلكية أو الجوية أو الأرضية، مثل الخسوف والكسوف والزلزلة والرياح السوداء كالمخوفة، وغيرها من الآيات.

وتفصيل لحكام هذه الصلوات وكيفيةها مذكور في الرسائل العملية الفقهية.

## ١ - صلاة التطوع

صلاة التطوع هي الصلاة التي يأتي بها الإنسان تطوعاً وتقرباً إلى الله تعالى، دون عنوان معين أو صيغة خاصة وفي أي وقت شاء أو أي موضع، فإنَّ الصلاة خير موضوع، فمن شاء استقل ومن شاء استكثر. وقد قال رجل لرسول الله ﷺ: «ادع الله أنْ يخلني الجنة، فقال له: اعني بكثرة السجود»<sup>(١)</sup>.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث معتبر: «الصلاة قرين كل تقي»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الصلوات ما يأتي به الإنسان عند دخول المسجد تحية له، فإنَّ تحية المسجد هي الصلاة فيه فريضة أو تطوعاً أو أي صلاة أخرى. ويكون الإتيان بصلاة التطوع والصلوات المستحبة وكذلك النوافل على شكل ركعتين يختعان بالتشهد والتسليم، ما لم يأت نص في ذلك، كما في الصلوات للواجبة ما عدا للصبح، وكما في الترتب في صلاة الليل، أو كما في صلاة الأعرابي أو غيرها. ويحسن بالإنسان الإتيان بالنوافل والتطوع بالصلاة عند وجود الإقبال والرغبة لديه فيها، فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ للقلوب إقبالاً وإقبالاً، فإذا أقبلت فتتفلوا وإذا أدبرت فعليكم بالفريضة»<sup>(٣)</sup>.

ولكن لا بد للإنسان دائماً أن يعالج قلبه ونفسه من أجل أن يقبل على الصلاة، فإنَّ صلاة النافلة والتطوع بالصلاة يكمل ما يذهب على الإنسان من سهو وغفلة وشروء في صلاة الفريضة، وإنَّ ما يرفع من الصلاة هو ما يقبل به الإنسان على ربه فقط، فقد ورد في عدة روايات معتبرة، منها ما رواه محمد بن

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢١٠، ح ٦٣٥.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ٤٤، ح ٢.

(٣) الكافي ٣: ٤٥٤، ح ١٦٦.



مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنَّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له إلَّا ما تقبل عليه منها بقلبه، وإنما أمرنا بالنافلة ليتم لهم بها ما نقصوا من الفريضة»<sup>(١)</sup>.

## ٢ — صلاة المعصومين

لقد وردت نصوص تنسب إلى المعصومين عليهم السلام، صيغاً معينة من الصلوات المستحبة التي كان يأتي بها المعصومون، وهي صلاة تطوع بصيغ معينة لها أهميتها لإتيان المعصوم بها، وقد ذكر الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة ثلاث صلوات للنبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام.

### أ — صلاة النبي صلى الله عليه وآله

ذكر الشيخ الطوسي في مصباح المتعبد أنَّ صلاة النبي صلى الله عليه وآله ركعتان يقرأ فيهما الحمد مرة ثم سورة القدر خمس عشرة بعد الفاتحة في القيام، وكذلك في الركوع وفي القيام بعد الركوع وفي السجدة الأولى وبعد الجلوس منها وفي السجدة الثانية وبعد الجلوس منها، فإذا سلَّم منهما عقَّب بما أراد وانصرف وليس بينه وبين الله عزَّ وجلَّ نذْبٌ إلَّا غفره<sup>(٢)</sup>. وقد روى هذه الصلاة السيد ابن طاووس بسند معتبر عن الإمام الرضا عليه السلام وذكر بعدها دعاءً خاصاً بها<sup>(٣)</sup>.

### ب — صلاة علي عليه السلام

روى الكليني في الكافي والشيخ في التهذيب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام

(١) الكافي ٣: ٢٦٣، ح ٢.

(٢) مصباح المتعبد: ٢٩٠.

(٣) جمال الأسبوع: ١٦٢.

قال: «من صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد خمسين مرة، لم يقتل ويدينه وبين الله نذير»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الشيخ في المصباح بعدها دعاء خالصاً بها<sup>(٢)</sup>.

### ج — صلاة فاطمة الزهراء عليها السلام

ذكر صاحب الوسائل صفتين لهذه الصلاة، إحداها مطابقة لصلاة أمير المؤمنين علي عليه السلام، والثانية ذكرها الشيخ في المصباح وهي: ركعتان يقرأ في الأولى الحمد مرة والقدر مائة مرة، وفي الثانية الحمد مرة والتوحيد مائة مرة<sup>(٣)</sup>.

وذكر العلامة القمي صيغاً أخرى لهذه الصلاة مع دعاء يدعى به بعدها<sup>(٤)</sup>.  
مضافاً إلى هذه الصلوات ذكر الحر العاملي عن علي بن موسى بن طاووس في كتابه (جمال الأسبوع)، صلوات نسبها إلى الأئمة الأحد عشر من أهل البيت عليهم السلام، لكل واحدة منها كيفية خاصة، ولكن لم يذكر وجود رواية فيها أو نسبتها لقول معصوم<sup>(٥)</sup>.

ونكر العلامة القمي هذه الصلوات مع دعاء بعد كل واحد منها. ويبدو أنه أخذها عن ابن طاووس أيضاً<sup>(٦)</sup>، ولكن لإرسالها وعدم نسبتها إلى أحد من الأئمة لم نذكرها.

(١) الكافي ٣: ٤٦٨، ح ٢.

(٢) مصباح المتعبد: ٢٩٤.

(٣) وسائل الشيعة ٥: ٢٤٤، ح ٦.

(٤) مفاتيح الجنان: ١٠ - ٤٢.

(٥) وسائل الشيعة ٥: ٣٩٧، باب التطوع بصلوات الأئمة.

(٦) مفاتيح الجنان: ٤٢ - ٤٥.

### ٣ - صلاة جعفر

ومن أشهر هذه الصلوات ومن تفضلها الصلاة المعروفة بصلاة جعفر، نسبة إلى جعفر الطيار بن أبي طالب ابن عم رسول الله، وهي من الصلوات التي يستحب الإتيان بها في كل الأوقات والأزمنة، ولا سيما في أيام الجمعة وليلة النصف من شعبان وبقية الأوقات الشريفة، كما يستحب فيها القنوت قبل الركوع للركعة الثانية والرابعة. ويمكن أن تحتسب من التوافل اليومية.

وقد وردت في وصفها وفضلها أحاديث عديدة نذكر منها ما يغنيها في تكوين صورة مناسبة عنها.

الأول: ما ورد بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ لجعفر<sup>(١)</sup>: ألا أمتحك؟ ألا أعطيك؟ ألا أحبوك؟ فقال له جعفر: بلى يا رسول الله. قال: قلن الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضة، فأشرف (فتشوف) الناس لذلك، فقال له: إني أعطيك شيئاً إن أنت صنعتته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها، وإن صنعتته بين يومين غفر الله لك ما بينهما لو كل جمعة، أو كل شهر، أو كل سنة غفر لك ما بينهما تصلي أربع ركعات تبتدئ فتقرأ وتقول إذا فرغت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، تقول خمس عشرة مرة بعد القراءة، فإذا ركعت قلته عشر مرات، فإذا رفعت رأسك من الركوع قلته عشر مرات، فإذا سجبت قلته عشر مرات،

(١) قال ذلك له على ما في بعض الروايات المشابهة لهذه الرواية عند مجيئه من هجرته إلى الحبشة، حيث صابف ذلك يوم فتح خيبر، فعندما جاء خبر وصول جعفر وقومه قال رسول الله: «والله ما أدري بأيهما أنا أشد سروراً، بقدوم جعفر أو بفتح خيبر»، والغريب أن هذه الصلاة نفسها وردت في كتب الجمهور بعنوان صلاة التسليح، وإنها هدية النبي إلى عمه العباس. ولا نعتقد بصحة هذه النسبة؛ إذ لا موجب لمثل هذه الهدية والحبوة للعباس. مضافاً إلى أن أهل البيت نرى بالذي فيه. وهذه النسبة هي من موضوعات العباسيين على الظاهر.

فإذا رقت رأسك من السجود فقل بين السجنتين عشر مرات، فإذا سجدت الثانية فقل عشر مرات، فإذا رفعت رأسك من السجدة الثانية قلت عشر مرات وأنت قاعد قبل أن تقوم، فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة، ثلاثمائة تسبيحة في أربع ركعات، ألف ومائتا تسبيحة وتهليلة وتكبيرة وتحميدة، إن شئت صليتها بالنهار، وإن شئت صليتها بالليل<sup>(١)</sup>.

الثاني: ورد في أكثر من رواية معتبرة أنه يصليها يقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون، ولكن في رواية أخرى معتبرة أنه يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى الزلزلة وفي الثانية العنبيات وفي الثالثة النصر وفي الرابعة التوحيد، أو الزلزلة والنصر والقدر والتوحيد.

وقد ورد في ثوابها أنه لو كان عليه مثل رمل عالج ذنوباً غفر الله له، وإن ذلك للسائل ولأصحابه<sup>(٢)</sup>.

الثالث: عن أبي سعيد المدائني قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ألا أعلمك شيئاً تقوله في صلاة جعفر؟ فقلت: بلى، فقال: إذا كنت في آخر سجدة من الأربع ركعات فقل إذا فرغت من تسبيحك: سبحان من ليس العز والوقار، سبحان من تعطف بالمجد وتكرم به، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان من أحصى كل شيء علمه، سبحان ذي العن والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم. اللهم إني أسألك بمعاهد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم وكلمتك الثامنة التي تفت صدقاً وعدلاً، صل على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٥: ١٩٤، ح ٨.

(٢) الكافي ٣: ٤٦٦، ح ٨.

(٣) الكافي ٣: ٤٦٧، ح ٦.

#### ٤ — صلوات الحاجة

لقد وردت أحاديث ونصوص متعددة تتحدث عن صلاة لقضاء الحاجات، بصيغ مختلفة متعددة تشكل الصلاة جزءاً مهماً منها. وفي بعضها تكون الصلاة والدعاء بعدها لطلب الحاجة هو تمام العبادة.

ولعل أهم صيغة وأشهرها لطلب الحاجة الخاصة هي صلاة الاستسقاء التي يؤتى بها جماعة كما في صلاة العيدين؛ من أجل أن يُستسقى بها من الجنب وانقطاع نزول المطر.

وكيفيتها مثل صلاة العيدين «حيث يخرج الإمام ويبرز إلى مكان نظيف في سكينه ووقار وخشوع ومسكنة، ويبرز معه الناس، فيحمد الله ويمجده ويثني عليه ويجتهد في الدعاء ويكثر من التسبيح والتهليل والتكبير، ويصلي مثل صلاة العيدين ركعتين في دعاء ومسألة واجتهاد، فإذا سلم الإمام قلب ثوبه وجعل الجانب الذي على المنكب الأيمن على المنكب الأيسر والذي على الأيسر على الأيمن، فإن النبي ﷺ كذلك صنع»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات الأخرى تفصيل أخرى، ولاهيتها أفردها الفقهاء في أبواب مستقلة كصلاة العيدين.

ومن الصيغ الأخرى للحاجة التي رويت بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصائغ عليه السلام وولده موسى بن جعفر عليهما السلام، هي صيغة رواها الكليني والصدوق والشيخ الطوسي يتصلق فيها صاحب الحاجة على ستين مسكيناً لكل منهم صاع من تمر أو برّ أو شعير، ثم يصلي ركعتين بالفاتحة والتوحيد وبالفاتحة وقل يا أيها الكافرون، ويكون ذلك في الثلث الأخير من الليل بعد الفسل، ويلبس

(١) وسائل الشيعة ٥: ١٦٢، ح ١، وهو معتبر السند.

أدنى ما يلبسه أفراد عائلته ويكون فيه إزار، وفي السجدة الأولى من الركعة الأخيرة يهلل الله ويعظمه ويقدسه ويمجده ويذكر ذنوبه فيقر بما يعرف منها، ثم يرفع رأسه، فإذا وضع رأسه للسجدة الثانية استجار الله مائة مرة وقال: «اللهم إني مستجيرك»، ثم يدعو بما شاء ويقول: «يا كاشفاً قبل كل شيء»، ويا مكنون كل شيء، ويا كاشفاً بعد كل شيء افعل بي كذا وكذا» ويسأل الله تعالى حاجته، وكلما سجد بأشركبتيه الأرض ورفع الإزار وجعله من خلفه بين أيتيه وباطن ساقيه.

وهناك عدة صيغ ذكرها الحر العاملي في كتابه الوسائل<sup>(١)</sup>، والعلامة القمي في مفاتيح الجنان.

#### صلوات أخرى لحاجات خاصة

وهناك صلوات أخرى لحاجات معينة مهمة ولها صيغ خاصة. منها هذه العناوين (غفران الذنوب)، و (المهمات)، و (الانتصار من الظالم)، و (الذكاء وجودة الحفاظ)، و (الأمر المخوف)، و (طلب الرزق عند الخروج للسوق)، و (قضاء الدين)، و (دفع شر السفر)، و (أم المريض ودعائها له بالشفاء)، و (عند خوف المكروه وعند النعم)، و (للخلاص من السجن)، و (للخوف من العدو)، و (الاستعداد والانتصار)، و (عند إرادة الحبل)<sup>(٢)</sup>.

وهناك ثلاث صلوات مهمة قد لا تدخل تحت عنوان الحاجة، وإن كان لها علاقة وهي: الصوم والصلاة عند نزول البلاء من أجل صرقه، والصلاة ركعتين

(١) وسائل الشريعة ٥: ٢٥٥ - ٢٦١، ومفاتيح الجنان وغيرها من قسم الباقيات الصالحات.  
(٢) ذكر هذه الصلوات صاحب الوسائل في الجزء الخامس حسب تسلسل العناوين في الصفحات التالية: ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٠ و ٢٥٢ و ٢٥٢ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٨.

لشكره، والصلاة عند إرادة الدخول بالزوجة، وهي تعبر عن أدب ورسوم إسلامية سندها معتبر<sup>(١)</sup>.

## ٥ - الاستخارة وصلاتها

ومن جملة العبادات هي الاستخارة وصلاتها؛ وذلك أن الإنسان إذا أراد فعلاً أو هم بشيء من سفر أو بيع وشراء أو حج وعمرة أو تجارة، وكان متردداً في الإقدام عليه أو كان لديه أكثر من خيار في فعله، فإنه يحسن به أن يصلي ثم يطلب من الله تعالى الخيرة له في بيته وبنياه أو في عاجله أو آجله.

فقد ورد في حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «صل ركعتين واستخر الله، فوالله ما استخار الله مسلم إلا خار له لبيته»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى قال: «من استخار الله راضياً بما صنع الله له خار الله له حتماً»<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت في هذا الموضوع روايات عديدة متظافرة جاء في بعضها تعليم كيفية هذه الاستخارة: «لث للمسجد في غير وقت صلاة الفريضة فصل ركعتين فاستخر الله مائة مرة، ثم انظر أي شيء يقع في قلبك فاعمل به. وفي بعض الروايات ورد للعدد مائة مرة ومرة»<sup>(٤)</sup>.

كما جاء في رواية أخرى تفصيل ما يقوله بعد الصلاة «ثم ليحمد الله وليختر عليه ويصل على محمد وأهل بيته ويقول: اللهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ودنياي فيسره لي ولقدري، وإن كان غير ذلك فاصرفه

(١) ذكرت هذه الصلوات في الوسائل أيضاً ج ٥ حسب التسلسل التالي للأبواب: ٢٦٦ و ٢٦٧.

(٢) الكافي ٣: ٤٧٠، ج ١.

(٣) وسائل الشيعة ٥: ٢٠٤، ج ٢.

(٤) الكافي ٣: ٤٧٢، ج ٥.

عني<sup>(١)</sup> وإنه يقرأ بعد الفاتحة ما يشاء من السور وإن شاء قرأ التوحيد والكافرون.

وفي رواية أخرى معتبرة السند يعلمنا الإمام الباقر عليه السلام صيغة أخرى للاستخارة أكثر تفصيلاً وأشدّ عملاً. عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا أردت أمراً وأردت الاستخارة كيف أقول؟ فقال: إذا أردت ذلك فسم الفلانة والأربعاء والخميس، ثم صل يوم الجمعة في مكان نظيف ركعتين فتشهد ثم قل وانت تنظر إلى السماء: اللهم إني أسألك عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أنت عالم الغيب. إن كان هذا الأمر خيراً فيما لحاط به علمك فيسره لي وبارك لي فيه وافتح لي به، وإن كان ذلك لي شراً فيما لحاط به علمك فاصرفه عني بما تعلم، فإنك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر، وتقضي ولا أقضي وأنت عالم الغيوب، تقولها مائة مرة<sup>(٢)</sup>.

وتجد صيغة أخرى في روايات أخرى أيضاً<sup>(٣)</sup>. الأمر الذي يدل أن الاستخارة إنما هي صلاة ودعاء وتضرع لله تعالى في طلب الخيرة، وكلما تمكن الإنسان من توفير شروط الدعاء - والاستجابة كالصدقة والصيام والأوقات الخاصة والتضرع وغير ذلك - فإن ذلك يكون أقرب إلى استجابة دعائه.

ويؤكد ذلك ما ورد في رواية عن الإمام الصادق، أنه إذا أراد شراء العبد أو الدابة أو الحاجة الخفيفة أو الشيء اليسير، استخار الله فيه سبع مرات، فإذا كان أمراً جسيماً استخار الله مائة مرة<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٤٧٢، ح ٦.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٢٠٧، ح ١١.

(٣) راجع وسائل الشيعة ٥: ٢٠٤، أبواب صلاة الاستخارة وما يناسبها.

(٤) راجع وسائل الشيعة ٥: ٢١٢، ح ١.



كما ورنيت صيغة أخرى فيها صلاة ورقاع مكتوب فيها «افعل» و «لا تفعل»، فإذا سحبتها وجاء الأمر في البدلية لكثير من النهي فعل، والآ ترك<sup>(١)</sup>.

ويبدو من الروايات المتظافرة أنه يحسن بالإنسان دائماً أن يطلب من الله تعالى الخيرة له من أمره، ولا سيما في الصلوات اليومية وقبل الدخول في أي عمل يريد أن يقوم به.

## ٦ - صلاة الهدية

صلاة الهدية هي: أن يأتي الإنسان بالصلاة هدية لأهل البيت عليهم السلام، أو لوالديه أو لإخوانه المؤمنين أو لولاده وأرحامه.

ولا شك أن الأعمال الصالحة التي يأتي بها الإنسان في الدار الدنيا، يمكن أن يهدي ثوابها إلى الأموات فيصلهم هذا الثواب بإذن الله تعالى، سواء كانت هذه الأعمال صلاة أم صوماً أم حجاً أم صدقة أم قراءة للقرآن أم نكراً لله تعالى أم أي عمل صالح غير ذلك. وقد ورنيت في ذلك نصوص متعددة وعمل به أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فقد نقل للعلامة القمي أنه ورد في الحديث الصحيح أن الإمام الصادق عليه السلام كان يصلي عن والديه كل يوم ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة القدر وفي الثانية بعدها الكوثر. كما ورد عنه أنه كان يصلي عن ولده إسماعيل في كل ليلة ركعتين أيضاً، وأن للميت يفرح بالدعاء والاستغفار كما يفرح الحي بالهدية، وأنه يدخل على الميت في قبره الصلاة والصوم والحج والصدقة والبر والدعاء ويكتب أجره للذي يفعله للميت<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع وسائل الشيعة ٢٠٨: ٥، ح ١.

(٢) مفاتيح الجنان التهليلات الصالحات: ٢١٤ - ٢١٥.

وقد ذكرنا في أعمال الأسبوع صلاة هدية تهدي إلى أئمة أهل البيت سلام الله عليهم بطريقة خاصة وصيغة معينة<sup>(١)</sup>.

#### أ - صلاة ليلة الدهن

ومن الصلوات المعروفة في أوساط الجماعة الصالحة من مصانيق صلاة الهدية هي صلاة ليلة الدهن، وهي ركعتان يصلحها الإنسان ويهديهما إلى الميت من إخوانه أو أرحامه ليلة دفنه، وقد ذكر لها صيغتان:

الأولى: أن يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى آية الكرسي، وفي الركعة الثانية القدر عشر مرات، ثم يقول: اللهم صل على محمد وآله محمد وابعث ثوابها إلى قبر فلان<sup>(٢)</sup>.

الثانية: أن يقرأ بعد الحمد في الأولى التوحيد مرتين وفي الثانية التكاثر عشر مرات ويقرأ الدعاء السابق<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر السيد ابن طائوس في كتابه جمال الأسبوع ثواباً عظيماً لمن أهدى صلاته للنبي والأئمة المعصومين من بعده بذكر خاص في ركوعها وسجودها<sup>(٤)</sup>.

#### ب - صلاة الولد لوالديه

وهناك صلاة الولد لوالديه، وهي من صلوات الهدية ذكرها العلامة القمي، وهي ركعتان يقرأ في الأولى الفاتحة وعشر مرات آية ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي الثانية بعد الفاتحة يقرأ عشر مرات

(١) وسائل الشيعة ٥: ٢٨٤، ح ١.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٢٨٥، ح ٢.

(٣) وسائل الشيعة ٥: ٢٨٥، ح ٣.

(٤) جمال الأسبوع: ٢٩.

لَيْتَ ﴿رَبِّ أَغْنَىٰ لِي وَلَوْلَدِي وَلِمَن دَحَلَتْ بِئْتِيَ مَثُومًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وبعد للتسليم يقول عشر مرات: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الصوم

الصوم من العبادات المهمة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أن هذه العبادة لها جذر تاريخي يمتد مع الرسالات الإلهية. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَسْبِغُوا بِالْعَنَبِ وَالسَّلْوَةِ وَأَنَّهُ لَكِبْرَةٌ إِلَّا عَلَى الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> حيث فُسر الصبر في هذه الآية بالصوم.

والصوم فيه واجب ومستحب ومحرم.

### الصوم الواجب

أما الصوم الواجب فهو صوم شهر رمضان وهو أفضله.

ويجب الصوم في الكفارة في قتل العمد وغيره شهرين متتابعين، وكذلك في كفارة اليمين ثلاثة أيام.

ويجب على الحاج الذي لا يجد الهدي أن يصوم عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة عند رجوعه إلى أهله.

ويجب الصوم - أيضاً - بالنذر والعهد واليمين والنيابة عن الميت.

وهناك من الفقهاء من يوجب الصوم على من نام عن صلاة العشاء، حيث يجب عليه أن يصبح صائماً ذلك اليوم. ويجب على المعتكف الذي أمضى يومين من اعتكافه أن يتم اليوم الثالث من اعتكافه، فيلزمه الصوم كما سوف نذكره.

(١) مفاتيح الجنان: ٢١٦.

(٢) البقرة: ١٨٣.

(٣) البقرة: ٤٥.

وتفصيل أحكام الصوم الواجب منكرة في الرسائل العملية الفقهية، ولا بد من التفقه فيها ومراجعتها.

وقد اهتم أهل البيت بهذه العبادة اهتماماً بالغاً، حيث وردت فيها مئات الروايات التي تناولت تفاصيلها المختلفة.

ويحرم الصوم يومي العيدين وأيام التشريق بمعنى ويوم العاشر من محرم الحرام بعنوان التبرك. وكذلك يحرم صوم الوصال بأن يصل يوم الصوم باليوم الآخر من دون إقطاع وبنية واحدة.

### الصوم المندوب

يستحب الصوم في جميع أيام السنة عدا الأيام المحرمة التي سبق ذكرها، وقد عرفنا أنه يتأكد استحبابه في شهري رجب وشعبان، وفي الأيام الثلاثة من كل شهر الخميس الأول والأربعاء الوسط والخميس الآخر، فإنه يعدل صوم الدهر كما ورد في الروايات، وكذلك في الأيام الأربعة في السنة وغيرها مما ذكرناه في الأبواب السابقة من الفصل السابق.

ويمكن الاستفادة استحباب الصوم من تطافر الروايات المطلقة التي وردت في فضل الصوم وحسنه<sup>(١)</sup>. مضافاً إلى ما ورد في تفسير الآية الكريمة السابقة.

ولكن توجد موارد يتأكد فيها استحباب الصوم لاقترائه بخصوصية تقتضي ذلك.

١ - يبدو من بعض الروايات والنصوص أن الصوم في الصيف أكثر فضلاً وأجراً، بل جاء التعبير في بعضها عن الصوم في الحر بأنه جهاد، وأن أفضل الجهاد الصوم في الحر<sup>(٢)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٦: ٢٩٨، أبواب الصوم المندوب.

(٢) بحار الأنوار ٩٣: ٢٥٦، ج ٣٨٩.

٢ - للصوم للشباب الذي لا يستطيع الزواج، حيث يكون الصوم رجاؤه لشهرته ولجاءاً لها، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطيع فليصم؛ فإنَّ للصوم وجاهاً»<sup>(١)</sup>. كما ورد عنه ﷺ أنه قال لعثمان بن مظعون عندما طرح عليه فكرة أن يختصي: «لا تفعل يا عثمان فإنَّ اختصاء امتي للصيام»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث عن الصادق عليه السلام قال: «قال لقمان لابنه: صم صوماً يقطع شهوتك، ولا تصم صياماً يمنعك من الصلاة، فإنَّ الصلاة أحب إلى الله تعالى من الصوم»<sup>(٣)</sup>.

٣ - وقد جاء التأكيد - في بعض الروايات المعتبرة - لصوم يوم الأربعاء، معللة ذلك بأنَّ النار أو العذاب إنما يكون فيه، فيكون الصوم جنة من النار. ولكن لا يبعد أن يكون المقصود من يوم الأربعاء هو الأربعاء في وسط الشهر، كما يشير إلى ذلك بعض هذه الروايات.

٤ - ورد في بعض الروايات استحباب صوم يوم الجمعة على أن يسبقه بصوم يوم أو يومين قبله، الأربعاء والخميس، ولا يبعد أن يكون المقصود من هذه الروايات نفى كراهة صومه أو بيان جوازها؛ لقوم الحظر والحرمة فيه باعتبار أنه يوم عيد<sup>(٤)</sup>، وإنَّ هذه الكراهة - لو كانت - ترتفع بصوم الأربعاء والخميس.

(١) وسائل الشريعة ٧: ٣٠٠، ح ٤.

(٢) وسائل الشريعة ٧: ٣٠٠، ح ٢.

(٣) بحار الأنوار ١٣: ٤١١، ح ٢.

(٤) كما يفهم ذلك من رواية التهذيب، راجع جامع أحاديث الشيعة ٩: ٤١٤، ح ٢، وكذلك بقية أحاديث هذا الباب.

٥ - ورد في بعض الروايات استحباب الصوم عند الشدائد والنوازل والضيق والمصيبة والزلازل، وأنه يحسن بالإنسان أن يصوم، وخصوصاً الأربعاء والخميس والجمعة، والدعاء يوم الجمعة برفع هذه الشدائد. ويبدو أن الصوم المقرون بالصلوة يدفع البلاء<sup>(١)</sup>.

٦ - ومن الصوم المستحب صوم الاعتكاف، وهو عبادة مقرونة بالصوم يلتزم الإنسان فيها المسجد طيلة ثلاثة أيام مع الليلتين المتخللتين بينها على الأقل، ويمكن أن يكون أكثر من ذلك. ويمتنع فيه عن بعض المحلات كالنساء والطيب وغيرهما مما يذكره الفقهاء في رسالتهم العملية.

ويتأكد استحبابه في شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه، والأفضل أن يكون في المسجد الحرام أو مسجد النبي أو الكوفة أو البصرة أو المسجد الجامع في البلد، على تفصيل مذكور في الكتب الفقهية.

### ملاحظات في الصوم المستحب

وفي الختام يحسن بنا أن نذكر بعض الملاحظات العامة حول الصوم المندوب:

الأولى: أنه يحسن كتمان الصوم وعدم التظاهر به، فقد روى الكليني بطريق مشهور عن أبي عبد الله قال: «من كتم صومه قال الله عز وجل لملائكته: عبيدي استجار من عذابي فلأجبروه، ووكّل الله تعالى ملائكته بالدعاء للصائمين، ولم يأمرهم بالدعاء لأحد إلا باستجاب لهم فيه»<sup>(٢)</sup>.

الثانية: أن المؤمن إذا كان قد صام صوماً مستحباً ودخل على أخيه

(١) راجع وسائل الشيعة ٥: ١٥٨، باب ١٣.

(٢) الكافي ٤: ٦٤، ح ١٠.

المؤمن فدعاء للاكل، يستحب له أن يفطر ويكون له بذلك الثواب الافضل من الصوم، وفي بعض الروايات انه يحسن به أن يكتم للصوم فلا يخبر به أخاه فيمن عليه بإفطاره<sup>(١)</sup>.

**الثالثة:** ورد في مجموعة من الروايات أن الزوجة لا يصح لها أن تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها، وكذلك نصت بعض هذه الروايات على أن الولد والضيف لا يحسن بهم أن يصنعوا ذلك إلا بإذن الولد والمضيف<sup>(٢)</sup>.

وهذه الاحكام لها مداليل وأبعاد اجتماعية وأخلاقية وتنظيمية كما هو واضح.

### ثالثاً: الدعاء

الدعاء من أفضل العبادات، وقد ورد البحث عليه في القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُنْتَوِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَسْعَا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، كما نقل القرآن الكريم الدعاء على لسان عدد من الانبياء

(١) راجع وسائل الشريعة ٧: ١٦٠، باب ٨.

(٢) راجع الكافي ٤: ١٥١، باب من لا يجوز له صيام فتطوع إلا بإذن غيره.

(٣) قبحرة: ١٨٦.

(٤) الاعراف: ٥٥.

(٥) الفرقان: ٧٧.

(٦) غافر: ٦٠.

والصالحين من المؤمنين في مواقف حرجية، وكانت الاستجابة لهم بذلك.

وأصل الدعاء واجب من الواجبات الشرعية ولا بد للمؤمن من الإتيان به وممارسته في الجملة، كما تدل على ذلك الآيات السابقة. وورد أيضاً في الحديث للتأكيد لذلك.

فقد روى الكافي بطريق معتبر عن سدير، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «قلت لأبي جعفر: أي العبادة أفضل؟ فقال: ما من شيء أفضل عند الله عز وجل من أن يُسال ويطلب مما عنده، وما تجد ابغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسال ما عنده»<sup>(١)</sup>

وفي رواية معتبرة رواها الكافي عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله قال: «سمعتَه يقول: ادْعُ وَلَا تَقُلْ قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ؛ فَإِنَّ الدَّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْأَكْثَرَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَبِّحُوا لَهُمْ دُخْرِي﴾»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية معتبرة عن ميسر بن عبد العزيز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لي: يا ميسر، ادْعُ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الْأَمْرَ قَدْ فَرَّغَ مِنْهُ. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَنْزِلَةٌ لَا تُنَالُ إِلَّا بِمَسْأَلَةٍ، وَإِنْ عَبْدًا سَأَلَ وَلَمْ يَسْأَلْ لَمْ يَعْطَ شَيْئًا، فَسَلْ تَعْطَ. يَا مَيْسَرُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَابٍ يَفْرَعُ إِلَّا يَوْشَكَ أَنْ يُلَاحِظَ لِمَصَاحِبِهِ»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ورد أن الدعاء مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة، وأنه ترس المؤمن، وأنه مخ للعبادة، وأنه إذا قل الدعاء نزل البلاء<sup>(٤)</sup>. كما ورد أيضاً أنه سلاح

(١) الكافي ٢: ٤٦٦، ح ٢.

(٢) الكافي ٢: ٤٦٦، ح ٣.

(٣) الكافي ٢: ٤٦٦، ح ٣.

(٤) الدعوات: ١٨، ح ١٩.



العمود وعمود الدين، وأنه يدفع شر الأعداء ويرد البلاء قبل نزوله وعند نزوله وبعد نزوله<sup>(١)</sup>، وأنه شفاء من كل داء<sup>(٢)</sup>.

### أسباب إجابة الدعاء

وقد ورد للدعاء آداب منها:

١ - أن يرفع الداعي يديه في الدعاء واقتضرع بتقليبهما، والتعبير بهما بحركات تنبئ عن القذلل والاستكانة والتبتل<sup>(٣)</sup>، ومسح الوجه بهما والرأس والصدر بعده.

٢ - الإقبال بالقلب حالة الدعاء وحضور القلب فيه وحسن النية.

٣ - معرفة الله وحسن الظن به<sup>(٤)</sup>.

٤ - الحمد والثناء والتمجيد لله تعالى قبل الدعاء.

٥ - الصلاة على رسول الله وآله الأظهر، فإن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على محمد وآله<sup>(٥)</sup>.

٦ - ختم الدعاء بالصلاة على النبي ﷺ، فإنه ورد في ذلك أنه من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الطرفين ثم يدع الوسط؛ إذ كانت الصلاة على محمد وآله لا تحجب عنه<sup>(٦)</sup>.

٧ - البكاء أو التباكى وهو طلب للبكاء ولو بمثل رأس الذنابة<sup>(٧)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٤٦٩، ح ١.

(٢) الكافي ٢: ٤٧٠، ح ١.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ١١٤، ب ٥.

(٤) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٢٢٠، ح ١، ٦، ٧، ٩.

(٥) الكافي ٢: ٤٩٢، ح ١.

(٦) الكافي ٢: ٤٩٤، ح ١٦.

(٧) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٢٢٤، ب ٧.

٨ - الإقرار والاعتراف بالذنوب والاستغفار منها<sup>(١)</sup>.

٩ - التوسل إلى الله تبارك وتعالى بمحمد وآله الطاهرين<sup>(٢)</sup>.

١٠ - الاستغاثة بالله تعالى بأن يكرر يا الله أو يا رب أو يا سيده، أو يا رحمن يا رحيم أو يا أرحم الراحمين عشر مرات قبل ذكر الحاجة، فإنه ورد أنه ما قلها أحد من المؤمنين قط إلا قال الله له: «لبيك عبيدي سل حاجتك»<sup>(٣)</sup>.

١١ - تسمية الحاجة ونكرها، ففي الحديث أن الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا، ولكنه يحب أن تبت إليه الحوائج، فإذا دعوت فسم حاجتك<sup>(٤)</sup>.

١٢ - الإلحاح بالدعاء والمعلولة فيه، فقد ورد أن الله يحب إلحاح الملحين في الدعاء<sup>(٥)</sup>.

١٣ - الدعاء بالسر في الأمور الخاصة، فقد ورد أن الدعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلن<sup>(٦)</sup>.

١٤ - أن يستسلم لأمر الله تعالى في دعائه ويقول: «ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٧)</sup>، فقد ورد أن الله تعالى بعد أن يقول العبد ذلك يقول: «استبسل عبيدي واستسلم لأمرى، اقضوا حاجته»<sup>(٨)</sup>.

(١) الكليني ٢: ٤٨٥، ح ٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٢٤٤، ب ١١.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٢٥٧، ب ١٢.

(٤) الكافي ٢٠: ٤٧٦، ح ١.

(٥) أنظر الكافي ٢: ٤٧٤، باب الإلحاح في الدعاء.

(٦) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٢٧٣، ب ١٦.

(٧) الكافي ٢: ٥٢١.

(٨) أنظر مكارم الأخلاق: ٢٧٥، الباب العاشر.

١٥ - للتوبة إلى الله تعالى والتقوى له والورع عن معاصره، فإنه ورد أن من سره أن يستجاب له دعوته فليطلب مكسبه، فإن الرجل يرفع اللقمة إلى فيه فما يستجاب له دعوة أربعين يوماً<sup>(١)</sup>.

١٦ - الاجتماع للدعاء بعدد أربعين أو أربعة، فإن الاتفاق بينهم في الدعاء على أمر يكون من أسباب الاستجابة<sup>(٢)</sup>. وقد ورد أن الإمام الباقر عليه السلام إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وآمنوا، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الداعي والمؤمن شريكان».

١٧ - التعميم بالدعاء وعدم التخصيص لنفس الداعي، بل يعم به إخوانه المؤمنين، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا دعا أحدكم فليعم فإنه أوجب للدعاء»<sup>(٣)</sup>، كما ورد الحديث على أن يقول الإنسان في دعائه: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات»، وإن له بذلك ثواباً عظيماً<sup>(٤)</sup>.

١٨ - عدم تجاوز الحدود في الدعاء، أو الدعاء بغير الحق أو الإثم، فقد ورد أن العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً<sup>(٥)</sup>.

١٩ - رد مظالم الناس التي في ذمتهم إليهم، فقد ورد أن الله تعالى يقول: «وعزتي وجلالي لا أجيب دعوة مظلوم دعائي في مظلمة ولاحد عنده مثل تلك المظلمة»<sup>(٦)</sup>.

٢٠ - الطهارة والوضوء حال الدعاء.

(١) الكافي ٢: ٤٨٧، باب الاجتماع في الدعاء.

(٢) جامع لطايف النجعة ١٥: ٢٩٨، ب ٢٥.

(٣) الكافي ٥: ٤٨٧، ح ١.

(٤) أمالي الصدوق: ٥٤١، ح ٢.

(٥) الكافي ٢: ٣٣٢، ح ١٧.

(٦) ثواب الأعمال: ٢٧٢.

٢١ - استقبال القبلة حال الدعاء.

٢٢ - للتصدق قبل الدعاء.

٢٣ - التقدم بالدعاء قبل نزول البلاء.

٢٤ - التماس دعاء الإخوان المؤمنين له، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس شيء أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب»، وورد أن الله لا يحجب دعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب، بل يقال له: «مولك مقله»<sup>(١)</sup>.

٢٥ - أن يقدم في دعائه لنفسه الدعاء لأربعين مؤمناً، وهذا من التعميم في الدعاء ولكن بأسلوب خاص<sup>(٢)</sup>.

### أسباب أخرى للإجابة

مضافاً إلى ما مر من آداب وأسباب لإجابة الدعاء، هناك أسباب أخرى ترتبط بوقت الدعاء أو بمكانه أو بالأحوال التي يكون عليها الداعي.

أما بالنسبة إلى وقت الدعاء فقد مر الإشارة إلى بعضها، وهذه الأوقات المباركة، هي: يوم الجمعة وليلته وآخر ساعة منه، والثالث الأخير من الليل، وشهر رمضان، وليالي القدر الثلاث منه خاصة ويتأكد ذلك في الليلة الثالثة والعشرين، وكذلك ليلة عرفة ويومها، فإن الدعاء فيه أفضل من الصوم، وإنما يستحب الصوم فيه إذا لم يضعفه عن الدعاء، وكذلك ليلة المبعث ويومه وليلة العيدين الفطر والأضحى، وليلة الغدير ويومه، وليلة أول رجب وليلة النصف من شعبان، وليلة النصف من رجب ويومها، ويوم مولد النبي ﷺ، وعند الزوال، وما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك عند غروبها، وعند هبوب الرياح وزوال

(١) الكافي ٢: ٥٠٩، ح ٢.

(٢) أمالي الصنوقي: ٥٤١، ح ٤.

الافياء ونزول القطر، ولول قطرة من دم القتل المؤمن، فإن أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء<sup>(١)</sup>.

وكذلك عند قراءة القرآن وعند الأذن والتقاء الصفيين للشهادة<sup>(٢)</sup>، وعند دعوة المظلوم فإنه ليس لها حجاب دون العرش<sup>(٣)</sup>.

وكذلك عند اقشعرار الجلد وعند إفلضة العبرة، وإذا كانت الشمس في كبد السماء أو زاعت، فإنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ويرجى فيها للعون من الملائكة والإجابة من الله تبارك وتعالى<sup>(٤)</sup>.

وفي أنبار الصلوات وبين الصلاتين وعند الإفطار<sup>(٥)</sup>.

#### أماكن الدعاء

وأما بالنسبة إلى المكان ففي المسجد الحرام والمشاهد المشرفة في الصح في عدة مواضع، عند الميزاب من حجر إسماعيل، وعند المقام وعند الحجر الأسود وبين المقام والباب وجوف الكعبة، وعند بئر زمزم وعلى الصفا وعلى المروة وعند المشعر الحرام وعند الجمرات وعند رؤية الكعبة<sup>(٦)</sup>.

وكذلك عند قبر النبي ﷺ وفي مسجده، وخصوصاً الروضة وهي بين القبر والمنبر، وكذلك الحائر الحسيني والمساجد المشرفة كمسجد الكوفة.

(١) أنظر وسائل الشيعة ٤: ١١٤، ح ١.

(٢) أنظر وسائل الشيعة ٤: ١١٤، باب ٢٣.

(٣) أنظر أمالي الصدوق: ١٧١، ح ٧.

(٤) أنظر مكارم الأخلاق: ٣١٧.

(٥) الخصال: ٤٨٨، ح ٦٥.

(٦) راجع يحظر الأتوار ٩٠: ٣٤٩، الباب الحادي والعشرون.

### أحوال الداعي

وأما بالنسبة إلى أحوال الداعي فدعاء الصائم فإنه لا يرد، ودعاء المريض ودعاء الحاج والمعتمر، وثلاثة نفر اجتمعوا عند أخ لهم يأمنون بوائقه ولا يخافون غوائله.

والمظلوم على ظالمه ولمن انتصر له، فقد ورد عن الصادق عليه السلام قال: «كان نبي يقول: اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنَّ دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»<sup>(١)</sup>. والمؤمن المحتاج لأخيه إذا وصله، وعليه إذا قطعه مع استغناء أخيه وحاجته إلى رقه.

والمريض لعائده والسائل لمعطيه والمسافر، ودعاء الولد لولده إذا بره وعليه إذا عقه، والإمام المقسط والجار لجاره<sup>(٢)</sup>.

### أشخاص لا يستجاب دعاؤهم

وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنَّ الدعاء إذا كان على خلاف القواعد والأصول، والأسباب الطبيعية أو الشرعية أُلتي وضعها الله تعالى تحت تصرف الإنسان لقضاء حاجته، وهو قادر بسعيه على تحقيق ما يريده من الله تعالى، فإنَّ مثل هذا الدعاء لا يستجاب، وقد وردت نماذج في الحديث عن مثل هؤلاء الأشخاص وهم:

١ - القادر على السعي للرزق وقد أمره الله تعالى بذلك، ولكنه يجلس في بيته ويدعو الله أن يرزقه.

٢ - القادر على طلاق زوجته والخلاص منها وهي تؤذيه فلا يطلقها، بل يدعو عليها.

(١) الكافي ٢: ٥٠٩، ح ٤.

(٢) بحار الأنوار ٩٠: ٣٤٩، الباب الحادي والعشرون.

٣ - المتساهل في توثيق ديونه بالإشهاد أو غيره على غرمائه، فيترك ذلك فينكره للغرماء فيدعو عليهم.

٤ - القابر على تغيير داره فيؤذيه جاره فلا يغير داره ثم يدعو عليه.

٥ - للمفسد لعله الذي رزقه الله تعالى إياه فيتلف ماله ثم يدعو الله ليرزقه.

٦ - المعصرون على المعاصي واكلو المال الحرام، وهم قادرون على التقوى والإنابة وترك أكل المال بالباطل، فإنه لا يستجاب دعائهم<sup>(١)</sup>.

وبهذا يمكن أن نفهم أن تغيير المجتمع الإنساني لما كان له سبب طبيعي هو تغيير ما بالنفس بقاعدة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يُقَوِّرُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأْسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن ذلك لا يحصل بالدعاء، بل بأن يسمى المجتمع بتغيير نفسه، وعندئذ يكون الدعاء مؤثراً لإزالة الموانع الأخرى أو تهيئة الأسباب الخارجة عن قدرة الإنسان.

### تعليمات خاصة في الدعاء

وقد أتب أهل البيت سلام الله عليهم الجماعة الصالحة بأدب خاص في الدعاء مضافاً إلى ما سبق، فعلموهم كيف يدعون وماذا يقولون في دعائهم، وهناك نصوص كثيرة في هذا المجال يجدها المقتبِع في مواضع عديدة نظير إلى بعضها:

#### الأول: الدعاء على الأعداء

لقد كان يبغى أبناء الجماعة الصالحة بكثرة الأعداء والحقايق، كما كان يبغى بهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكان الدعاء سلاح المؤمن عندما تضيق السبل

(١) الكافي ٢: ٥١٠، باب من لا تستجلب دعوت.

(٢) الرعد: ٦٦.

بهم في مواجهة أعدائهم، وتتحدث لنا النصوص عن بعض الموارد التي كان يستخدمها أهل البيت وشيعتهم في هذا المجال.

عن رجال الكشي، عن المسممي قال: «لما أخذ داود بن علي (العباسي) المعلى بن خنيس حبسه وأراد قتله، فقال له المعلى: أخرجني إلى الناس فإن لي ديناً كثيراً ومالاً حتى أشهد بذلك، فأخرجه إلى السوق فلما اجتمع الناس قال: يا أيها الناس، أنا معلى بن خنيس فمن عرفني فقد عرفني. انشهنوا أنني ما تركت من مال عيين أو دين أو أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد. قال: قشد عليه صاحب شرطة داود فقتله. قال: فلما بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام خرج يجر ذيله حتى نزل على داود بن علي وإسماعيل ابنه خلفه، فقال: يا داود، قتلت مولاي وأخذت مالي. فقال: ما أنا قتلته ولا أخذت مالك. قال: والله لأدعوك الله على من قتل مولاي وأخذ مالي. قال: ما قتلته ولكن قتله صاحب شرطتي، فقال: أو بغير إذنك؟ فقال: بغير إذنني. فقال: يا إسماعيل، شأنك به: فخرج إسماعيل والسيف معه حتى قتله في مجلسه.

قال حماد: فأخبرني المسممي عن معتب قال: فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام ليلته ساجداً وقائماً. فسمعت في آخر الليل وهو ساجد يقول: اللهم إني أسألك بقوةك القوية وبمحالك الشديدة، وبعزتك التي خلقت لها نليل أن تصلي علي محمد وآل محمد وأن تأخذ الساعة الساعة. قال: فوالله ما رفع رأسه من سجوده حتى سمعنا الصلحة...<sup>(١)</sup>.

وعن سهل بن زياد، عن إسحاق بن عمار قال: «شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام جاراً لي وما أقي منه قال: فقال لي: ادع عليه. قال: ففعلت فلم أر شيئاً، فعدت إليه فشكوت إليه فقال لي: ادع عليه. قال: فقلت: جعلت فداك، قد فعلت فلم أر...

(١) يحار الأتوار ٤٧: ٣٥٢، ج ٥٩.



شيئاً. فقال: كيف دعوت عليه؟ فقلت: إذا لقيته دعوت عليه. قال: فقال: ادع عليه إذا أدبر وإذا استدبر، ففعلت فلم ألث حتى أراح الله منه<sup>(١)</sup>.

وروى الكليني في الكافي، عن يونس بن عمار قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن لي جاراً من قريش من آل محرز قد نوه باسمي وشهرني، كلما مررت به قال هذا الرافضي يحمل الأموال إلى جعفر بن محمد، قال: فقال لي: فادع الله عليه إذا كنت في صلاة الليل وأنت ساجد في السجدة الأخيرة من الركعتين الأوليين، فاحمد الله عز وجل ومجده وقل: اللهم إن فلان بن فلان شهرني ونوه بي وغازني وعرضني للمكاره، اللهم اضربه سهم عجل تشغله به عني. اللهم وقرب لجليه وقطع لفرده، وعجل ذلك يا رب الساعة الساعة. قال: فلما قدمنا للكوفة قدمنا ليلاً فسألت أهلنا عنه قلت: ما فعل فلان؟ فقالوا: هو مريض، فما انقضى آخر كلامي حتى سمعت للصياح من منزله وقالوا: قد مات»<sup>(٢)</sup>.

### الثاني، المباهلة

علم أهل البيت عليه السلام شيعتهم (مباهلة) الأعداء، عند الاحتجاج والمخاصمة وعدم التمكن من هدايتهم بالمنطق والموعظة الحسنة. وهذا الأسلوب مستلهم من القرآن الكريم في مباهلة النبي ﷺ لنصارى نجران.

فقد روى الكليني في الكافي، عن أبي مسروق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت: إنا نكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ فيقولون: نزلت في أمراء السرايا، فنحتج عليهم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَرْجِيهِمُ اللَّهُ وَيَوْمَئِذٍ كَلْبٌ﴾ إلى آخر الآية فيقولون: نزلت في المؤمنين، ونحتج

(١) الكافي ٢: ٥١٢، ج ١.

(٢) الكافي ٢: ٥١٢، ج ٢.

عليهم بقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَنَافِقَ إِلَّا تَأْمُرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوُا عَنِ الْمُنكَرِ ۚ أُو۟لَٓئِكَ يُنۢصَرِفُونَ عَنِ ذَٰلِكَ ۚ فَرۡحَنَ ٱللَّهُ ٱلۢبَٰرِئِينَ مِنَ ٱلۢمُنۢفِقِينَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡدِئُ ٱلۢمُنۢفِقِينَ﴾ فقلت: وكيف أصنع؟ قال: اصلح نفسك ثلاثاً، واظن قال: وصم واغتسل وابرز انت وهو إلى الجبان، فشبك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثم انصفه وأبدأ بنفسك وقل: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إن كان أبو مسروق جحد حقاً وادعى باطلاً فأنزل عليه حساباً من السماء أو عذاباً أليماً، ثم رد الدعوة عليه فقل: وإن كان فلان جحد حقاً أو ادعى باطلاً فأنزل عليه حساباً من السماء أو عذاباً أليماً، ثم قال لي: فإني لا تثبت أن ترى ذلك فيه. فو الله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه<sup>(١)</sup>.

وفي رواية معتبرة عن أبي جعفر محمد بن النعمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال لي: خاصموهم وبينوا لهم الهدى الذي تنتم عليه وباهلوه في علي<sup>(٢)</sup>».

ويؤيد هذا الأسلوب ما ذكرناه سابقاً في بحث النظام الأمني للجماعة الصالحة ونظام العلاقات، من أن أصل الدعوة إلى الحق واجب إلهي، وإنما منع أهل البيت شيعتهم - أحياناً - من ذلك مراعاة للظروف السياسية الخاصة التي كانت تواجهها الجماعة.

### الثالث: التنبيه على مواطن الاشتباه في الدعاء

وقد اهتم أهل البيت عليه السلام في بناء الجماعة للصالحية بالتنبيه على مواطن

(١) الكافي ٢: ٥١٣، ح ١.

(٢) الحكايات: ٧٥، ح ١٤.

الاشتباه في الدعاء، ومخاطبة الله تعالى أو مناجاته، وقد وردت النصوص تشير إلى بعض النماذج من هذا التعليم والتنبية.

فمن صلوان بن يحيى، عن الكاهلي قال: «كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء الحمد لله منتهى علمه فليس لعلمه منتهى، فكتب إلي: لا تقولن منتهى علمه، ولكن قل: منتهى رضاه»<sup>(١)</sup>.

وعن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة. قال: أراك تتعوذ من مالك ووليك. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَكُمْ رِيشَةٌ﴾ ولكن قل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن»<sup>(٢)</sup>.

ودى الكليني في الكافي، عن أبيان بن عبد الملك قال: «حدثني بكر الأرقط عن أبي عبد الله عليه السلام، أو عن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه واحد فقال: أصلحك الله، إني رجل منقطع إليكم بموتتي، وقد أصابتنني حاجة شديدة، وقد تقربت بذلك إلى أهل بيتي وقومي فلم يزمني بذلك منهم إلا بعداً. قال: فما آتاك الله خير مما أخذ منك. قال: جعلت فداك، لدع الله لي أن يغنيني عن خلقه. قال: إن الله قسم رزق من شاء على يدي من شاء، ولكن سل الله أن يغنيك عن الحاجة التي تضطرك إلى لئام خلقه»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال: «كان رجل جالساً عند أبي فقال: اللهم اغننا عن جميع خلقك، فقال له أبي: لا تقل هكذا، ولكن قل: اللهم اغننا عن شرار خلقك؛ فإن المؤمن لا يستغني عن أخيه المؤمن»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي ١: ١٠٧، ح ٣.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٨٠، ح ٦.

(٣) الكافي ٢: ٢٦٦، ح ١.

(٤) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٢٢٦، ح ٢.

وعن الكليني في الكافي، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «نظر أبو جعفر عليه السلام إلى رجل وهو يقول: اللهم إني أسألك من رزقك الحلال، فقال أبو جعفر عليه السلام: سألت قوت للذبيح. قل: اللهم إني أسألك رزقاً حلالاً واسعاً طيباً من رزقك»<sup>(١)</sup>.

#### الرابع: أفضل الدعاء ما جرى على اللسان

إنَّ الدعاء ثارة يُشبهه الإنسان من نفسه ليمجد به الله ويثني عليه، أو ليعبر به عن عولطه وأحاسيسه وحاجاته من الله تعالى.

وأخرى: يدعو بالمأثور من الدعاء الذي ورد في صيغ مخصوصة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، لو تضمنه القرآن الكريم.

وفي الوقت الذي علم أهل البيت شيعتهم أساليب الدعاء من خلال للنوع الثاني، لم يكتفوا بذلك، بل حثوا شيعتهم والجماعة الصالحة على ممارسة النوع الأول من الدعاء أيضاً؛ تربية وتعليماً لهم على الابتكار والإبداع في هذا العمل الصالح، وتأكيداً أن يكون الدعاء معبراً حقاً عن الحالة الوجدانية والروحية التي تتفاعل مع مشاعر الإنسان وحاجاته، رعاية لليسر والسهولة في الدعاء، وتلبية للحاجات الإنسانية دون التقيد بالحفظ أو النص المكتوب ومصاحبه.

وفي الوقت نفسه يبقى للدعاء بالمأثور مرتبة السامية، ودرره العظيم في التعليم والتزكية والتعبير، كما ذكرنا وسوف نشير إليه أيضاً.

فقد روى ابن طائوس عن كتاب الدعاء لسعد بن عبد الله بإسناده عن زهارة قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام علمني دعاءً فقال: إنَّ أفضل الدعاء ما جرى على لسانك»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٥٢، ح ٨.

(٢) الأمان من أخطار الأسفار: ١٩.

وقد روى الصدوق في الخصال بإسناده عن محمد بن إسماعيل، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «سبعة مواطن ليس فيها دعاء موقت: الصلاة على الجنائز، والقنوت، والمستجار، والصفاء والمرورة، والوقوف بعرفات، وركعتا الطواف»<sup>(١)</sup>.

وتفسر بعض الروايات ذلك باليسر والسهولة.

فقد روى الكليني في الكافي والشيخ الطوسي في التهذيب عن بكر بن حبيب «قلت: أي شيء أقول في التشهد والقنوت؟ قال: قل بلحسن ما علمت، فإنه لو كان موقتاً لهلك الناس»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: «لو كنتم كما يقولون ولجأ على الناس هلكوا، إنما كان القوم يقولون أيسر ما يعلمون»<sup>(٣)</sup>.

### النظرية في الدعاء

ومن خلال هذا الاستعراض للدعاء وشؤونه يمكن أن تكونَ نظرية عامة عن الدعاء نشير إلى معالمها باختصار.

١ - إن الدعاء هو منهاج للتربية والتعليم والتزكية والتطهير، وتشخيص طريقة مخاطبة الإنسان لربه في تمجيد وحمده والثناء عليه، واللجوء إليه واستئزال الرحمة الإلهية وطلب الحاجات. وهذا ما يحققه بشكل واضح الدعاء بالماثور والتعليمات الصائرة عن أهل البيت في أسلوب الدعاء ووسائل إجابته.

(١) الخصال: ٣٥٧، ح ١٦.

(٢) الكافي ٢: ٢٢٧، ح ٢.

(٣) الكافي ٣: ٢٢٧، ح ١.

٢ - إنَّ الدعاء هو تعبير عن موقف عملي للإنسان تجاه ربه وخالفه، وهو الإيمان بالله تعالى، والالتزام بعبادته، وكذلك تعبير عن إيمانه بالغيب، ودور عالم الغيب في حياة الإنسان المادية وارتباطها به؛ ولذا كان الدعاء من الواجبات الشرعية.

٣ - إنَّ هذا الكون الذي خلقه الله تعالى وفق نظام محكم شامل فيه جانب قهري تكويني، وفيه جانب اختياري إرادي يرتبط بالإنسان وإرادته ومسبباتها ونتائجها وآثارها.

وينبخل في ضمن هذا النظام الشامل الدعاء عاملاً مؤثراً في هذا للنظام، من خلال العلاقة بين إرادة الإنسان وعمله وسلوكه، والإرادة الإلهية القادرة والمهيمنة على جميع هذا الوجود بما فيه الإنسان وإرادته. فتصبح هذه الإرادة الإلهية مستجيبة لإرادة هذا الإنسان وندائه وفق شروط وموازين وضوابط.

ومن هذه الشروط والضوابط:

أ - مستوى العلاقة بين الإنسان وربّه من خلال عمله وسلوكه وتكامله في انسجامه مع الإرادة التشريعية - الأحكام الشرعية والحدود الإلهية - لله تعالى. فكلما كان الانسجام بين الإرادة التشريعية الإلهية وإرادة الإنسان في سلوكه كانت استجابة الإرادة التكوينية لله تعالى منسجمة مع دعاء الإنسان وإرادته ورغبته في الشيء.

ب - الإقبال من الإنسان على الله في موضع الحاجات وإحساسه بالفقر واللجوء إلى الله تعالى، وحسن الظن بالله ومعرفته به.

ج - بذل الإنسان لجميع طاقاته وجهده المشروع والميسور في سبيل الحصول على حاجته وانسداد الأبواب في طريق الوصول إلى حاجته. فالدعاء هو طلب إعمال الإرادة التكوينية لله تعالى في مجال كوني خارج عن إرادة

الإنسان، وليس تعويضاً للإرادة الإنسانية بالإرادة الإلهية، ولأن انتفعت الحكمة الإلهية في خلق الإنسان مريداً.

د - عدم وجود الموانع الإرادية والاختيارية من قبل الإنسان في سلوكه وعمله، التي تقتضي حجب الدعاء والاستجابة والعون والمساعدة.

هـ - عدم وجود مصلحة أخرى في تأخير الاستجابة أو عدم تحققها تتعلق بالإنسان نفسه، أو بغيره من الناس الصالحين، ولعل الذي يبطئ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ (١)

وقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، إني قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة، وقد دخل قلبي من إبطائها شيء، فقال: يا أحمد، إياك والشيطان أن يكون له عليك سبيل حتى يفتنك. إن أبا جعفر صلوات الله عليه كان يقول: إن المؤمن يسأل الله عز وجل حاجة فيؤخر عنه تعجيل إجابته حباً لصوته واستماع نحيبه.

ثم قال: والله ما أخر الله عز وجل عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم فيها، وأي شيء الدنيا؟ إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحواً من دعائه في الشدة، ليس إذا أعطي فتر، فلا تمل الدعاء فإنه من الله عز وجل بمكان.

وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم، وإياك ومكاشفة الناس فإننا أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن إلى من نساء إلينا، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة.

(١) البقرة: ٢١٦.

إنَّ صاحب النعمة في الدنيا إذا سال فأعطي طلب غير الذي سال وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شيء، وإذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق التي تجب عليه وما يخاف من الفتنة فيها.

أخبرني عنك لو لني قلت لك قولاً أكنت تثق به مني؟ فقلت له: جعلت فداك، إذا لم أثق بقولك فبمن أثق وأنت حجة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله لوثق فإني على موعد من الله، اليس الله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ، وقال: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ ، وقال: ﴿وَاللَّهُ يَوْمُكُمْ مَّخِيرٌ بَيْنَهُ وَفَضْلُهُ﴾ ، فكن بالله عز وجل لوثق منك بغيره، ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيراً فإنه مغفور لكم<sup>(١)</sup>.

### الدعاء بالمأثور

لقد ورتت نصوص كثيرة ومختلفة في الطول والقصر والمضمون والأسلوب عن أهل البيت سلام الله عليهم، تتضمن روائح وبذائع في الدعاء والمناجاة لله تعالى وحمده والثناء عليه، وتمجيده والاعتراف بين يديه والتوسل إليه واللجوء إلى حماه.

وتعتبر هذه الثروة الكبيرة المعنوية والاسبية والبيانية والروحية من مميزات مدرسة أهل البيت عليهم السلام، التي تدل بوضوح على مقامهم السامي وعلو درجاتهم وإمامتهم وفضلهم على الناس.

وقد أشرنا في الفصول والابواب السابقة إلى عدد كبير منها، حيث وجدنا أنَّ لهم في كل موطن وحال ومقام وزمان نصاً مأثوراً، وخصوصاً في العبادات والأوقات المباركة والأماكن المقدسة، فضلاً عن الشعائر.

(١) الكافي ٢: ٤٤٨، ح ١.



مضافاً إلى ذلك كله توجد صحائف كثيرة ومطولة اشتملت على المأثور من الأدعية عنهم سلام الله عليهم.

وقد اشتهر من بين أئمة أهل البيت بشكل خاص في هذا المجال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والإمام علي بن الحسين عليهما السلام، حيث كانت أدعية الصباح وكميل والمناجيات الخمس عشرة وغيرها، وكذلك الصحيفة العلوية مصداقاً لذلك.

كما توجد الصحيفة السجادية المعروفة مضافاً إلى دعاء أبي حمزة الثمالي، وما جمعه العلماء من دعاء الإمام زين العابدين، فكان المجموع ست صحف منسوبة إليه سلام الله عليه.

ولكن أهل البيت عليهم السلام هم من نور واحد، ولذلك نجد بعض الأدعية الأخرى لهذا الإمام أو ذاك مما يعبر عن هذه الحقيقة، كما نجد ذلك في دعاء الإمام الحسين في عرفة، ودعاء البهاء للإمام الباقر، ودعاء الافتتاح المنسوب للصحة الإمام المهدي عليه السلام، والزيارة الجامعة المنسوبة للإمام الهادي عليه السلام، وغيرها من النصوص الأخرى.

واستقصاء الحديث عن المأثور ونكر عناوينه يحتاجان إلى الكتب المطولة، ولذلك نجد أن علماء الجماعة الصالحة - خصوصاً في العهود الأولى - كتبوا كتباً مطولة اقتصت بهذا الأمر خارج كتب الحديث والمعروفة، ويمكن الرجوع إليها. ولكن هنا نشير إلى بعض العناوين للمعروفة من هذه الأدعية، والتي يمكن أن يجدها المؤمن في كتب مفاتيح الجنان المنتشرة بين الناس، فضلاً عن كتب مصباح المتجهد للشيخ الطوسي أو المصباح للكفعمي، أو الإقبال للسيد ابن طاووس أو غيرها.

ومن هذه الأدعية المعروفة دعاء كميل، ودعاء السمات، ودعاء العشرات، ودعاء الصباح، ودعاء الجوشن الكبير، ودعاء الجوشن الصغير، ودعاء المشلول،

ودعاء المجبر، ودعاء يستشير، والمناجاة الخمس عشرة، ودعاء الافتتاح، ودعاء التبهاء، ودعاء أبي حمزة الثمالي، ودعاء السحر، والمناجاة الشعبية، ودعاء مكارم الأخلاق.

وهناك أدعية عرف تداولها ولم تنسب إلى الأئمة، مثل دعاء الزبية. إن هذه النصوص بمجموعها تمثل مدرسة ومنهجاً عملياً تطبيقياً يعيشه الإنسان في تفاصيل حياته، تربيته على مخاطبة الله وتعرفه صفات اشوئعمه وعطاياه، وتحثه على الورع والتقوى وعلى التوبة والإنابة، وعلى مكارم الأخلاق ومعالجة شهوات النفس ونوازعها ومجاهدة هذه الشهوات والانحرافات، وتبين له مواطن الخلل في سلوكه، وتعرفه الأعمال الصالحة والسلوك الشرعي الراقى، وتكشف له وسائل الشيطان ومداخله التي يتخلل منها إلى الإنسان، إلى غير ذلك مما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا والآخرة.

#### رابعاً: الذكر

نقصد من الذكر مجموع الكلمات التي ينكر بها الله تعالى بالثناء والتمجيد أو الاستعانة، من قبيل الحمد لله، وبسم الله، وما شاء الله والله أكبر، ولا إله إلا الله، وسبحان الله... الخ.

وكذلك يقصد منه الاستغفار وإعلان التوبة والإنابة لله من الذنوب والمعاصي، وإيضاً الدعاء بالصلاة على النبي محمد وآله<sup>(١)</sup>.

(١) الظاهر أن الاستغفار والصلاة على الأنبياء من الدعاء وليس من الذكر، ولكنها تذكر لمشايعتها الذكر في البناء اللفظي في جمل قصيرة (استغفر الله ربي واتوب إليه)، و (اللهم صل على محمد وآل محمد)، وإيضاً لأنه ورد في استحبابها تكرارها في بعض المواضع مرات عديدة، شأنها في ذلك شأن الذكر، ولذا يتم للحديث عنها في هذا الباب، كما أنه ورد في بعض الروايات أن الصلاة على النبي ﷺ تموض عن ذكر الله وتسبيحه. منه قدس سره.

والذكر بهذا المعنى الواسع عبادة من العبادات الإسلامية الواجبة التي حدث عليها القرآن الكريم في كثير من آياته، أو جاءت نصورها في آياته، قال تعالى: **وَادْكُرْ اِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَّاٰخِرًا ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ۖ قُلْ لَا طَٰغُوتَ اِلَٰهَ اِلَّا هُوَ ۚ سُبْحٰنَہٗ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ ۚ** (١).

وقال: **هَاتِ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ فِي أُولَى الْأَتَابِ** ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَقُولُونَ هَاتِ بِآيَاتٍ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَمِمَّا عَخَّرَتْ هَذَا نَبْعَلَا سُبْحَانَكَ قَبِلْنَا عَذَابَ اللَّهِ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾

وقال: ﴿رَأَيْتُمْ إِيَّاهُ فَجَعَلَهُ آيَةً لِّكُلِّ قَوْمٍ﴾ ﴿إِلَّا أَنَّهُ وَلَمْ يَصِرْ إِلَّا مِمَّا فَعَلُوا وَمِمَّا يَقُولُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ  
لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ وَرَءَايَا رَحِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ إِنَّمَا الْإِنْسَانُ لَكْفٌ ﴿٥٠﴾﴾  
وقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَمَعْلُومُونَ عَلَى النَّاسِ يَأْتِيهِمُ الْيَقِينُ مَا تَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ  
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥١﴾﴾<sup>(١)</sup>

وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ وَكَرَّ كَيْدًا ﴿١١﴾ وَسَيُخَوِّدُكُمْ وَأَسْبَغَ ﴿١٢﴾  
هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَيَبَلِّغُكُمْ لِكَلِمَةٍ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٣﴾

(١) الإنسان: ٢٥ - ٢٦.

(۲) آمل، عبدالنور: ۱۹۸۰ - ۱۹۸۱.

(۳) آل عمران: ۱۷۵.

(٤) التمساء: ٦٤.

(5) ۲۰۰۰

(٦) الأحزاب: ٥٦.

(٧) الاحكام: ٤١ - ٤٢.

وقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أنّ موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب، قريب أنت مني فلأنجيك، أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك؟ فقال: الذين يذكرونني فأنكرهم ويتحابون في قلوبهم، فاولئك الذين إذا ارتأت أنّ أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم»<sup>(١)</sup>.

وروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أكثر ذكر الله عزّ وجلّ أحبه الله، ومن نكر الله كثيراً كتبت له مائة براءة من النار وبراءة من النفاق»<sup>(٢)</sup>.

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج على أصحابه فقال: «ارتعوا في رياض الجنة. قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس التكر، اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أنّ يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنّ الله تعالى يتزل العبد حيث أنزل للعبد الله من نفسه. واعلموا أنّ خير أعمالكم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله سبحانه، فإنّه أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني، وقال سبحانه: فاذكروني أنكركم بتعمتي، واذكروني بالطاعة والعبادة أنكركم بالنعم والإحسان والرحمة والرضوان»<sup>(٣)</sup>.

### أقسام الذكر

ويحسن بنا تقسيم البحث في الذكر إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الذكر بالمعنى الخاص،

(١) الكافي ٢: ٤٩٦، ح ٤.

(٢) الكافي ٢: ٥٠٠، ح ٣.

(٣) عدة الداعي: ٢٢٨، الباب الخامس.

الثاني: الاستغفار.

الثالث: الصلاة على النبي ﷺ وبقية الأنبياء والمؤمنين.

### الأول: الذكر بالمعنى الخاص

الذكر بالمعنى الخاص هو كل نكر لله تعالى بأسمائه أو صفاته أو لثناء عليه أو تمجيده وتحميده، ولكن ورد في النصوص أن هناك مقدرات خاصة للذكر تحظى بأهمية خاصة في هذا الموضوع. نذكر أهمها، وهي:

#### ١ - البسملة

البسملة آية من القرآن الكريم، بل هي آية في كل سور القرآن الكريم عدا براءة، وقد جاء في بعض الروايات أنها الفضل الآتية، فقد روى الشيخ الطوسي في التهذيب بسند معتبر عن محمد بن مسلم قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التسليم المتأني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: نعم، أفضلهن»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر عن الباقر عليه السلام قال: «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى سوادها»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى: «تول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي إلا تستعيز. وإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم سترتك فيما بين السماء والأرض»<sup>(٣)</sup>.

ولاهمية البسملة في نظر أهل البيت عليه السلام تحولت إلى علامة وشعار

(١) تهذيب الأحكام ٢: ٢٨٩، ج ١٣.

(٢) تهذيب الأحكام ٢: ٢٨٩، ج ١٥.

(٣) الكافي ٣: ٢١٣، ج ٢.

للجماعة الصالحة يمتازون بها عن بقية المسلمين، حيث يمكن أن نلاحظ هذا الأمر في الأمور التالية:

- ١ - الالتزام بقراءتها في الصلاة جزءاً من سورة الفاتحة ومن كل سورة.
- ٢ - الجهر بالبسملة في الصلاة حتى الإخفائية منها، وهذا ما تحدثنا عنه في بحث الصلاة اليومية.
- عن الحكم بن عمير قال: «صليت خلف النبي ﷺ فجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الليل وصلاة الفداة وصلاة الجمعة»<sup>(١)</sup>.
- ٣ - الالتزام بأن البسملة هي جزء من جميع سور القرآن الكريم عدا براءة، كما نصت على ذلك الروايات الواردة عنهم ﷺ وعن رسول الله ﷺ، وكما يؤكد الرسم القرآني المتداول بين المسلمين، حيث يكتبون البسملة كما يكتبون الآيات القرآنية الأخرى.
- ٤ - الالتزام بذكر البسملة في مختلف شؤون حياتهم فضلاً عن البدء بها في الكتابة، بل يرون البدء بها في جميع أعمالهم كما ورد ذلك عن أئمتهم. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل امرئ ذي مال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبلتر». وفي رواية أخرى: «كل كتاب لا يبدأ فيه بذكر الله تعالى، فهو أقطع»<sup>(٢)</sup>.
- وقد عرف شيعة أهل البيت ﷺ بهذا حتى أصبح الجهر بالبسملة من علامات المؤمن الخمس، كما ذكرنا آنفاً في البحث السابق.

(١) الترمذي المثلوث ١: ٨.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٣٧٨، ج ٤، ٥.

## ٢ — الاستعاذة

الاستعاذة هي قول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، أو «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أو أي صفة أخرى»<sup>(١)</sup>.

وقد وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم عند البدء بقراءة القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في الروايات عن صلاة بعض أئمة أهل البيت أنهم كانوا يأتون بها في الصلاة قبل البسملة وعند قراءة القرآن أيضاً.

كما في رواية قرب الإسناد عن حنان بن سدير قال: «صليت خلف أبي عبد الله المغرب، قال فتعوذ جهراً: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله أن يحضروني، ثم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان أن الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارجها<sup>(٤)</sup>.

وقد روى الكليني في الكافي بإسناده، عن فرات بن أحمد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «سمعت يقول: أول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي ألا تستعيذ»<sup>(٥)</sup>.

## ٣ — التهليل

التهليل هو قول «لا إله إلا الله»، أو «لا إله إلا هو»، وقد ورد في القرآن

(١) نورد الثقلين ٣: ٨٤، ج ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) النحل: ١٦.

(٣) قرب الإسناد: ١٢٤، ج ٤٣٦.

(٤) مجمع البيان ٦: ١٩٨.

(٥) الكافي ٣: ٣١٢، ج ٣.

الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْبَيْتُ حَيْثُ قَامَ بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْعَمِيدُ﴾ (١).

والشهادة به هو جزء من الشهادتين اللتين تتكرران في الأذان والإقامة، وتجبان في الصلاة عند التشهد.

وقد وردت روايات عديدة في فضله تتضمن أنه ليس شيء أعظم وأفضل وأرجح وأثقل من شهادة أن لا إله إلا الله، كما ورد في حديث سلسلة الذهب المعروف عن الإمام للرضا، الذي حدث به الناس في نيسابور عند مقدمه إلى خراسان أنه قال عن آبائه، عن رسول الله، عن جبرائيل، عن الله: «شهادة لا إله إلا الله حصني، من قالها مخلصاً من قلبه دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي» (٢).

وإن هذه الشهادة هي أفضل الكلام وسيد القول، وإن من قالها صادقاً استوجب الجنة، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار (٣).

ومن هنا أصبح التهليل شعار المسلمين في الدنيا، وشعارهم أيضاً على الصراط يوم القيامة، حسب ما أشارت إليه الروايات (٤).

وانطلاقاً من ذلك أصبح للجهر بها ثواب عظيم مضاعف.

فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يقول: لا إله إلا الله يرفع بها صوته يقرع، حتى تتناثر ذنوبه تحت قدميه كما تتناثر ورق الشجر تحتها» (٥).

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ١٤٧، ج ٢.

(٣) أنظر وسائل الشريعة ٤: ١٢٢٦، ج ١٤.

(٤) أنظر بحار الأنوار ٩٠: ٢٠٤، ج ٤٢.

(٥) ثواب الأعمال: ٦٠.



ولا شك أن ضم الشهادة الثانية لها وهي أن محمداً رسول الله يزيد في الأجر والثواب.

كما ورد في بعض الروايات بيان ثواب الشهادتين أنه كتابة ألف ألف حسنة، وأنه نجاة من النار ويوجب دخول الجنة<sup>(١)</sup>.

#### ٤ — الحمد لله

الحمد لله أول ما يفتتح به للعبد صلاته في سورة الفاتحة بعد البسملة. وقد أنبأ القرآن الكريم به، كما أنه آخر دعوى المؤمنين وكلامهم: ﴿وَبِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْكَوْمِ﴾.

وقد ورد في القرآن الكريم مكرراً على لسان الأنبياء والصالحين، والحمد هو أحب الأعمال لله تعالى.

فقد روى الكليني في الكافي عن محمد بن مروان قال: دقلت لأبي عبد الله عليه السلام أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ فقال: **أَيُّ تَحْمِيدِهِ**<sup>(٢)</sup>.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر من الحمد في الصباح والمساء<sup>(٣)</sup>.

#### ٥ — التسييح لله

ورد التسييح لله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وبه افتخر العلائكة عندما أُرسلوا لأنفسهم أن يكونوا خلفاء لله في الأرض: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أنظر الكافي ٢: ٥١٨.

(٢) الكافي ٢: ٥٠٣، ج ٢.

(٣) أنظر الكافي ٢: ٥٠٢، باب التحميد والتمجيد.

(٤) البقرة: ٣٠.

كما أن التسبيح لله تعالى يمثل ظاهرة كونية تشمل كل الكائنات حسب ما أكدته القرآن الكريم: ﴿سُبْحَ لَهُ الْمَكْرُوكُ الْمَسْكُوعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَلُوبًا﴾ (١).

وقد جاء الحدث في القرآن الكريم للنبي والمؤمنين على التسبيح لله تعالى: ﴿سُبْحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكَانَ يَوْمَ الْآخِرِينَ﴾ (٢).

وقد وردت روايات عديدة في فضل التسبيح، منها ما رواه في السرائر عن أبي عبد الله الصديق عليه السلام: «ما من كلمة أخف على اللسان ولا تبلغ من سبحان الله...» (٣). وكذلك ما رواه الصديق في ثواب الأعمال عن الصديق عليه السلام قال: «من قال سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم ويحمده كتب الله له ثلاثة آلاف حسنة ومحا عنه ثلاثة آلاف سيئة، ورفع له ثلاثة آلاف درجة، ويخلق منها طائراً في الجنة يسبح الله وكان اجر تسبيحه له» (٤).

## ٦ - التكبير لله

لقد ورد الحديث عن التكبير في القرآن في عدة مواضع، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُمْ فَأَنذِرْ ۖ وَرَبُّكَ أَكْبَرُ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا الْوَيْلَةَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ ۚ وَاتَّخِذُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ مَوْلًى تَعْلَمُونَ﴾ (٦).

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) الحجر: ٩٨.

(٣) مستطرفات السرائر: ٦٠١.

(٤) ثواب الأعمال: ١٢.

(٥) العنبر: ١ - ٣.

(٦) البقرة: ١٨٥.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ لِمَنذُ إِلَهٍ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ لَهَا دِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَكُنْ لَهَا مَلَكًا وَكَفَىٰ لَهَا دِينَ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ لَهَا دِينَ مِنَ اللَّهِ﴾ (١).

والتكبير هو شعار المسلمين أيضاً؛ لأنه ورد في الأذان عدة مرات، وكذلك في الإقامة للصلاة. وبدء الصلاة والإحرام بها يكون بالتكبير، وكذلك الانتقال من فعل إلى آخر في الصلاة يكون بالتكبير.

وقد ورد في فضله أنه قرن بالتهليل في الفضل في بعض الروايات، حيث إنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من التهليل والتكبير، وأن ثمنه الجنة، وأنه يكفر الذنوب (٢).

والتكبير هو قرين التسبيح والحمد والتهليل في للتسبيحات الأربع المعروفة التي ورد فيها ثواب وفضل كبيران (٣)، ويعوض الإتيان بها عن الفاتحة في الركعتين الأخيرتين من الصلاة.

## ٧ — الحوقلة

الحوقلة: هي قول لا حول ولا قوة إلا بالله. وقد وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَعَاكَ جَنَّاتُكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (٤).

وقد وردت روايات عديدة تؤكد أن هذا الذكر له فضل كبير في دفع الهم

(١) الإسراء: ١١١.

(٢) انظر الكافي ٢: ٥٠٦، ج ٢.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٣٩٩، باب ١٧، خصوصاً الرواية الأولى وهي معتبرة السند، وكذلك باب ١٨، والظاهر أن هذه التسبيحات هي أفضل الذكر على الإطلاق لما اشتملت عليه من الأشكال الأربعة للذكر، ولأنها تأتي عوض الفاتحة وهي أفضل سريرة في القرآن الكريم، مضافاً إلى ما ورد في فضلها والله أعلم.

(٤) الكهف: ٢٩.

والحزن والوسوسة والفقر، وفي عدة روايات أنها كنز من كنوز الجنة، وأن قولها يسقط الذنوب حيث يخرج الإنسان منها كيوم ولدته أمه<sup>(١)</sup>.

#### ٨ — المشيئة

المشيئة هي: قول ما شاء الله، وقد ذكرها القرآن الكريم في الآية ٣٩ من سورة الكهف، وقد عرفنا فضلها الكثير في بحث الدعاء، وأنها تعبر عن التسليم للإرادة الإلهية. وقد وردت هذه الصيغة في بعض الأذكار المؤقتة، كما عرفنا ذلك خصوصاً في أعمال شهر رجب.

#### ٩ — الاسترجاع

الاسترجاع هو: قول إنا لله وإنا إليه راجعون، وهو ذكر يقوله الإنسان عند المصيبة كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ مِّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ <sup>(٣)</sup>. وقد ورد في معنى الاسترجاع عن علي عليه السلام أنه قال للأشعث بن قيس لما سمعه يسترجع: «أنتري ما تأويلها؟ فقال الأشعث: لا، أنت غاية العلم ومنتهاه، فقال له: أما قولك: إنا لله فإقرار منك بالملك، وأما قولك: وإنا إليه راجعون فإقرار منك بالهلاك»<sup>(٤)</sup>.

كما ورد عن رسول الله ﷺ في أهمية الاسترجاع وفضله أنه خصلة وصفة تجعل الإنسان في دائرة نور الله الأعظم<sup>(٥)</sup>.

(١) أنظر لمالي الصدوق: ٦٥١، مجلس ٨٢.

(٢) للبقرة: ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) نور الثقلين ١: ١٤٤، ح ٤٥٥ عن أصول الكافي، وكذلك ورد هذا المضمون في نهج البلاغة عن علي عليه السلام.

(٤) أنظر المعاشن ١: ٨، ح ١٩.

ويبدو من بعض الروايات أنَّ الاسترجاع من الآداب التي اختص الله بها تعالى الأمة الإسلامية الخاتمة. فقد ورد في تفسير علي بن إبراهيم أنَّ أبا عبد الله الصادق عليه السلام سئل: «ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى بأولادها». وقال: «إنَّ يعقوب لم يعرف الاسترجاع، ومن هنا قال: وا أسفاه على يوسف»<sup>(١)</sup>.

وللاسترجاع آثار وفوائد كثيرة تحدثت عنها الآية القرآنية، وكتبها الروايات عن أهل البيت عليهم السلام. فلنَّ فيه الصلوات من الله تعالى والرحمة الإلهية والهداية كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة.

كما أنَّ فيه المغفرة من الله تعالى وجبران المصيبة وحسن العاقبة والخلف الصالح. وفي تكرارها عند تذكر المصيبة الأجر والثواب، وكذلك لقولها عند حدوث المصيبة<sup>(٢)</sup>.

### الثاني: الاستغفار

ورد الاستغفار في القرآن الكريم في عدة مواضع، سواء بلسان الحث عليه والترغيب فيه ببيان آثاره وفوائده المادية والمعنوية، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَيَغْفِرْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَنَزِّلْ مِنْكُمْ قُرْآنًا وَلَا تَتُوبُوا مَحْمِرَةً﴾<sup>(٤)</sup>.

أم بلسان الدعاء على لسان الصالحين، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ

(١) تفسير القمي ١: ٣٥٠.

(٢) أنظر الكافي ٣: ٢٢٤، باب الصبر والجوع والاسترجاع.

(٣) هود: ٣.

(٤) هود: ٥٢.

لَنَا وَإِلَٰهَيْنَا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سَيِّدُنَا أَلَمْ يَخْلُقْنَا بِإِذْنِهِ وَلَا يَجْعَلُ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ»<sup>(١)</sup>.

أم بلسان التأكيد لوجود فرصة للتوبة والمغفرة في كل الظروف: ﴿قُلْ يَبْنَؤُا نَفْسُ الْبَشَرِ أَشْرَقُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»<sup>(٢)</sup>.

إلى غير ذلك من الأساليب والصيغ مثل صيغة بيان أسباب للمغفرة وحصولها، أو صيغة انقطاع مهلة المغفرة وانسداد أبوابها، أو توضيح الطريق لحصول المغفرة وقوعها.

وقد ورد في فضل الاستغفار وآثاره روايات عديدة، منها أنه خير الدعاء، كما ورد فيه أيضاً: «إنَّ للقلوب صدا كصدا النحاس فاجلوهما بالاستغفار»<sup>(٣)</sup>، وكذلك «إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهو يتلأأ»<sup>(٤)</sup>.

والاستغفار واجب أيضاً، لأنه يعبر عن التوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه من الذنب الذي يرتكبه الإنسان<sup>(٥)</sup>.

(١) الحشر: ١٠.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) عدة الداعي: ٢٤٩.

(٤) الكافي ٢: ٥٠٤، ح ٧.

(٥) الذنوب التي يرتكبها الإنسان أو يشعر بها ويستغفر الله منها لها درجات ومراتب، حيث قد يكون ذنباً كبيراً أو حتى شركاً بالله تعالى خفياً أو ظاهراً، فيرجع عنه الإنسان إلى الله تعالى، وقد يكون ذنباً صغيراً من اللغو كما يعبر القرآن الكريم، وقد يكون غفلة ونسياناً أو تركاً لما هو أولى وأفضل فيشعر الإنسان الصالح الطاهر أنه قد أساء والذنب، وقد يكون نقصيراً بإزاء الله تعالى في شكر نعمة أو أداء واجب أو وظيفة، أو في مواساة فقير أو أخ في الله، أو في ترك مودة مؤمن أو فعل مكروه وغير ذلك، وبعض هذه العناوين وإن لم يطلق عليها اسم الذنب في الاصطلاح الفقهي إلا أنه يكون مورداً لطلب المغفرة أيضاً، خصوصاً من أصحاب الدرجات العالية في الكمالات الإنسانية.

والتوبة إلى الله تعالى التي يعبر عنها الاستغفار من الواجبات الشرعية الإلهية، ولذلك فإن تركها معصية وذنب قد يحول الذنوب الصغيرة إلى ذنوب كبيرة. وفعلها حسنة يحول الذنوب الكبيرة إلى رحمة ومغفرة إلهية. فقد ورد في الحديث الشريف «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»<sup>(١)</sup>. وقد فسر الإصرار في بعض الروايات بتوك الاستغفار والتوبة<sup>(٢)</sup>.

ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه الباقر عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله رب العالمين ومن إذا أصاب خطيئة قال: استغفر الله وتوب إليه»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية معتبرة عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحببه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة. قلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكه ما كتب عليه من الذنوب، ويوحى إلى جوارحه: اكتمى عليه ذنوبه، ويوحى إلى بقاع الأرض: اكتمى ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»<sup>(٤)</sup>.

والتوبة (النصوح) في الروايات هي أن يكون باطن الرجل كظاهره أو أفضل<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٢٨٨، ح ١.

(٢) أنظر الكافي ٢: ٢٨٨، ح ٢.

(٣) الخصال: ٢٢٢، باب الأربعة.

(٤) الكافي ٢: ٤٣٠، ح ١.

(٥) أنظر التفسير الصافي ٥: ١٩٦.

وقد ورد في أهمية الاستغفار عن أبي عبد الله الصالح عليه السلام قوله: «ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ببيع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، واسأله أن يصلي علي محمد وآل محمد وأن يتوب علي إلا غفرها، ولا خير فيمن يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة»<sup>(١)</sup>.  
كما ورد فيه - أيضاً - أنه من أركان الإيمان<sup>(٢)</sup>.

### حد الاستغفار

وقد ورد في حديث أهل البيت تشخيص (الحد) للاستغفار، وأنه لا بد أن يكون حقيقياً نابهاً من القلب والوجدان، مقروناً بالنعم على الذنب وبالعزم على تركه. فقد جاء في تصف العقول في حديث كميل بن زياد مع أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه سأله: «قلت يا أمير المؤمنين، العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه، فما حد الاستغفار؟ قال: إن للعبد إذا أصاب ذنباً قال: استغفر الله بالتحريك قلت: وما التحريك؟ قال: يا ابن زياد، التوبة. قلت: بس؟ قال: لا. قلت فكيف؟ قال: الشفقتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة، قلت: وما الحقيقة؟ قال: تصديق القلب وإضمار أن لا تعود إلى الذنب الذي استغفر منه. قلت: فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين؟ قال: لا؛ لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد. قلت: فأصل الاستغفار ما هو؟ قال: الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه، وهي أول درجة العابدين. وترك الذنب والاستغفار اسم واقع لمعانٍ ست: أولها: النعم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود لبدأ، والثالث: أن تؤدي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم، والرابع: أن تؤدي

(١) ثواب الأعمال: ١٦٩.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٢٦٨، ج ٩.



حق الله في كل فرض، والخامس: أن تذيب اللحم الذي ثبت على السحت والحرام حتى يرجع للجلد إلى عظمه ثم تنشئ فيما بينهما لحماً جديداً، والسادس: أن تذيب البدن ألم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي،<sup>(١)</sup>

#### المبادرة إلى الاستغفار

كما لا بد في الاستغفار من المبادرة إليه وعدم التأخير، كما ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

كما ورد في الروايات تأكيد على ذلك، ففي حديث معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من عمل سيئة نُجِّلَ فيها سبع ساعات من النهار، فإن قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وتوب إليه ثلاث مرات لم تكتب عليه»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر معتبر عن زرارة قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن العبد إذا أذنب ذنباً نُجِّلَ من غدوة إلى الليل، فإن استغفر الله لم تكتب عليه»<sup>(٤)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيدينا دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية فمن لها؟ فقلع عفريت من الشياطين فقال: أنا

(١) تحف العقول: ١٩٧.

(٢) آل عمران: ١٣٥.

(٣) الكافي ٤: ٤٢٨، ح ٥٠.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٣٥١، ح ٤.

لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخناس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّهم حتى يوقعوا الخطيئة، فإذا وقعوا الخطيئة أنسيتم الاستغفار، فقال: قتلت لها فوقك بها إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عن سفيان بن السمط قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فأنزب ذنباً تبعه بنعمة وينكره الاستغفار، وإذا أراد الله تعالى بعبد شراً فأنزب ذنباً تبعه بنعمة ينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عز وجل: ﴿مَسْكُونُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَسْكُونُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي<sup>(٢)</sup>.

كما أن أفضل الاستغفار ما يكون مقروناً بالإقرار بالذنب وتسميته بعنوانه واسمه الخاص أو بعنوانه العام.

روى الكليني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به، قال: وقال أبو جعفر عليه السلام: كفى بالنعم توبة»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يقرؤا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنب فيغفرها لهم»<sup>(٤)</sup>.

والذنب تمرد على الله تعالى وخروج عن طاعته وعبوديته، ولذلك إذا كان الذنب جهاراً أدى إلى العقوبة واستوجب لما هو الأشد منها، وأما إذا تستر به للعبد حياة من الله تعالى ومن الذنب فهو نوع من ضعف الإرادة أمام الشهوات،

(١) إمامي المستوفى: ٥٥٦، ح ٥.

(٢) علل الشرائع ٢: ٥٦٦، ح ١.

(٣) الكافي ٢: ٤٢٦، ح ١.

(٤) الكافي ٢: ٤٦٢، ح ١.

ولكنه في نفس الوقت يعبر عن مكنون نفسي في الإنسان ينبئ عن الخشية، ويكون داعياً للإنابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه.

فقد روي عن الرضا، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بالسيئة مغفور له»<sup>(١)</sup>.

وبهذا الاستعراض يمكن أن نعرف أهمية الاستغفار، وأنه مضافاً إلى دوره في ذهاب السيئات والنخوب أو المنع عن تثبيتها، يعبر عن ركن من أركان الإيمان وتكامل في حركة الإنسان.

كما عرفنا أن الاستغفار باللسان وتكراره لا بد أن يكون ذا مضمون قلبي ووجداني، وأن يكون معبراً عن التوبة النصوح.

وقد ورد في حديث معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يستغفر الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة ويتوب إلى الله عز وجل سبعين مرة. قال: قلت: كان يقول: استغفر الله واتوب إليه؟ قال: كان يقول: استغفر الله، استغفر الله سبعين مرة ويقول: اتوب إلى الله، اتوب إلى الله سبعين مرة»<sup>(٢)</sup>.

### الثالث: الصلاة على محمد وآله

لقد ورد الأمر بالصلاة على النبي في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>. ولذا فإن الصلاة عليه وآله من الواجبات الشرعية لدى جميع المسلمين، ولا تكمل الصلاة اليومية إلا بها حيث تجب في التشهد للصلاة.

(١) مشكاة الأنوار: ٢٧٥.

(٢) الكافي ٢: ٥٠٤، ح ٥٥.

(٣) الأحزاب: ٥٦.

وهنا نشير إلى بعض النصوص التي وردت في فضل الصلاة على محمد ﷺ وأثرها وقوائدها وكيفيةها وحكمها عند ذكر النبي ﷺ، وهذا الأمر مما يكاد يجمع عليه المسلمون، وإن كان أتباع أهل البيت يعيرونه أهمية خاصة، ويلتزمون به حتى أصبح أحد الشعائر المميزة لهم عن غيرهم.

وقد ورد في فضل الصلاة روايات عديدة، منها ما رواه الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أحد الصائقين (عليه السلام) قال: «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد. وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به فيخرج الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد هذا المضمون بطرق متعددة وبيانات مختلفة، مثل ما روي عن رسول الله ﷺ: «لنا عند الميزان يوم القيامة، فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة علي حتى أثقل بها حسناته»<sup>(٢)</sup>، ومثل ما روي عنه ﷺ قوله: «من يلج النار من صلى علي، ومن نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة»<sup>(٣)</sup>، وعن الإمام الرضا (عليه السلام): «إن الصلاة تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتكبير والتكبير»<sup>(٤)</sup>.

**فوائد الصلاة على محمد وآله**

ومن فوائد الصلاة على النبي وآله أنها تمحق الخطايا وتهدم الذنوب هدماً، فقد روى الصدوق في ثواب الأعمال عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «الصلاة على النبي ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار»<sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٥٠٤، ح ٥٠.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ١٢١٢، ح ١١٦.

(٣) جامع احاديث الشيعة ١٥: ٤٦٣، ح ٥٠.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٢٦٥، ح ٥٠.

(٥) ثواب الأعمال: ١٥٤.

وكذلك روى الصدوق في عيون أخبار الرضا والأمل: «إنَّ الصلاة على النبي ﷺ تَهْدِمُ لِنُفُوسٍ هَدَمَاءُ»<sup>(١)</sup>.

كما أنَّ من فوائدها أنها تذهب بالنفاق، فقد روى الكليني بسند معتبر وكذلك الصدوق عن الإمام الصادق، عن رسول الله ﷺ قال: «لِرَفْعِ أَسْوَاقِكُمْ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِالنِّفَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى معتبرة رواها الكليني أيضاً عن رسول الله ﷺ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي تَذْهَبُ بِالنِّفَاقِ»<sup>(٣)</sup>.

كما أنَّ من فوائد الصلاة على النبي وآله أنها موجبة للشفاعة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام: «يَا عَلِيُّ، مَنْ صَلَّى عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ أَوْ كُلَّ لَيْلَةٍ وَجِبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَايَرِ»<sup>(٤)</sup>.

ومن فوائدها أنها تستنزل الرحمة الإلهية والصلاة من الله تعالى على قائلها، فقد وردت روايات عديدة بهذا المضمون، منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِذَا تَذَكَّرَ النَّبِيُّ ﷺ فَاتَّكُرُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَلْفَ صَلَاةٍ فِي أَلْفِ صَفٍّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ إِلَّا صَلَّى عَلَى الْعَبْدِ لَصَلَاةٍ اللَّهُ عَلَيْهِ وَصَلَاةً مَلَائِكَتِهِ»<sup>(٥)</sup>.

وكذلك ورد في آثار وفوائد هذه الصلاة ما ذكره في الجعفریات بإسناده

(١) أمالي الصدوق: ١٣٦، ح ٨.

(٢) الكافي ٢: ٤٩٣، ح ١٣.

(٣) الكافي ٢: ٤٩٢، ح ٨.

(٤) مستدرک الوسائل ٥: ٣٣٤، ح ١٥.

(٥) ثواب الأعمال: ١٤٤.

عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ صلاتكم علي مجوزة لدعائكم ومرضاة لربكم وزكاة لأبدانكم»<sup>(١)</sup>.

### كيفية الصلاة على النبي وآله

لقد تم التأكيد في النصوص على أن كيفية الصلاة على النبي ﷺ هي الصلاة على محمد وآله تشبيهاً لها بالصلاة على النبي إبراهيم وعلى آله. وقد وردت في ذلك روايات عديدة وبصيغ متعددة كلها تؤكد هذا المضمون نشير هنا إلى نصين منها:

**الأول:** ما رواه الصدوق في كتابه عيون أخبار الرضا بسند معتبر عن الريان بن الصلت قال: محضر الرضا عليه السلام مجلس للمأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية... إلى أن قال... «أما الآية السابعة فقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. فهل بينكم معاشر النفس في هذا خلاف؟ فقالوا: لا. فقال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأمة»<sup>(٣)</sup>.

**الثاني:** ما رواه الشيخ شرف الدين في الفوائد بسنده عن ابن أبي ليلى الفقيه المعروف، يقول: «لقيت كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن رسول الله ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمتنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على

(١) جمال الأسير: ١٥٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ٢١٣.

إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد،<sup>(١)</sup>

كما ورد أيضاً التأكيد على إضافة (آل محمد) أو (أهل بيته) في هذه النصوص، وأن ترك هذه الإضافة ظلم لحق آل رسول الله، وأن النبي نهى عن الصلاة دون هذه الإضافة وسماها الصلاة المبتورة.

فقد روى الكليني في الكافي عن أبي القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول: اللهم صل على محمد. فقال لبي: يا عبد الله، لا تبتريها، لا تفلننا حقنا. قل: اللهم صل على محمد وأهل بيته،<sup>(٢)</sup>

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا تصلوا علي صلاة مبتورة، بل صلوا إلى أهل بيتي ولا تقطعوهم؛ فإن كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلا نسبي،<sup>(٣)</sup>

#### مواضع الصلاة على النبي وآله:

وقد ورد في النصوص الإشارة إلى استحباب الصلاة على محمد وآله والآثار الوضعية المترتبة عليها في عدة مواضع:

١ - الدعاء، فقد أشرنا سابقاً في بحث الدعاء إلى أهمية الصلاة على محمد وآله في بدايته وختمه، حيث إنه يرفع الدعاء بها.

٢ - التحقيب بعد الصلاة فضلاً عن وجوب نكرها في الصلاة عند التشهد.

٣ - في ليلة الجمعة ويومها، وفي شهري رمضان وشعبان، وغيرها.

(١) جامع أمانيات الشيعة: ٤٧٦، ج ٦٢.

(٢) الكافي ٢: ٤٩٥، ج ٢١.

(٣) وسائل الشيعة ٤: ١٢٢٢، ج ١٧.

٤ - الصلاة على النبي وآله عند ذكر الله تعالى.

فقد روى الكليني عن عبد الله بن عبد الله الدهقان قال: «دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: ما معني قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّ﴾؟ قلت: كلما ذكر اسم ربه قام فصلي. فقال لي: لقد كلف الله عز وجل هذا شططاً. فقلت: جعلت فداك، فكيف هو؟ فقال: كلما ذكر اسم ربه صلى على محمد وآله<sup>(١)</sup>.

٥ - الصلاة على النبي وآله عند ذكر أحد من الأنبياء.

فقد روى عيسى بن عبيد، عن معاوية بن عمار قال: «ذكرت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: (إذا ذكرت أحداً من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمد ثم عليه، صلى الله على محمد وآله وعلى جميع الأنبياء)<sup>(٢)</sup>.

٦ - الصلاة على النبي وآله عند آخر الكلام.

فقد روى محمد بن عمر بن محمد بن مسلم بن البراء الجعافي، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي التميمي، قال: حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان آخر كلامه الصلاة علي وعلى علي دخل الجنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٢: ٩٩٤، ح ١٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٢٤، ح ٨.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٤٩١، ح ١.



٧ - الصلاة على النبي وآله عند نسيان شيء حيث تكون سبباً لإضاءة القلب والتذكر.

روى أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «تقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن علي عليه السلام وسلمان الفارسي رضي الله عنه. إلى أن قال الحسن عليه السلام: وأما ما ذكرت من أمر النكر والنسيان فإن قلب الرجل في حق وعلى الحق طبق، فإن صلى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق، فقتضاء القلب ونكر للرجل ما كان نسيه، وإن هو لم يصل على محمد وآل محمد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فانظلم القلب»<sup>(١)</sup>.

### النظرية ومواقع الذكر

ويبدو من الآيات الشريفة أنه لا يوجد وقت خاص للذكر، وإن كان وقتا الصبح والمساء (البكرة والأصيل أو الغنوة والعشي) هما الأفضل؛ لأنهما يمثلان البداية في أوقات الإنسان المقسمة على الليل والنهار.

ولكن مع ذلك نصت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على الإطلاق في وقت الذكر. فمن الآيات التي تدل على الإطلاق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في الروايات ما يؤكد ذلك. فقد روى الكليني عن أبي القداح، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه، إلا الذكر

(١) كمال الدين وتعام للنعمة: ٣١٤، ح ١.

(٢) الأحزاب: ٤١.

فليس له حد ينتهي إليه. فرض الله عز وجل الفرائض فمن آدامن فهو حدهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحج فمن حج فهو حده، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه. ثم تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ وَكُرَّ كَثِيرًا ۖ وَيَخْلُفُكُمْ﴾ (١) وقال: لم يجعل الله عز وجل له حداً ينتهي إليه، قال: وكان أبي رحمه الله كثير الذكر. لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث للقوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمونا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر. والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه، تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب البري لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه، تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين... (٢).

ولكن مع ذلك كله شُخصت في الروايات والنصوص مواقع وأوقات للذكر، يبدو من خلالها أنَّ الذكر فيها يكون أفضل وأكد بسبب الزمان أو الحال أو المكان أو الاستحقاق، ومنها الصباح والمساء. وهذا الإطلاق من ناحية والتخصيص من ناحية أخرى يوضح لنا أبعاد النظرية الإسلامية في الذكر.

### مواقع الذكر

وهنا نشير إلى بعض الموارد التي تم تأكيد الذكر فيها، ونذكر بعدها معالم النظرية في الذكر.

(١) جامع احديث الشيعة ١٥: ٣٥٩، ح ٤٢.

أما المواضيع فهي التالية:

١ - الذكر بحمد الله تعالى عند تظاهر النعم على الإنسان، وفي إلحاح الفقر بالصوفة، فقد روى محمد بن يوسف قال: «حدثني محمد بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من تظاهرت عليه النعم فليقل الحمد لله رب العالمين، ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فإنه كثر من كنوز الجنة وفيه شفاء من اثنين وسبعين داء أئذها اللهم<sup>(١)</sup>.

٢ - الذكر عند غفلة القلب وسهوه وقراغه من العواطف والاحاسيس، وإصابته بحالة الركود عندما يصبح كالخرقة البالية أو العظم النخر، فقد روى الكليني في الكافي عن أبي أسامة قال: «زاملت أبا عبد الله عليه السلام، قال: فقال لي: اقرأ. قال: فافتتحت سورة من القرآن فقرأتها ففرق وبكى، ثم قال: يا أبا أسامة، ارعوا قلوبكم بذكر الله عز وجل واحذروا النكت؛ فإنه يأتي على القلب تارات أو ساعات الشك من صياح ليس فيه إيمان ولا كفر شبه الخرقة البالية أو العظم النخر. يا أبا أسامة، ليس ربما تفقدت قلبك فلا تذكر به خيراً ولا شراً ولا تدري أين هو؟ قال: قلت له: بلى إنه ليصيبني وأراه يصيب الناس. قال: أجل ليس يهرى منه أحد. قال: فإذا كان ذلك فاذكروا الله عز وجل واحذروا النكت؛ فإنه إذا أراد بعيد خيراً نكت إيماناً وإذا أراد به غير ذلك نكت غير ذلك. قال: قلت: ما غير ذلك جعلت فداك؟ ما هو؟ قال: إذا أراد كفراً نكت كفرة<sup>(٢)</sup>.

٣ - الذكر عند حدوث الوسوسة في القلب تجاه صفات الله تعالى أو خلقه،

(١) أمالي الصدوق: ٦٥١، ج ١٣.

(٢) الكليني: ١٦٧، ج ١٨٨.

حيث يحسن له أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، أو لا إله إلا الله، أو أي نحو من أنحاء الذكر<sup>(١)</sup>.

٤ - الذكر عند انشغال الناس بالأعمال كما في الأسواق، فإن له ألف حسنة، ويفقر الله له مغفرة لم تخطر على بال إنسان، كما ورد في الحديث<sup>(٢)</sup>.

٥ - الذكر عند القيام من المجلس وختمه بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سورة النور وَرَكْعَتُمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ سورة البقرة وَلَسْتُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ سورة النور ﴿١٨٧﴾<sup>(٣)</sup>، أو بقوله: «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وتوب إليك».

٦ - الذكر في الغافلين من الناس، فإنه يكون كالمقاتل في المصارعين والغازين أو عن الفارين<sup>(٤)</sup>.

٧ - للذكر عندما ينظر الإنسان إلى المرأة، فيحمد الله تعالى على كمال الخلقة وحسن الصورة والزينة، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول عند النظر في المرأة: «الحمد لله الذي أكمل خلقي وأحسن صورتي وزان مقي ما شأن من غيري، وهداني للإسلام ومن علي بالنبوة»<sup>(٥)</sup>.

٨ - الذكر في الملا والخلاء (أي في الاجتماع والخلوة) وفي السر والعلن، فقد ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام أنه قال: «شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً»<sup>(٦)</sup>.

كما ورد في المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «قال الله تعالى: ابن آدم،

(١) انظر جامع لحديث الشيعة ١٥: ٣٧٤، باب ٩.

(٢) راجع الخصال: ٦٦٤، حديث الأربعمائة.

(٣) الصافات: ١٨٠ - ١٨٢.

(٤) انظر الكافي ٢: ٥٠٣، ح ١.

(٥) النوار: ١١٢.

(٦) الكافي ٢: ٤٩٩، ح ٢.

أفكرني في نفسك أنكرك في نفسي. ابن آدم، أذكرني في خلاء أنكرك في خلاء. ابن آدم، أذكرني في ملا أنكرك في ملا خير من ملاك. وقال: ما من عبد ينكر الله في ملا من الناس إلا ذكره الله في ملا من الملائكة.<sup>(١)</sup>

وهنا يحسن بنا أن نذكر أن بعض الروايات تشير إلى أن كل طاعة لله تعالى فهي ذكر لله، وأن كل معصية لله تعالى فهي نسيان لله<sup>(٢)</sup>، وبذلك يصبح للذكر معنى أعمق من مجرد حركة اللسان، بل هو تذکر الله والالتفات إليه وإلى وجوده وعلمه بأعمالنا، ومحاسبته لنا وثوابه وعقابه على هذه الأعمال.

كما أن بعض الروايات تشير إلى أن ذكر رسول الله والأئمة هو ذكر لله تعالى؛ لأن الله قرن رسوله بنفسه<sup>(٣)</sup>.

### النظرية

ومن خلال هذا الاستعراض لمواضع الذكر وآثاره تصبح أبعاد نظرية الذكر واضحة المعالم.

حيث يكون الذكر العامل الملازم للإنسان باستمرار في جميع أحواله وأوقاته، والمؤثر في تحقيق أهدافه في التكامل الدنيوي والأخروي، سواء في جانب للعلاقة مع الله تعالى أم في الجانب الروحي والنفسي والمحتوى الدلخي له، أم في جانب الإرادة وصفاتها وقوتها في مقاومة الهوى والضعف، أم في جانب العمل والسلوك.

فلنذكر بهذا المعنى الواسع الذي ذكرناه وعرفناه من خلال نصوصه ومواضعه وآثاره:

(١) المجلسين ١: ٣٩، ج ٤٥.

(٢) راجع وسائل الشريعة ١١: ٣٠٣، ج ١٣.

(٣) أنظر وسائل الشريعة ٤: ٢١٥، باب ٣٦.

- أ - يؤكد علاقة الإنسان بالله تعالى ويقوي رابطة به عز وجل، فيحصل بذلك أعلى الدرجات وأفضل الثواب.
- ب - يكون الذكر علاجاً لأمراض النفس وشفاء لما في الصدور، وتطهيراً للقلوب من النجس وجملاً لها من الصدا.
- ج - كما أن الذكر يكون تربية للإرادة على الصبر والثبات والتسليم والرضا والسلوة في المحن والآلام.
- د - وفي الوقت نفسه يكون الذكر رادعاً للإنسان عن المعصية، وأمرأ له بالطاعة وضمناً للتقوى والورع، والتزاماً بمنهج الحق في السلوك والعمل وفي القول والفعل، وذلك عندما يتذكر الإنسان حضور الله تعالى وعلمه بكل حركاته وسكناته، ويلتفت إلى ثوابه وعقابه.

#### بعض آثار الذكر الأخرى وآدابه

- ومن آثار الذكر مضافاً إلى ما عرفناه سابقاً هو أن الصاعقة لا تصيب الذاكرين لله تعالى، كما ورد في بعض الأحاديث<sup>(١)</sup>.
- ومن آثاره - أيضاً - أن الإنسان إذا كانت له حلة وانشغل عنها بذكر الله تعالى حتى نسيها أعطاه الله تعالى أفضل مما سأل<sup>(٢)</sup>.
- ومن آثار الذكر - أيضاً - أن من ذكر الله أو رسوله في مجلس كان له بذلك عشر حسنات، وأن المجلس إذا خلا من ذكر الله ورسوله كان على أهله وبهلاً وحسرات يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.
- ومن آثار الذكر أن في حضور مجالسه منفعة وخيراً للإنسان في الدنيا

(١) وسائل الشيعة ٤: ١١٨٦، ح ١.

(٢) أنظر الكافي ٢: ٥٠١، ح ١.

(٣) أنظر الكافي ٢: ٤٩٦، ح ٢.

والآخرة؛ فإنها من رياض الجنة ومراتبها. وقد نصح لقمان ولده بحضور مجالس الذكر «لأنهم يعلمونه إن كان جاهلاً، وينفعونه إن كان عالماً، ولعل الله تعالى يظلمهم جميعاً برحمته فتشمله هذه الرحمة»<sup>(١)</sup>.

### خامساً: الجهاد

الجهاد في سبيل الله من الواجبات والعبادات المهمة التي تحدث عنها القرآن الكريم في مواضع عديدة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ بَلَاةً يُبَيِّنُ فِيكُمْ إِذْ جَاهِدُوا هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى بِعْزَةِ رَبِّكُمْ فَكَانَ عَلَيْكُمْ أَلِمٌ ﴿١١﴾ تَوَكَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ لَأُمُّؤْمِنُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ تَكُونُ حَرْبًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ﴿١٢﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

والجهاد له مفهوم واسع في الإسلام والقرآن الكريم، حيث إنّه مأخوذ من الجُهد، وهو الوسع والطاقة، فيكون الجهاد: هو بذل الوسع في المداخلة والمغالبة من أجل الله، وبذل الطاقة في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه. فكل ما يتحمله الإنسان من عناء وتعَب وكل ما يقدمه من عطاء وفداء في سبيل الله يكون جهاداً، سواء كان ذلك نفسياً أم بدنياً، وسواء كان في الحديث أم التأليف أم المال أم طلب العلم والمعرفة النافعة، أم في إصلاح ذات البين أم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن بذل النفس والقتال في سبيل الله.

ولكن الجهاد في المصطلح الفقهي يطلق - عادة - على خصوص القتال في

(١) راجع جامع احاديث الشيعة ١٥: ٤٥٧، باب ٢٩.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الصف: ١٠ - ١١.

سبيل الله، من خلال استخدام السلاح والتعرض إلى القتل والموت والاستشهاد. وقد فرض الله تعالى هذا النوع من الجهاد على الإنسان المسلم في ظروف معينة، وأباح له، بل أوجب عليه أن يعرض نفسه للقتل والموت دفاعاً عن النفس والإسلام والمظلومين.

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شِيعَةً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُجِيبُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ...﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أَيُّدٍ لِلَّذِينَ يَغْتَابُونَ بِأَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ وَلَئِنْ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَرِيرٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِخُوا مِنْ دُونِهِمْ بِخَبَرٍ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا بِقَوْلٍ بَشَرْنَا اللَّهُ وَوَلَّى اللَّهُ فَمَنْ أَتَأْسَ بِبَعْضِ طَوَائِفِ صَاحِبِ قَبِيحٍ وَمَسْجُودٍ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَيَنْصُرُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (٣).

ويبدو من القرآن الكريم أن أصل تشريع القتال كلن من أجل الدفاع عن النفس. وذلك بعد أن استخدم المشركون والكفار وأعداء الإسلام ضد المسلمين أساليب القمع والاضطهاد والفتنة والعدوان، والمطاردة والإخراج من الديار والحصار الاقتصادي والاجتماعي وأساليب التعذيب ومحاولات القتل، كما تشير الآيتن للسابقن الثانية والثالثة.

وكما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُغْتَابُونَكُمْ وَلَا

(١) البقرة: ٢١٦.

(٢) المص: ٢٩ - ٤٠.

(٣) النساء: ٧٥.



فَقَدُوا إِنْكَرَ اللَّهُ لَا يُجِبُ الْمُشْكِرِينَ ﴿١٥٠﴾ وَأَقْبَلْتُمْ فِيهِ لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ﴿١٥١﴾ فَإِنْ كُنْتُمْ تَهْتَدُونَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيْنَا الْغُلَامُونَ ﴿١٥٢﴾ أَلَمْ نَقُلْ لِلنَّاسِ كُنُوا عِبَادًا لِيذَكَّرَ ﴿١٥٣﴾ إِنَّ أَوْلَىٰ لَكَ عِندَ رَبِّكَ إِذَا كُنْتَ مِنَ الْعَاقِلِينَ ﴿١٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذَا نَاثَرَتْ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِثْلَ بَثْرِ إِنْجَالٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُفْسِدُونَ سَبِيلَهُمْ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْيَاسِينَ ﴿١٥٦﴾

حيث يفهم من هذه الآيات الشريفة أنَّ القاعدة والأصل في هذا القتال هو الدفاع وردَّ العدوان، وفنَّ للقتال يتوقف عندما ينتهون من العدوان.

### أهمية الجهاد وفضله:

وللجهاد فضل عظيم للإنسان والأمة المجاهدة، وأهمية كبرى في تحقيق الأهداف المقدسة التي وضعها الله تعالى أمام الإنسان في حركته التكاملية التي لا يبلغها إلا من خلال اليأس والضرء، وتفسر اليأس بالقتال.

وقد نص القرآن الكريم على ذلك في آيات عديدة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا لُقْمَانَ أَن تَلْحَقْنَا وَلَوْ جَاءَكَ بِآيَاتٍ مِّنْ سِوَانَا قَالَ أَتَتَنبَأُ أُولَ الْبُيُوتِ أَكُنَّ مِنْهَا قَدُنًا وَإِنِّي بَشِيرٌ نَذِيرٌ ۚ فَلَمَّا أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ الْأَعْلَىٰ قَالَ إِنَّهُنَّ أَفْبَاهُ بَنِي آدَمَ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ حَقٌّ يَقُولُ الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَادٌ لَا تَفَرُّ إِلَّا نَجْمٌ ۚ﴾ (١).

وقوله تعالى بعد ذكر الجهاد: ﴿يَتَذَكَّرُ لَكُمْ دُونَكُمْ وَيُؤْتِكُمْ حَسَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ إِنَّكُمْ لَفِي حَسَنَاتٍ عَظِيمَةٍ﴾ ﴿١١﴾ وَأَعْرَضَ عَنْهَا نَصْرٌ مِنْ أَكْثَرِ وَقَعَتْ فَرَمَتْ وَتَمَرَّ الْقَوْمِينَ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾.

(١) القوة: ١٩٠ - ١٩٤.

(٢) المقررة: ٢٩٤.

(٣) الصف: ١٢ - ١٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦١﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٦٢﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُبْسِغُ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ ١٦٣﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلَ اللَّهُ الْفَاجِرِينَ عَلَى الْأَعْدَىٰ أَمْرًا عَظِيمًا ١٦٤﴾ وَدَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَنْفَرَةٍ وَرَحْمَةً ١٦٥﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٦٦﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُهُمْ رَبُّهُمْ بَرَحْمَةً وَرُحْمَةً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ١٦٧﴾ وَدَرَجَاتٍ مِنْهُ ١٦٨﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ١٦٩﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْحَبُوا بِالنِّسْبَةِ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُعِيبُهُمْ ظُلْمًا وَلَا نَجَسٌ وَلَا عَمَاسَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغَرُونَ مَوْلَانَا يُوَسِّطُ الصِّفَارَ وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَدُوٍّ لَيْلًا إِلَّا كُيِّبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ مَكْلُوبٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُبْسِغُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا بِأُتْفُقَاتٍ نَفَقَةٍ صَوْبَةٍ وَلَا كَغِيْرَةٍ وَلَا يَقْطَعُونَ رِوَادِيًا إِلَّا كُيِّبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧٠﴾ (٤).

وآيات أخرى عديدة تقدمت الإشارة إلى بعضها.

كما أن الروايات للكثيرة وردت عن النبي وأهل بيته الكرام تؤكد أهمية الجهاد وجره العظيم في المحافظة على الإسلام والعزة والكرامة والإنسانية، وقوة المجتمع الإسلامي، وتحقيق الأهداف التكاملية للحركة الفردية والجماعية للإنسان.

(١) قل عمران: ١٦٩ - ١٧١.

(٢) النساء: ٩٥ - ٩٦.

(٣) التوبة: ٢١ - ٢٢.

(٤) التوبة: ١٢٠ - ١٢١.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الخير كله في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار»<sup>(١)</sup>.

كما روى الكليني - أيضاً - في الكافي، والشريف الرضي في نهج البلاغة عن علي عليه السلام أنه قال: «أما بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه (إلى أن قال): هو لباس التقوى، ودرع الله للخصيصة، وجمته للوليقة، فمن تركه رغبة عنه أبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء، وفارق الرضا، وثيبت بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد، وأبيل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم للخسف، ومنع النصف»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: للجنة باب يقال له باب المجاهدين، يمشون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم. ثم قال: فمن ترك لجهاد أبسه الله عز وجلّ ذلاً وفقرأ في معيشته ومحققاً في دينه. إن الله عز وجلّ أغنى<sup>(٣)</sup> أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»<sup>(٤)</sup>.

وقد روى الصدوق في الخصال والشيخ الطوسي في التهذيب عن جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه أنّ النبي ﷺ قال: «فوق كل ذي برّ برّ حتى يقتل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ، وفوق كل ذي عقوق عقوق حتى يقتل أحد والديه، فإذا قتل أحد والديه فليس فوقه عقوق»<sup>(٥)</sup>.

(١) وسائل الشريعة ١١: ٥، ج ١.

(٢) الكافي ٥: ٤، ج ١.

(٣) وفي رواية «أعزّ».

(٤) الكافي ٥: ٢، ج ٢.

(٥) تهذيب الأحكام ١٢٢: ٤، ج ٤.

كما روى الصدوق في عقاب الأعمال في ثواب المجاهد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ومن خرج مرابطاً في سبيل الله تعالى أو مجاهداً فله بكل خطوة سبعمائة ألف حسنة، ويمحى عنه سبعمائة ألف سيئة، ويرفع له سبعمائة ألف درجة، وكان في ضمان الله تعالى، حتى يتوفاه بأي حتف كان شهيداً، فإن رجع رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن منصور بن حازم قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله عز وجل»<sup>(٢)</sup>.

كما روى في الخصال بسند معتبر عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعته في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>.

كما روى في أمالي الطوسي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «الموت طالع ومطلوب، لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب، فقدموا ولا تتكلموا، فإنه ليس عن الموت محيص. إنكم إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس علي بيده لآلف ضربة بالسيف على الراس أهون من موت على فراش»<sup>(٤)</sup>.

كما روى الصدوق في أماليه عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: اشرف الموت قتل الشهادة»<sup>(٥)</sup>.

(١) ثواب الأعمال: ٢٩٣.

(٢) الكافي: ١٥٩، ج ٤.

(٣) الخصال: ٥٠، ج ٦.

(٤) أمالي الطوسي: ٢١٦، ج ٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ١٠٠، ج ٤.

وقد حاولنا أن نشير في كل واحدة من هذه الروايات إلى أحد الأبعاد في فضل الجهاد والمجاهد والآثار المترتبة على الجهاد.

### أقسام الجهاد

وينقسم الجهاد إلى عدة تقسيمات بلحاظ أنواعه أو أحكامه أو موارده.

#### ١ - أنواع الجهاد

فهو ينقسم إلى جهاد العدو الخارجي وجهاد النفس. وقد ورد التعبير في البرولية المعتمدة عن رسول الله ﷺ تسمية جهاد النفس بالجهاد الأكبر، وتسمية جهاد العدو الخارجي بالجهاد الأصغر.

فقد روى الكليني في الكافي والصدوق في كتابيه المجالس ومعاني الأخبار أن النبي ﷺ بعث سرية، فلما رجعوا قال: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس»<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم الحديث عن جهاد النفس في بعض المواضع السابقة من هذا الكتاب.

كما أن المحدثين أفردوا له كتاباً خاصاً يشتمل على أبواب عديدة تتعرض إلى تفاصيله<sup>(٢)</sup>. ولا يتوهم إنسان أن جهاد النفس بديل عن جهاد العدو الخارجي، وأنه يمكنه الاستغناء به عن جهاد العدو، لا سيما وأنه أكبر منه، بل الصحيح أن جهاد النفس هو أشمل وأعم من جهاد العدو الخارجي، والجهاد الأصغر هو شعبة من شعب الجهاد الأكبر ومصداق من مصانيقه، فلا يتحقق الجهاد الأكبر بدونَه عند تحقق شروطه.

(١) أمالي الصدوق: ٥٥٣، ج ٩.

(٢) راجع الوسائل ١١: ١٢٢ - ٣٩٢.

## ٢ - بعض أحكام الجهاد

وقد ورد عن أنمة أهل البيت عليهم السلام تقسيم الجهاد من حيث أحكامه إلى عدة أقسام.

فقد روى الكليني والشيخ الطوسي بطريق معتبر عن فضيل بن عياض وحفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجهاد أسنة هو أم فريضة؟ فقال: الجهاد على أربعة أوجه، فجهادان فرض، وجهاد سنة لا تقام إلا مع الفرض، وجهاد سنة، فأما أحد الفرضين فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله عز وجل وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلوئكم من الكفار فرض، وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلا مع فرض، فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة، ولو تركوا الجهاد لأنهم العذاب وهذا هو من عذاب الأمة، وهو سنة على الإمام وحده أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم، وأما الجهاد الذي هو سنة فكل سنة إقامتها الرجل وجاهد في إقامتها وبلوغها وإحيائها فالعمل والسعي فيها من الفضل الأعمال؛ لأنها إحياء سنة، وقد قال رسول الله ﷺ: من سن سنة حسنة فله أجرها ولجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء<sup>(١)</sup>.

والظاهر أن القسم الثاني (الفرض) يختلف عن القسم الثالث (السنة) التي تقام مع الفرض، ذلك أن الفرض هو الجهاد الدفاعي الذي يجب على جميع المسلمين رجالاً ونساءً وفي جميع الأحوال، مع وجود الإمام العادل أو عدم وجوده، بخلاف القسم الثالث الذي هو الجهاد الابتدائي الذي يجب على الرجال بشروط معينة، من أهمها وجود الإمام العادل، ووجوب الدعوة إلى الإسلام وإبلاغها قبل القتال.

(١) تهذيب الأحكام ٦: ١٢٤، ح ١.

فقد روى الشيخ الطوسي عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألت عن رجل دخل أرض حرب بأمان فغزا القوم الذين نخل عليهم قوم آخرون، قال: على المسلم أن يمنع نفسه ويقتل على حكم الله وحكم رسوله، وإنما أن يقاتل الكفار على حكم الجور وسنتهم فلا يحل له ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويؤكد هذا الخبر ما رواه الكليني في الكافي عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم به إلا من كان منهم، أم هو مباح لكل من وحد الله عز وجل ولأن برسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله عز وجل وإلى طاعته، وأن يجاهد في سبيله؟ قال: ذلك لقوم لا يحل إلا لهم، ولا يقوم لك بذلك إلا من كان منهم. فقلت: من أولئك؟ قال: من قام بشرائط الله عز وجل في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأثون له في الدعاء إلى الله عز وجل، ومن لم يكن قائماً بشرائط الله عز وجل في الجهاد على المجاهدين فليس بمأثون له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله، حتى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد»<sup>(٢)</sup>.

كما روى الكليني في الكافي في وجوب الدعوة إلى الإسلام قبل القتال عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فقال: يا علي، لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وإني والله، لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي»<sup>(٣)</sup>.

(١) تهذيب الأحكام ٦: ١٣٦، ح ٥٠.

(٢) الكافي ٥: ١٢، ح ١.

(٣) الكافي ٥: ٢٨، ح ٤.

ويفهم من الآيات الكريمة لدالة على وجوب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة والصبر على أداء الرسالة وبلاغها، ومن سيرة النبي ﷺ أنَّ القتال الابتدائي لنشر الإسلام لا يلجأ إليه المسلمون إلا بعد استنفاد جميع الوسائل الأخرى الممكنة، بحيث تقام الحجة البالغة ولا يبقى إلا الحاجز النفسي لدى الأعداء من قبول الدعوة والرسالة، فيكون القتال الابتدائي لكسر هذا الحاجز النفسي للمعبر عنه بالجمود. ولعل هذا هو السر في اشتراط الجهاد الابتدائي بحضور وإجازة الإمام العامل؛ لأن تشخيص هذه الحالة يحتاج إلى خبرة ودراية ومعرفة كاملة بالأوضاع الاجتماعية وتقوى عالية وعدالة كاملة.

وللجهاد أحكام عديدة أخرى تتعلق باستخدام وسائل القتل كالسهم والشار وأسلحة القتال، ومن يجب عليه الجهاد كالرجال غير الضعفاء أو النساء في حالات خاصة، وبالقناتم وتقسيمها وإخراج الخمس منها، وكيفية التعامل مع الأسرى من الاسترقاق أو المن أو الغداء عند الإثخان، أو جواز القتل قبل الإثخان، والأمان وأوقاته، وكذلك الفرق في المعاملة بين المشركين وأهل الكتاب والبنية، والفرار من الزحف وغير ذلك من التفاصيل التي وردت في الكتب الفقهية.

كما أنَّ له أدباً في الشروع به وفي المصارعة، وفي معاملة الأسرى في حال الأسر.

ومن النصوص البديعة في هذا الموضوع ما ورد عن مالك بن أعين قال: «حُرِّضَ أمير المؤمنين عليه السلام بالناس بصفتين فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ دَلَّكُمْ عَلَى تَجَاوِزِ تَجْنِيبِكُمْ مِنْ عَذَابٍ قِيمٍ، وَيُشْفِي بِكُمْ عَلَى الْخَيْرِ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَجَعَلَ ثَوَابَهُ مَغْفِرَةً لِلذَّنْبِ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُبَيِّنُونَ تَرْسُوشَ ۝﴾ فَسَوُّوا صَفُوفَكُمْ كَالْبَنِيَانِ الْمَرْصُوعِ فَقَدِّمُوا الدَّلَامَ، وَخَرُّوا



للحاسر، وعضوا على النواجذ، فإنه انبى للسيوف عن الهام، والتتوا على أطراف الراح، فإنه أمور للنسنة، وعضوا الأبصار فإنه أربط للجانش، واسكن للقلوب، واميتوا الأصوات فإنه تطرد للقتل، وأولى بالوقار، ولا تميلوا برأياتكم ولا تزيلوها ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم: فإن المانع للذمار والصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ.

ولا تمثّلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترأ، ولا تمخلوا دارأ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بائئ وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم؛ فإنهن ناقصات القوى والآنفس والعقول، وقد كتنا مؤمر بالكف عنهنّ وهنّ مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيغير بها وعقبه من بعده.

واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحتفون برأياتهم ويكتنفونها، ويصيرون حفاظها ووراءها وأمامها، ولا يضيّعونها، لا يتلخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عليها فيفروها. رحم الله امرأً وأسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك اللائمة، ويأتي بدناءة، وكيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين، وهذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هارباً منه ينظر إليه، وهذا فمن يفعله يميّته الله، فلا تعرضوا لمقت الله فإنّ ممركم إلى الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ لَنْ مَرَزْتُمْ مِنَ الْوَيْلِ أَرِ الْقَتْلَ وَإِذَا لَا تُنْمَوْنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. ولئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيف الآجلة، فاستعينوا بالصبر والصدق، فإنما ينزل النصر بعد الصبر، فجاهدوا في الله حق جهاده، ولا قوة إلا بالله.<sup>(١)</sup>

(١) وسائل الشيعة ١٦: ٧١، ح ٣.

## ٢ - موارد الجهاد

ويمكن تلخيص موارد الجهاد التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، والتي تبرر القتال واستخدام السلاح في مواجهة الأعداء، بالأمور التالية:

الأول: الدفاع عن الإسلام عندما يتعرض الدين وبيضة الإسلام إلى الخطر، سواء من قبل الكفار أم المرتكبين من أبناء الإسلام. كما ذكرنا ذلك سابقاً.

الثاني: الدفاع عن النفس، سواء كان دفاعاً عن الفرد أم الجماعة المسلمة التي تتعرض إلى القتل أو الفتنة، بل في حال الدفاع عن المال والعرض أيضاً.

فقد روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي عبد الله الصديق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ من قتل دون مظلومه فهو شهيد»<sup>(١)</sup>.

وورد في حديث آخر تفسير المظلمة بأن: «يقتل دون أهله ودون ماله وأشباه ذلك»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: مقاومة الظلم والطغيان الذي تتعرض له الأمة بدرجة عالية، بحيث يستهتر فيها الحكم بكل القيم الإنسانية، ويصادر فيها حرية الإنسان وكرامته وحقوقه الأساسية: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَفْئَكُهَا سَبْعًا يَسْتَعْبِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»<sup>(٣)</sup>.

الرابع: تحرير المظلومين والمستضعفين من أيدي الطغاة والظالمين، كما دل على ذلك قوله تعالى: «وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

(١) الكافي ٥: ٥٢، ح ١.

(٢) الكافي ٥: ٥٢، ح ٢.

(٣) القصص: ٤ - ٥.

وَالْيَسَّاءَ وَالْوُلَدَيْنِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَعْمَالُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رِزْقًا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴿١﴾.

كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سمع رجلاً ينادي: يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» (٢).

للخامس: مقاتلة البغاة من المسلمين، سواء أولئك الذين يخرجون على الحاكم للعادل الجامع للشرائط - كما في حروب الإمام علي عليه السلام ضد أصحاب الجمل (الناكثين)، ومعاوية (القاسطين) والخوارج - أم لبغاة من الجماعة المسلمة التي تعتدي على جماعة أخرى حيث يجب السعي للصلح بينها، فإن أصرت الفئة الباغية على عنوانها وبغيها وجب على المسلمين أن يقاتلوها، ويقفوا في وجه العنوان والظلم، ومن مصانيق مجاهدة البغاة، مقاتلة أولئك الطغاة الظالمين من أبناء المسلمين الذين يحكمون المسلمين بالجور والظلم والعنوان، كما شهد بذلك الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد بن معاوية.

فقد ورد عن الحسين عليه السلام أنه قال - في تفسير موقفه من يزيد - «أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ يعمل في عبادة الله بالإثم والعنوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. إلا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة للشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، ولحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله» (٣).

(١) النساء: ٧٥.

(٢) الكافي ٢: ١٦٤، ح ٥٠.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٣٠٤.

وبهذا يمكن أن نفهم - أيضاً - دفاع أئمة أهل البيت عن حركة زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، التي كانت مصداقاً من مصاديق هذا المورد، حيث يقول الإمام الصادق (عليه السلام) عنه في حديث معتبر: «... فَإِنَّ زَيْدًا كَانَ عَلَامًا وَكَانَ صَلَواتًا وَلَمْ يَدْعُكُمْ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَئِنَّمَا دَعَاكُمْ إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام)، وَلَوْ ظَهَرَ لَوْفِي بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ...»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال للمأمون: «لَا تَقْسُ أَخِي زَيْدًا»<sup>(٢)</sup> إلى زيد بن علي، فإنه كان من علماء آل محمد (عليه السلام)، غَضِبَ عَلَيْهِ فَجَاهَدَ أَعْدَاءَهُ حَتَّى قُتِلَ فِي سَبِيلِهِ، وَلَقَدْ حَلَّلَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ نَبَاهَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ عَمِّي زَيْدًا، إِنَّهُ دَعَا إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَلَوْ ظَهَرَ لَوْفِي بِمَا دَعَا إِلَيْهِ، لَقَدْ اسْتَشَارَنِي فِي خُرُوجِهِ فَقُلْتُ: إِنْ رَضِيتَ أَنْ تَكُونَ الْمَقْتُولَ الْمَصْلُوبَ بِالْكُنَاسَةِ قِشَانِكَ (إِلَى أَنْ قَالَ): فَقَالَ الرِّضَا (عليه السلام): إِنْ زَيْدٌ بْنُ عَلِيٍّ لَمْ يَدْعُ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ، وَإِنَّهُ كَانَ يُتَّقَى اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ. إِنَّهُ قَالَ: ادْعُوكُمْ إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام)»<sup>(٣)</sup>.

كما ورد عنهم (عليهم السلام) أنهم أثبوا على ثورة الحسين بن علي صاحب فتح وأهل بيته، واعتبروا المصيبة به أعظم مصيبة بعد مصيبة الطف<sup>(٤)</sup>.

ولا شك أن الأنظمة غير الإسلامية التي تحكم بلاد المسلمين - وإن كان للحاكم فيها مسلماً - ينطبق عليها في كثير من الأحيان عنوان المورد الأول أو الثالث أو الرابع أو الخامس.

(١) الكافي ٨: ٢٦٤، ج ٢٨١.

(٢) المعروف بزيد النار.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ٣٥، ج ١١.

(٤) تنقيح المقال ١، ترجمة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صاحب فتح.

كما أن المقاومة واستخدام القتال والسلاح فيها إنما يصح للجوء إليها إذا لم تتوفر الوسائل الأخرى في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، في التغيير أو استخدام الحكم أو الحاكم القوة لمنع المسلمين من إبلاغ الرسالات الإلهية، أو لغرض الحكم غير الإسلامي عليهم ولا يترك لهم حرية الرأي والاختيار.

وفي جميع الأحوال لا بد من توفر القدرة لدى المسلمين لاستخدام القتال وسيلة للدفاع، وإلا فلا بد من انتظار الفرصة المناسبة.

كما لا بد أن يتم هذا القتال تحت إشراف المجتهد العادل الجامع لشروط القيادة السياسية الشرعية.

### المرابطة في الثغور الإسلامية

ومن مصاديق الجهاد في سبيل الله المرابطة، وهي الإرساد لحفظ الحدود وثغور بلاد المسلمين، والاستعداد والتهيؤ للدفاع عن جماعتهم في مناطق الثغور والحدود مع الكفار وبلادهم، وهي واجبة لدى وقوع بلاد المسلمين في معرض الخطر من هجوم الكفار، وأما إذا لم تكن في معرض الخطر من الكفار فلا تجب وإن كانت في نفسها أمراً مرغوباً فيه في الشريعة الإسلامية المقيسة<sup>(١)</sup>.

وفي حديث معتبر عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: «الزياط ثلاثة أيام، واكثره أربعون يوماً، فإذا جاوز ذلك فهو جهاد»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع منهاج الصالحين السيد الخوئي: ٢٧٦، ط ٢٨.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ١٩، ج ١.

## نظرية الجهاد

وبعد هذا الاستعراض يمكن أن نخرج بخلاصة تكون النظرية الإسلامية في الجهاد. يمكن أن تتحدد في النقاط التالية:

١ - إن الجهاد من العبادات المهمة التي يقوم بها حفظ الإسلام والمجتمع الإسلامي، ومقاومة الطغيان والظلم والفساد والعنوان، وبه تتحقق العزة والكرامة للمسلمين.

٢ - إن الجهاد وسيلة من وسائل نشر الرسالة الإسلامية في ظرف خاص وبصورة استثنائية، وذلك ما إذا تم استنفاد جميع الوسائل الأخرى من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وإبلاغ الرسالة وإقامة للحجة البالغة والصبر عليها، بحيث لا يبقى عذر لمحتذر، ويكون المانع لقبول الرسالة هو الحاجز النفسي والحدود بعد وضوح الهدى وبلوغ الحجة. فيستخدم الجهاد لكسر هذا الحاجز النفسي إذا اقتضى الحال.

٣ - إن القاعدة العامة في الجهاد تقوم على أساس الدفاع عن النفس في مقابل العدوان المباشر الفعلي على الإسلام أو الجماعة المسلمة، أو العدوان على وحدة المجتمع الإسلامي أو النظام الإسلامي، أو في مقابل الأخطار والتهديدات التي يمكن أن يتعرض لها الإسلام أو المجتمع الإسلامي، فيكون الجهاد وقاية ضد هذه التهديدات وهو (الجهاد الوقائي). ولا بد من الاستعداد في مثل هذه الحالة إذا وجدت قرائن ودلائل على وجود هذه الأخطار.

٤ - إن جهاد الحكام المنحرفين المسلمين إنما يكون إذا استخدم الحكام المنصرف القوة لاعتق المسلمين من إبلاغ الرسالة، أو لفرض الحكم غير الإسلامي على المسلمين، ولم يترك لهم حرية الرأي أو حرية الاختيار وذلك بعد إبلاغ الحجة.

٥ - إنَّ وجوب القتال لا بد أن يكون مع توفر القدرة عليه وتحقيق الهدف منه ولو على المدى البعيد، وألا خلا بد من إعداد القوة وانتظار الفرصة المناسبة، كما لا يجوز تفويت الفرصة أو إضعاف القوة.

٦ - إنَّ القتال لا بد أن يكون تحت نظر الإمام العادل، وهو في هذا العصر المجتهد العادل الخبير المتصدي للعمل السياسي والاجتماعي العارف بالظروف السياسية والاجتماعية، الشجاع القادر على تشخيص الموقف واتخاذ القرار المناسب تجاهه وفق الحكم الشرعي.

وبهذا القدر من الحديث عن العبادات نختم حديثنا في الكتاب الرابع من هذه الموسوعة المباركة (أهل البيت عليهم السلام)، الذي خصصناه في موضوع (دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة). أسأله تعالى قبول هذا العمل القليل الضعيف بكرمه للجزيل. كما أسأله تعالى أن يفر لنا أخطأنا وغفلاتنا، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم بمنه وفضله وكرمه. كما أسأله تعالى أن يكون مقبولاً من ساداتي وموالي أهل بيت العصمة والطهارة محمد وآله الطيبين الإطهار، ولا سيما سيدنا ومولانا بغية الله في أرضه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا مِنَّا أَوْ أَخْلَقْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْنَا إِسْرَارًا كَمَا كُنْتُمْ عَلَ الْكَرِيمِ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحِزْنَا مَا لَا غَلَامَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُز لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

## الفهرس

### الباب السادس: نظام العلاقات الاجتماعية العامة

تمهيد ..... ٧

#### الفصل الأول: البناء الفوقي وأبعاد النظرية

أولاً: بُعد الانفتاح ..... ١١

أ - مؤشرات إضافية للانفتاح ..... ١١

ب - الاستثناءات ..... ١٣

الأول: اجتناب مواضع التهمة ..... ١٤

الثاني: الابتعاد عن قرناء السوء ..... ١٥

الثالث: اجتناب أصحاب المهن المحرمة ..... ١٧

الرابع: اجتناب الاختلاط بذوي الأمراض المعدية ..... ١٨

ثانياً: بُعد تقوية البناء الاجتماعي ..... ١٨

الأول: عقد الاجتماعات ..... ١٨

الثاني: النصيحة للمسلمين ..... ٢٠

الثالث: التراحم والتعاطف والتزاور ..... ٢١

الرابع: إصلاح ذات البين ..... ٢٢



٢٤	الخامس: الجبران وتقوية البناء الاجتماعي .....
٢٤	السادس: الإجراءات الوقائية .....
٢٦	المشورة حدودها ونتائجها .....
٢٦	أهمية الشورى .....
٢٧	الأول: القوة والإستاد .....
٢٨	الثاني: التصميم والحزم .....
٢٨	الثالث: الطريق الأفضل لمعرفة الواقع .....
٢٩	صفات المستشارين .....
٣٢	واجبات المستشار .....
٣٣	ثالثاً: بُعد الأخوة والمساواة .....
٣٥	رابعاً: بُعد مستويات العلاقة .....
٣٥	١ - علاقة المعاملة العامة .....
٣٦	٢ - علاقة الصحة العامة (المكاشرة) .....
٣٨	٣ - علاقة الصحة الخاصة .....
٣٩	خامساً: بُعد المعاملة الخاصة .....
٣٩	أ - الصلاة على آل الرسول .....
٤٠	ب - الإحسان إلى ذرية الرسول .....
٤٢	ج - الشيوخ .....
٤٢	د - حامل القرآن .....
٤٣	هـ - المؤمن .....
٤٤	و - الجبران .....

الفصل الثاني: البناء الفوقي والقواعد

أولاً: الأحكام الشرعية والعرفية .....	٤٩
الالتزام على مستوى الواجبات .....	٤٩
الالتزام على مستوى المحرمات .....	٥٢
ثانياً: ضبط العواطف والانفعالات .....	٥٥
١ - ضبط العواطف والصفات الحميدة .....	٥٥
أ - الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية .....	٥٦
ب - العفة .....	٥٧
ج - الحلم .....	٥٧
د - الرفق .....	٥٨
هـ - التواضع .....	٥٨
و - النية الحسنة والسيرة الصالحة .....	٦٠
٢ - ضبط العواطف والصفات الذميمة .....	٦١
أ - حب الرئاسة .....	٦١
ب - الغضب .....	٦٢
ج - الحسد .....	٦٣
د - الحمية والعصبية .....	٦٣
هـ - الكبر والتب والاختيال .....	٦٤
و - الطمع والكل والسفه .....	٦٦
٣ - ضبط العواطف والمعايشة .....	٦٨
أ - حسن الصحبة .....	٦٨
ب - الضحك والمزاح .....	٧٠

- ج - الحشمة والامترسال في الثقة ..... ٧١
- د - كراهة المراء والخصومة ..... ٧٢
- هـ - حفظ اللسان والسكوت إلا عن الخير ..... ٧٣
- و - كظم الغيظ والصبر على الحسد ..... ٧٥
- ثالثاً: العدل والإنصاف ..... ٧٦
- حرمة الظلم ..... ٧٦
- أ - رد المظالم ..... ٧٧
- ب - الهداية بعد الضلال ..... ٧٨
- ج - معونة الظالم ..... ٧٨
- د - الرضا بالظلم والسكوت عنه ..... ٧٩
- مصاديق لإنصاف الناس من النفس ..... ٨٠
- أ - رد المعروف ..... ٨٠
- ب - رد الحقوق ..... ٨١
- ج - الاشتغال بعيه عن عيوب الناس ..... ٨١
- د - القول الحسن في الناس ..... ٨٢
- مصاديق للظلم والعدوان ..... ٨٢
- أ - قتل المسلم وإيذاؤه ..... ٨٣
- ب - إهانة المسلم ..... ٨٤
- ج - إذلال المؤمن ..... ٨٤
- د - تعيير المؤمن ..... ٨٥
- هـ - إحصاء عثرات المؤمن ..... ٨٥
- و - سبب المؤمن والظمن فيه ..... ٨٦

٨٦	ز - اغتيال المؤمن
٨٨	ح - البهتان
٨٨	ط - النميمة
٨٩	ي - التهمة
٨٩	نماذج راقية من العدل في العلاقات
٨٩	أ - التناجي
٩٠	ب - تقسيم اللحظات
٩٠	ج - الاعتراض في الحديث
٩١	رابعاً: حسن الخلق والتودد إلى الناس
٩٢	خطوات ومراتب التردد والمداواة
٩٤	الخطوة الأولى: اللقاء بالبشر والسلام
٩٦	الخطوة الثانية: المصافحة والمعانقة والتقبل والإخبار بالحب
٩٨	الخطوة الثالثة: آداب المجلس والمحادثة
٩٨	الأول: آداب الجلوس
١٠١	الثاني: تسميت العاطس
١٠١	الثالث: أدب المحادثة
١٠٢	الرابع: أدب الضحك
١٠٣	الخامس: قبول الكرامة
١٠٤	الخطوة الرابعة: الاحترام والتبجيل
١٠٧	خامساً: المعروف واليد العليا
١٠٨	الجانب الأول: ضوابط الإحسان
١٠٨	الضابطة الأولى: الموازنة بين الريح والخارة

الضابطة الثانية: تعجيل المعروف .....	١٠٩
الضابطة الثالثة: وضع المعروف عند أهله .....	١٠٩
الضابطة الرابعة: تحمّل مؤنة المعروف .....	١١١
الضابطة الخامسة: شكر النعم والمعروف .....	١١٢
الجانب الثاني: أداء الحقوق .....	١١٤
١ - الرفق بالرفيق .....	١١٤
٢ - قضاء حاجة المؤمن .....	١١٥
٣ - تفريج كربة المؤمن .....	١١٦
٤ - الستر على المؤمن ورد السوء عنه .....	١١٦
٥ - النصيحة للمؤمن .....	١١٧
الجانب الثالث: التنازل عن الحقوق المستحقة .....	١١٨
المفردة الأولى: العفو والصفح .....	١١٩
المفردة الثانية: قبول العذر .....	١٢٠
المفردة الثالثة: إنظار المعسر وإبرأؤه .....	١٢١
المفردة الرابعة: تحليل الميت والحي من الدين .....	١٢٢
الجانب الرابع: اليد العليا في الإحسان .....	١٢٣
المستوى الأول: المبادرة إلى المعروف .....	١٢٤
المستوى الثاني: ردّ الإساءة بالإحسان .....	١٢٩
سادساً: القدوة والسلوك المتميز .....	١٣١
القدوة والعلاقات الاجتماعية .....	١٣٢
الارتباط بالله تعالى .....	١٣٣
الصفات التي تعبّر عن السلوك المتميز .....	١٣٨

١٣٩	الصبر .....
١٤١	المزهد .....
١٤٤	الفناء .....
١٤٥	الورع عن المحارم .....
١٤٦	الحياء .....
١٤٧	الصدق وأداء الأمانة .....
١٤٩	الاستقامة .....
١٥٠	نماذج لصورة القدوة الصالحة .....

### الباب السابع: نظام الشعائر والعبادات

١٥٧	تمهيد .....
١٦٠	١ - الشعائر وأهميتها .....
١٦٢	٢ - العبادات ودورها .....
١٦٣	الملامح المميزة للعبادة في الإسلام .....
١٦٦	أهل البيت والشعائر العامة .....
١٦٨	الفة النبوية والشعائر المذهبية .....

### القسم الأول: نظام الشعائر

١٧٣	تمهيد .....
-----	-------------

### الفصل الأول: شعائر أهل البيت عليه السلام

١٧٩	شعائر أهل البيت .....
١٧٩	أ - الشعائر الحنية .....
١٨٠	الصف الأول: العشرة الأولى من محرم .....

الصف الثاني: محرم وصفر .....	١٨٣
الصف الثالث: المجالس الأسبوعية .....	١٨٤
الصف الرابع: المجالس في شهر رمضان .....	١٨٤
الصف الخامس: المناسبات الخاصة .....	١٨٥
ب - إحياء ذكريات المعصومين <small>عليه السلام</small> .....	١٨٦
١ - إحياء الوفيات والشهادات .....	١٨٦
٢ - إحياء مواليدهم وأقاربهم .....	١٨٩
ج - الزيارة لقبورهم ومقاماتهم .....	١٩٣
مشروعية الزيارة .....	١٩٣
المضمون الثقافي للزيارة .....	١٩٦
الأقسام العامة للزيارات .....	١٩٨
والأئمة في البقيع .....	١٩٨
الثاني: زيارات الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> .....	٢٠٠
الثالث: زيارات الإمام علي <small>عليه السلام</small> .....	٢٠٣
الرابع: زيارات أئمة أهل البيت <small>عليهم السلام</small> .....	٢٠٨
ملاحظتان مهمتان .....	٢١٢
الخامس: زيارات أولاد الأئمة والصالحين .....	٢١٤
الأوقات العامة للزيارة .....	٢١٥
الزيارات الجامعة .....	٢١٦

### الفصل الثاني، الشعائر الإسلامية العامة

الأيام والليالي .....	٢٢٣
-----------------------	-----

٢٢٥	..... مناج أهل البيت في الأيام والليالي
٢٢٥	١ - ليلة القدر .....
٢٢٧	..... وقت ليلة القدر
٢٢٧	..... أعمال ليلة القدر
٢٣٠	٢ - عيد الفطر والأضحى .....
٢٣١	٣ - يوم الجمعة وليلته .....
٢٣٣	٤ - الليالي الأربع .....
٢٣٦	٥ - الأيام الأربعة .....
٢٤٠	د - يوم دحر الأرض: .....
٢٤١	٦ - يوم عاشوراء .....
٢٤٣	..... يوم عاشوراء والأمويون
٢٤٥	٧ - أيام أخرى .....
٢٤٧	..... النظرية

### الفصل الثالث: في الأماكن المقدسة

٢٥١	..... المساجد والأماكن المقدسة
٢٥٢	..... المسجد ودوره
٢٥٣	..... نظرية أهل البيت في الأماكن المقدسة
٢٥٦	..... أحكام المساجد
٢٥٩	١ - البيت الحرام والمسجد الحرام ومكة .....
٢٦٤	٢ - مسجد النبي ﷺ .....
٢٦٦	..... مواقع أخرى مباركة في المسجد



٢٦٨	٣ - المساجد في المدينة المنورة .....
٢٧٢	٤ - الكوفة ومساجدها .....
٢٧٤	١ - المسجد الأعظم في الكوفة .....
٢٧٧	قبر الإمام علي عليه السلام ووادي السلام .....
٢٨٠	ج - مسجد السهلة .....
٢٨١	٥ - حرم الإمام الحسين .....
٢٨٢	الثرة الحسينية .....
٢٨٤	استجابة الدعاء تحت قبته .....
٢٨٥	التخيير بين القصر والتمام: .....
٢٨٦	٦ - مساجد وأماكن أخرى .....
٢٨٦	أ - بيت المقدس والمسجد الأقصى .....
٢٨٧	ب - مسجد الخيف .....
٢٨٨	ج - مسجد برائثا .....
٢٨٨	د - مشهد الإمام الرضا عليه السلام .....
٢٨٩	هـ - قم وقبر فاطمة بنت موسى عليه السلام .....

### القسم الثاني: نظام العبادات

٢٩٥	مقدمة .....
٢٩٧	المنهاج العام .....

### الفصل الأول: العبادات المؤقتة

٣٠١	مقدمة .....
٣٠٣	الأول: العبادات اليومية .....

٣٠٣	١ - الصلاة اليومية ورواتها وشؤونها
٣٠٥	امتيازات أخرى
٣١٠	٢ - التعقيب
٣١١	٣ - قراءة القرآن
٣١٢	٤ - أوقات الفضيلة في اليوم
٣١٣	التطوع بالصلاة
٣١٤	الثاني: العبادات الأسبوعية
٣١٤	١ - يوم الجمعة وليته
٣١٥	٢ - أدعية الأيام
٣١٥	٣ - صلوات الأيام
٣١٦	الثالث: العبادات الشهرية
٣١٦	١ - صلاة أول الشهر
٣١٧	٢ - صيام ثلاثة أيام من الشهر
٣١٨	الرابع: العبادات السنوية
٣١٩	منهج الأشهر الثلاثة
٣١٩	أ - شهر رجب
٣٢١	أعمال شهر رجب
٣٢٥	ب - شهر شعبان
٣٢٨	أعمال شهر شعبان
٣٣١	ج - شهر رمضان
٣٣٥	أعمال شهر رمضان
٣٣٥	النصف الأول: الأعمال المشتركة

٣٣٦	١ - الأعمال المشتركة بين الليالي والأيام
٣٣٧	٢ - الأعمال الخاصة بالليالي
٣٣٩	٣ - الأعمال الخاصة بالأسفار
٣٤٠	٤ - الأعمال الخاصة بالأيام
٣٤١	الصف الثاني: الأعمال المختصة
٣٤١	١ - أعمال الليلة الأولى ويومها
٣٤٣	٢ - الأعمال الخاصة بالليالي البيض
٣٤٣	٣ - أعمال ليالي القدر
٣٤٤	٤ - أعمال العشر الأواخر من شهر رمضان والوداع
٣٤٥	٥ - أعمال الأيام والليالي المخصوصة
٣٤٥	منهج عبادة الحج والعشر الأوائل من ذي الحجة
٣٤٧	أقسام الحج
٣٤٨	أعمال حج التمتع
٣٥٠	امتيازات الحج
٣٥٣	خصائص نظرية أهل البيت في الحج
٣٥٣	الأولى: سعة دائرة الاهتمام
٣٥٥	الثانية: سعة المضمون العبادي
٣٥٥	الثالثة: زيارة النبي ﷺ والأئمة ﷺ والمساجد
٣٥٧	الرابعة: تشخيص الموقف السياسي العام
٣٥٨	الخامسة: لقاء الإمام والقيادة الإسلامية
٣٥٩	السادسة: الحج جهاد الضعفاء
٣٦٢	منهاج أعمال موسم الحج

الأول: الأعمال المقرونة بأعمال الحج .....	٣٦٢
الثاني: أعمال ليلة ويوم عرفة .....	٣٦٦
أعمال ليلة عرفة: .....	٣٦٧
أعمال يوم عرفة .....	٣٦٧
الثالث: أعمال العشر الأوائل من ذي الحجة .....	٣٦٨
الرابع: أعمال أيام التشريق .....	٣٦٩

### الفصل الثاني، العبادات غير المؤقتة

العبادات غير المؤقتة .....	٣٧٣
أولاً: الصلاة .....	٣٧٤
الصلاة المستحبة غير المؤقتة .....	٣٧٦
١ - صلاة التطوع .....	٣٧٧
٢ - صلاة المعصومين .....	٣٧٨
أ - صلاة النبي ﷺ .....	٣٧٨
ب - صلاة علي ﷺ .....	٣٧٨
ج - صلاة فاطمة الزهراء ﷺ .....	٣٧٩
٣ - صلاة جعفر .....	٣٨٠
٤ - صلوات الحاجة .....	٣٨٢
صلوات أخرى لحاجات خاصة .....	٣٨٣
٥ - الاستخارة وصلاتها .....	٣٨٤
٦ - صلاة الهدية .....	٣٨٦
أ - صلاة ليلة الدفن .....	٣٨٧

٣٨٧	ب - صلاة الولد للوالديه .....
٣٨٨	ثانياً: الصوم .....
٣٨٨	الصوم الواجب .....
٣٨٩	الصوم المندوب .....
٣٩١	ملاحظات في الصوم المستحب .....
٣٩٢	ثالثاً: الدعاء .....
٣٩٤	أسباب إجابة الدعاء .....
٣٩٧	أسباب أخرى للإجابة .....
٣٩٨	أماكن الدعاء .....
٣٩٩	أحوال الداعي .....
٣٩٩	أشخاص لا يستجاب دعائهم .....
٤٠٠	تعليمات خاصة في الدعاء .....
٤٠٠	الأول: الدعاء على الأعداء .....
٤٠٢	الثاني: المباهلة .....
٤٠٣	الثالث: التنبيه على مواطن الاشتباه في الدعاء .....
٤٠٥	الرابع: أفضل الدعاء ما جرى على اللسان .....
٤٠٦	النظرية في الدعاء .....
٤٠٩	الدعاء بالمأثور .....
٤١١	رابعاً: الذكر .....
٤١٣	أقسام الذكر .....
٤١٤	الأول: الذكر بالمعنى الخاص .....
٤١٤	١ - البسطة .....

٢ - الاستعاذة .....	٤١٦
٣ - التهليل .....	٤١٦
٤ - الحمد لله .....	٤١٨
٥ - التسبيح لله .....	٤١٨
٦ - التكبير لله .....	٤١٩
٧ - الحوقلة .....	٤٢٠
٨ - المشبنة .....	٤٣١
٩ - الاسترجاع .....	٤٣١
الثاني: الاستغفار .....	٤٣٢
حد الاستغفار .....	٤٣٥
المبادرة إلى الاستغفار .....	٤٣٦
الثالث: الصلاة على محمد وآله .....	٤٣٨
فوائد الصلاة على محمد وآله .....	٤٣٩
كيفية الصلاة على النبي وآله .....	٤٣١
مواضع الصلاة على النبي وآله .....	٤٣٢
النظرية ومواقع الذكر .....	٤٣٤
مواقع الذكر .....	٤٣٥
النظرية .....	٤٣٨
بعض آثار الذكر الأخرى وآدابه .....	٤٣٩
خامساً: الجهاد .....	٤٤١
أهمية الجهاد وفضله: .....	٤٤٢
أقسام الجهاد .....	٤٤٦

- ١ - أنواع الجهاد ..... ٤٤٦
- ٢ - بعض أحكام الجهاد ..... ٤٤٧
- ٣ - موارد الجهاد ..... ٤٥١
- المراقبة في الثغور الإسلامية ..... ٤٥٤
- نظرية الجهاد ..... ٤٥٥
- الفهرس ..... ٤٥٧

